

كتاب الأغصان

في شينيانيا

هو تأليف وترجمة

محمود يات بك

(الذي كان مفتشا بنظارة المعارف)

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

طبع بالمطبعة الجمالية بحارة الروم بمصر

سنة ١٣٣١ هـ — ١٩١٣ م

قاموس العرب

في سبانيّا

(تأليف وترجمة)

محمد دياب بك

(الذي كان مفتشا بنظارة المعارف)

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

طبع بالمطبعة الجمالية بحارة الروم بمصر

سنة ١٣٣١ هـ — ١٩١٣ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لله أمة العرب ! أمة أخرجها الاسلام من ظلمات
الجهالة الى نور العرفان ، ورفعها من حضيفض الخمول الى
أوج الظهور : فوضعت أصولا تقوّم لسانها ، ودوّنت
معجمات تجمع شتات لغتها ، واستنبطت شريعة من
القرآن والسنة ، فأخذ الناس بأحكامها ، فاستقامت شؤونهم
في هذه الحياة ، وضربت بسهام في علوم شتى كالطب والفلسفة
والمنطق والرياضة والهيئة ووصف الارض وما عليها . ولم
تقف عند هذا الحد بل عرّبت علوم اليونان . وكانت
مدارسها في بغداد وقرطبة والقاهرة وأصفهان وسمرقند
وغيرها وسائل لنقل هذه العلوم الى أوربا فاستضاء أهلها
بنيراسها وهبوا من سباتهم . وقد امتد سلطان الامة
العربية شرقا وغربا من نهر الكنج الهندي الى

اذن الشغل ٦٩٩
الطالب ٤٠٩-٤٤١
الكتاب ٦٩٩
التاريخ ٢٧/٧/٢٥





اليكم يا بني مصر كتابا * حوت آياته مسجرات البيان
حوى تاريخ اندلس قديما * وكان ذووه غريب القير وان
تروا ملوكا كبيرا شديده * وقد لعبت به أيدي الزمان
نعم بقيت لهم آثار مجد * ندل على حياة ذات شان
تموت الناس تاركة رسوما * توقعنا على كنه المعاني

المؤلف

فرنجي : فأجهزت على مملكة الكاسرة ، ودهورت دولة
الرومان ، وقضت على ساطنة القوط في اسبانيا ، ونقصت من
أطراف بلاد الغال .

كل هذا تراه مبسوطا في كتب التاريخ العربية والفرنجية
الا أن تاريخ دولة العرب في اسبانيا في الاولي أقل استيفاء من
تاريخ دولهم في المشرق . تراه فيها مبعثرا مفقود بعض الحلقات
كمقد مختلف حبه نوعا وشكلا انقرط لوهن سلكه فتبدد
وضاع بعض الحب . وقد رأينا مؤرخي الفرنج يوسمون القول
في تاريخ هذه الدولة مع الترتيب والتنسيق والتدقيق قارين
الحوادث بأسبابها ، وقد أثوا على أمور كثيرة اغفلها غيرهم
لا سيما المؤرخ كندي الاسباني ^(١) والمؤرخ رومي الفرنسي
فقد أتي بالعجب العجيب مما تشاقق اليه النفوس ويلذ سماعه
الآذان ولمسلم منه ما بلغت الدولة العربية الاسبانية من

(١) نقل تاريخه من الاسبانية الى الانجليزية السيدة
(جوناثان فوستر) وما أخذناه منه عربي من الانجليزية ولدنا
على مراد أفندي

عظمة الملك والرقى في العلوم والفنون والصناعات وافتاد
العدل بين الناس على اختلاف مللهم ونحلهم ، وكانت حضارتهم
أساساً بنيت عليه أوربا حضارتها .

من أجل ذلك عنى أن أضع مصنفاً في تاريخ هذه
الدولة جامعا لشذراته المتفرقات ، مستخلصا الحقائق من
تبرها ، ناصباً على الفروق بين طبيّات الاقاول وزبوفها ، معتمد
على ما أخذت من عريسة وفرنجية كتوارنج ابن الاثير وابن
خلدون والمقرى وابن عذارى وعبد الواحد المرّاكشى
ورومى وكندى ودوزى . فتم وافيا بالغرض المقصود في
سنة ١٣٣٠ هـجرة محمد صلى الله عليه وسلم ، وسنة ١٩١٢
لميلاد عيسى عليه السلام ، في عصر تبوأ فيه أريكة ملك مصر
سمو عزيزها العظيم الشان ، مولانا (ع) عباس حلمى الثانى (رحمه
الله) دواته ، وأسعد به أمته . والحمد لله على الكمال

محمد دياب

اسبانيا قبل الفتح الاسلامى

١ اسبانيا تكاد أن تكون هي والبرتغال جزيرة في جنوب اوروبا الغربى والعرب يسمونها جزيرة الاندلس . في شمالها الشرقى فرنسا مفصولة عنها بسلسلة من جبال البرانس PYRÉNÉS أو جبال البرت أو البرتات أو جبال الابواب (١) وفي جنوبها امرا اكش يفصلها عنها بحار جبل طارق وفي غربها البحر المحيط وفي شرقها البحر الرومى او

١ في دائرة المعارف « البرانس جبال تفصل فرنسا عن اسبانيا » وفي الجزء الاول من فتح الطيب ص ٦٦ المطبوع في المطبعة الميرية « في الحارز الذى يفصل بين الاندلس والارض الكبيرة جبل البرت وفيه الابواب التي فتحها ملك اليونانيين بالحديد والنار والحل ولم يكن الاندلس من الارض الكبيرة قبل ذلك طريق في البر » وفيه ص ٦٧ « بين البحر المحيط والبحر المتوسط البر الذى يعرف بالابواب وهو المدخل الى بلاد الاندلس من الارض الكبيرة ومسافة بين البحرين مسير يومين » اه ولقطة (برت) افرنجية معناها الباب عربى وجمعت على (برتات) — جاء في نزهة المشتاق في الجزء الاول من الاقليم الخامس « بسد ما بين البحر المظلم وهو بحر الانقباش وبحر الشام جبل عظيم يمتد من مدينة بيوتنة الى ارض يرشلوته يسمى جبل البرتات ويحجز بين بلاد الاندلس وبلاد الافرنجيين وطول هذا الجبل من الشمال الى الجنوب مع سير تقويس سبعة ايام وفيه أربعة ابواب احدها في ناحية يرشلوته ويسمى برت جاقة وثانيها يسمى اشمرة وثالثها برت شاررو ورابعها برت بيوتنة ويتصل بكل برت منها مدينة في الجهتين فما يلي برت شاررو مدينة بنبلوته » . وقد وهم من سمي هذه الجبال بالبرن أو البرنات بالنون بعد الراء وأما لفظ (برانس) فيقرب من اللفظ الاسباني

بحر سفيد المعروف بالبحر المتوسط

٢ أوائل سكانها قوم يعرفون بالايبريين IBÉRES ولذا كان يطلق عليها اسم ايبريا IBÉRIE وقيل أن هذا الاسم مأخوذ من اسم نهر فيها كان يسمى ايبر IBER وهو ابره EBRE الآن
٣ ثم اهتمى اليها تجار الفنيقيين قبل المسيح بعدة قرون (١) حين ملاحظتهم على شواطئ افريقية ووصولهم الى المجاز الفاصل بين القارتين فدخلوها وراقهم جمال أقليمها وشاهدوا خصب أرضها وغنى معادنها فكانوا يترددون اليها ويقدمون الأيبريين عروض تجارتهم قليلة القيمة ولكنها جميلة الصنع كأوان زجاجية وأقمشة منقوشة وملابس موشاة وحلى النساء ويبيعونها بمعادن الذهب والفضة والحجارة الكريمة والا نبذة والاصواف أى بأنفس ثمرات البلاد . ولهذا الغرض أقاموا في أرضها مدائن ذات اسواق تجارية وأنشؤا على شواطئها نزلات بحرية كنزلة قادس CADIX وكانوا يعيشون مع قبائلها على صفاء ووداد لا سيما من لهم شأن في توسيع تجارتهم

وقد سرت في أهل ايبريا حضارة الفنيقيين وفنونهم ولغتهم وأخلاقهم وكذا عبادة معبودهم هرقلول ولذا كان يطلق على جبل طارق وجبل سبته عمودا هرقلول LES DEUX COLONNES D'HERCULE وكان القدماء يعتبرون أنهما الحد الغربي للأرض بأسرها

ومن عصرهم غلب اطلاق اسم (اسبانيا) على (ايبيريا) قال
رومي الأورخ ماتعريبه بتصرف « تضاربت الأقوال في اشتقاق
هذا الاسم والذي يغلب على الظن منها انه مأخوذ من لفظة (اسبان
SPAN) الفنيقي ومعناه المحتجب او المستور فان هذه البلاد كانت
بعيدة عن الفنيقيين ومحتجة عن انظارهم في نهاية الارض جهة الغرب
وقيل سموها بذلك لانهم رأوا فيها الارانب كثيرة والأرنب بلغتهم
(اسبان) أيضا واختار الرومان ذلك فان وسام (أدريان ADRIEN)
الإمبراطور الروماني (من سنة ١١٧ م الى سنة ١٣٨ م) صورت فيه
اسبانيا بصورة امرأة بجانبها أرنب واليونان سموها (هسبيريا
HESPERIA) أي بلاد الغرب بالنسبة الى بلادهم فان لفظ
(هسبيرا HESPÉRA) معناه باليونانية المساء أو الغرب « وقال
في موضع آخر « كانت حكومة الفنيقيين في اسبانيا جمهوريّة ومستعمرة
قادس الزاهرة حاضرتهم لكنها لم تكن كرمى حكومة مركزية لها
سلطة مطابقة على المستعمرات الاخرى البحرية بل كان يربط بعضها
ببعض الاتحاد في الاصل والاشراك في المنافع وكانوا من بين الامم
السالفة يرجعون في منازعاتهم الى المناقشات التي تؤدي بهم الى
مصالحات عادلة دون استعمال السلاح ولم ينزعوا قط الى الحكم الملكي
على سكان اسبانيا »

٤ لم تدم للفنيقيين الأثرة بالتجارة مع قبائل اسبانيا بل زاحمهم

فيها اليونان (١) فتركوا لهم الشاطئ الشرقي منها
٥ وفي القرن الخامس قبل الميلاد جاء القرطاجيون (٢)
واحتلوا نزلات الفنيقيين وانشؤا نزلات جديدة منها برشلونه وقرطاجند

BARCELONE, CARTAGÉNE (٣)

٦ ثم حكمها الرومان سنة ١٣٤ ق م وبقيت تحت حكمهم
الى سنة ٤٠٦ بعد الميلاد حيث أغار على رومة ثم اسبانيا قبائل مختلفة
بربرية جاءت من شمال أوروبا بامنهم السواقيون SUAVES
والقندال أو القنادله VANDALES

٧ ثم أدرك السواقيين والقنادلة القوط (أو الغوط أو الغوثيون)
GOTHES ويقال لقوط اسبانيا الويزيقوط VISIGOTHES
أى قوط الغرب فدفعوا السواقي الى الشمال والقندال الى الجنوب فأخذ
من اسمهم اسم قنداليسيا VANDALICIA للجهة التي احتلوها فخرقه
الاسبانيون الى اندالوشيا وعربها العرب بالاندلس ثم دفعوهم الى افريقية
وأسس القوط في اسبانيا دولة عظيمة قاعدتها طليطلة TOLÉDE
ووضعوا لها نظمات وقوانين جديدة وأجابوا الدعوة الى النصرانية
سنة ٥٨١ م

-
- ١ المراديون آسيا لا يونان أوروبا فان هؤلاء لم يكن لهم مستعمرات في اسبانيا
٢ نسبة الى قرطاجة وهي مدينة في شمال افريقية أسسها الفنيقيون في القرن
السابع قبل الميلاد
٣ في شرق اسبانيا على البحر الابيض المتوسط ومعناها قرطاجة الجديدة

هذا والحروب الاهلية بين امراءها مهدت السبيل الى استيلاء المسلمين عليها في القرن الثامن الميلاد سنة ٩٢ للهجرة وكان آخر ملك من ملوكهم يسمى ردريك ومؤرخوا العرب يسمونه رذريق او لذريق قتل في واقعة شريش XERÈS سنة ٧١١ م وبعد هذه الواقعة التجأت شردمة من القوط تحت قيادة الامير بلاي PÉLAGE الى ولاية استوريا ASTURIE نحو الشمال وتمحصنت هناك من غارات العرب عليهم. قال ابن خلدون « كان هذا القدار الاندلسي من السدوة الشمالية من عدوتي البحر الرومي وبالجانب الغربي منها يسمى عند العجم (غير العرب) الاندلو ش وتسكنه امم من افرنجية المغرب أشدهم واكبرهم الجلالقة وكان القوط قد تذكروه وغلبوا على أعماله لمئين من السنين قبل الاسلام بعد حروب كانت لهم مع اللطينيين حاصروا فيها رومة ثم عقدوا معهم السلم على ان ينصرف القوط الى الاندلس فصاروا اليها وملكوها ولما اخذ الروم والبطينيين بملة النصرانية حملوا من وراءهم بالمغرب من امم الفرنجة والقوط عليها فدانوا بها وكان ملوك القوط ينزلون طلميطلة وربما تنقلوا ما بينها وبين قرطبة واشبيلية وما رده وأقاموا كذلك من نحو أربعائة سنة الى أن جاء الله بالاسلام والفتح وكان ملكهم لذلك العهد يسمى لذريق وهو سعة الملوك كما أن جرجير سعة للملك صقلية » اهـ

بمقارنة عبارة ابن خلدون هذه بما سبق يؤخذ أن المراد بالجلالقة

الاقوام التي كانت تسكن شمال اسبانيا وأن اللطيفيين هم الرومان وأن
الروم هم اليونان وقوله أن الذريق سمى للموكلهم وهم فانه علم شخص
على آخر ملوكهم

فتح المسلمين اسبانيا

٨ (سبب الفتح) في سنة ٨٨ للهجرة (١) عهد الوايد بن عبد
المالك الخليفة الاموي الى موسى بن نصير بولاية بلاد المغرب
(افريقية الشمالية) فنزل القيروان وحارب طوائف البربر وأخضع
قبائلهم في زمن وجيز وعلم أهلها الدين والقرآن وأخذ رهائن من قبائل
مصمودة وصنهاجة وكتامة وهوارة وحاصر طنجة وفتحها واستعصت
عليه قلعتها سبته فنجست من جيشه وكان حاكمها وقتئذ يوليان JULEAN
من قبل ملك اسبانيا غيطشه WITIZA وكان من أسرته

عاد موسى من غزواته الى القيروان وبلاد المغرب خاضعة
لسلطانه. أهلها يدفعون الجزية أو دخلوا في دين الله ومن هؤلاء أهل
طنجة فأسلموا وبلغت حاميتها ١٩ الف فارس من المسلمين تحت
قيادة طارق بن زياد البربري

في هذا الحين كانت مملكة اسبانيا ضعيفة الشوكة منزعجة
الاركان لقيام الثورات وانقسام الاهلين الى احزاب وتباينهم في

الاغراض وعدم ملاءمة قانونهم المتخذ من قانون الرومان وعادات
الجرمان وفرض القسوس على الرعايا ضرائب فادحة أثقلت كواهلهم
لذلك خلعوا ملكهم غيطشه وقتلوه وانتخبوا آخر يسمى رذريق ROBRIC
ملكاً عليهم وليس من بيت الملك بل من قوادهم وكان أولاد
الملك المقتول وشيعتهم يترقبون الفرص للإيقاع برذريق واسترداد
المملكة اليهم وزاد الظنهور نغمة أن دّس رذريق عرض يوليان (١)
ونشأ عن ذلك أن أذعن حاكم سبتة لطاعة موسى وحرّضه (٢) على
فتح إسبانيا ووعده المساعدة وكشف له الغطاء عن سياستها الداخلية وأفهمه
أن الأسبانيين ناقمون على رذريق لانه اغتصب المملكة من ملكها
الشرعى غيطشه وأن أولاد الملك المقتول يودون لو ينصرهم عليه
وكشف لهم بهذا الامر سرا فاستأذن موسى الخليفة في غزو الاندلس
فاذن له

-
- ١ أنظر فتح الطيب صحيفة ١١٩ من طبع بولاق
٢ قال المؤرخ رومي (يروى لن فريقا من نصارى اسبانيا كانوا يحقدون
على الملك رذريق فجاءوا وحرصوا موسى على فتح بلادهم واظهروا له سهولة
الاستيلاء عليها وأن يساعده على ذلك بما في استطاعتهم فأسر الامر في نفسه
زمتا واستخبر سرا عن حالة اسبانيا واهليها وغنى البلاد ونظام حكومتها وقوة
ملكها والجسمومات والندوات القائمة بين أحرابها وان يوليان حاكم سبتة هو
الذى نقل اليه جميع ما يحتاج الي معرفته بالضبط وكشف له حالة الشعوب الاسبانية
واختلال حكومة الملك رذريق وظلمها وكراهة الرعايا الياء وانهم يمدونه غاصبا
المملكة من القوط وأن هذا الفريق أولاد غيطشة ومن على شاكلتهم)

٩ (غزوة طريف) في رمضان سنة ٩١ للهجرة (٧١٠ للميلاد)
ارسل موسى بن نصير طريف بن مالك البربري في مائة فارس
واربعائة رجل لغزو بلاد الشاطيء الجنوبي من الاندلس فجازوا
البحر في السفائن وغزوا بعض الثغور الجنوبية بمعونة يوليان وباسم
القائد سميت مدينة طريف التي هي فرضة على المجاز ثم عادوا بغنيمة
جائلة (١)

هذه الغزوة كانت مقدمة الفتح يحمس بها موسى نبض الاندلس

فتح طارق بن زياد اسبانيا (٢)

١٠ في سنة ٩٢ للهجرة (ابريل سنة ٧١١ للميلاد)

١ في فتح الطيب صحيفة ١٢٠ (كتب موسى بن نصير الي أمير المؤمنين
الوليد بن عبد الملك يخبره بالذي دنا اليه يوليان من أمر الاندلس ويستأذنه
في اقتحامها فكتب اليه الوليد أن خضها بالسرايا حتى ترى وتختبر شأنها ولا
تقرر بالمسلمين في بحر شديد الاهوال فراجعته انه ليس ببحر زخار وانما هو
خليج يجر مد للناظر ما خفه فكتب اليه وان كان فلا بد من اختباره
بالسرايا قبل اقتحامه فبعث موسى عند ذلك رجلا من مواليه من البرابرة اسمه
طريف في أربعائة رجل معهم مائة فارس سار بهم في أربعة مراكب فنزل
بجزيرة تقابل جزيرة الاندلس المعروفة بالحضراء التي هي اليوم معبر سفائنهم
ودار صناعتهم ويقال لها اليوم جزيرة طريف لنزوله بها وأقام بها أياما حتى التأم
اليه اصحابه ثم مضى حتى أغار على الجزيرة فأصاب سبايا لم ير موسى ولا أصحابه
مثله حسنا ومالا جسيما وامتعة وفذاك في شهر رمضان ٩١ للهجرة)

٢ قال رومي المؤرخ « أن طارقا كان عاملا على طمجه من قبل موسى فلما

جَهَّزَ موسى نحو ١٢ ألفاً تحت إمرة طارق بن زياد لفتح الاندلس فتوجهوا معهم يوليان وعبروا بمجاز هرقول (١) في السفائن ونزلوا جبلا يسمى اليوم جبل طارق وفتحوا حصن قرطاجنة وكان في سفح هذا الجبل ثم انهم انسابوا في أرض الاندلس وكان العامل عليها يقال له « تدمير » فأرسل يخبر الملك (٢) رفريق ويستعجده فجاء هذا بجيش يبلغ على ما يروى ١٠٠ ألف جندي واجتمع الجيشان

انتخبه قائداً أقام مقامه ابنه مروان بن موسى وكان الجيش مؤلفاً من ١٢ ألف بربري من حامية طنجة وبعض مئات من العرب أبحروا في السفائن ومروا من طنجة الى سبتة ومن هذه الى الشاطئ المقابل ويظهر ان يوليان كان يرشدهم فنزلوا جزيرة صغيرة ظهر لهم من بعد انها كاه خضراء فسوها الجزيرة الخضراء واستولوا على جبل مجاور لها وتحصنوا فيه فسمي أولا جبل الفتح ثم أخذ اسم الفاتح فسمي جبل طارق

(١) يقال ان طارقاً بعد أن عبرت جنوده المجاز أحرق السفائن كي يقطع من عساكره أمل التقهر وان يختاروا اما الفوز واما الموت
(٢) قال رومي المؤرخ انه كتب اليه ما نصه
« مولاي »

هل بأرضنا قوم لا ندري أهبطوا من السماء أم نبوا من الارض هاجوني فقاومتهم بكل قواي لا دفع غائلتهم ولكن اضطرت لي التقهر لكثرة عددهم وبسالهم فأرجوك يا مولاي ان تنجيء بنفسك مسرعاً وممك ما في وسعك حشده من الجنود »

هذا الخطاب أوقع الرعب في قلب الملك فجمع وزراءه وقواده ٠٠٠٠ ووجه نخبة فرسانه لينضموا الي جيش تدمير وسار الجمع نحو جيش طارق فوقع بين الجيشين مناوشات كان فيها الخذلان دائماً للقوط

على شواطئ (وادي لكه (١) Guadalète) بالقرب
مدينة سدونة القديمة التي بنى في محلها الآن مدينة شريش فلما رأى
طارق كثرة العدد كتب الى موسى يستنجد به فأرسل اليه خمسة آلاف
فارس من البربر

اصطف للمسلمون والكثير منهم يمتطي متون الخيل عليهم
الزرد وفوق رؤسهم العصائم البيض وبأيديهم القسي العربية وقد
تقلدوا السيوف واعتقلوا الرماح والاتحاد ميل أفئدتهم والهاصة تعلل
في صدورهم وكلهم اخلاص لقائدهم الا كبر طارق يرمون الي غرض
واحد اما الفوز واما الموت

والقوطة بين مشاة وفرسان معتدون بالدروع والدرق والحراش
والفؤس والمناجل والمقاليع قلوبهم شقي

وقبل اشتباك الفريقين خطب طارق بحرض جنده فقال « أيها
الناس • أين المفر • البحر من ورائكم والعدو أمامكم وليس لكم والله

وفي غضون ما كان يجمع رذريق جنوده من مقاطعاته وبعد للمسلمين ما استطاع
من قوة وينادى القوطة والرومان ليتحدوا وبدأ قوا عن حوزة بلادهم كان جيش
طارق يكر بين الجزيرة الخضراء وسدونة وشواطئ نهر يانه اشرا لواء العزع
والرعب في أفئدة الاهلين المأخوذ من هجوم ما كانوا يتوقعونه فجاء رذريق
بجيش جرار لكنه قليل الدربة على الطعن والفرار واجتمع الجيشان على شواطئ
وادي لكه Guadalète بالقرب من مدينة سدونة القديمة التي بنى على املاها
مدينة شريش المشهورة الآن عند الاوربيين بكرورها

(١) ويقال أيضا نهر لكه كما في ابن الاثير ووادي لطفه

الا الصديق والصبر واعلموا انكم في هذه الجزيرة اضيع من الأيتام
في مأدبة اللثام وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته وأقواته موفورة
وانتم لا وزر لكم الاسيوفكم ولا أقوات لكم الا ما تستخلصونه من
أيدي عدوكم وان امتدت الايام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمرا ذهبت
ربحكم وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجرأة عليكم فادفعوا عن
انفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية فقد ألفت
به اليكم مدينته الحصينة وان انتهز الفرصة فيه لممكن ان سمحتم لانفسكم
بالموت واني لم أحذركم أمرا أنا عنه بنجوة ولا حملكم على خطة أرخص
متاع فيها النفوس أبدا بنفسي واعلموا انكم ان صبرتم على الاشق قليلا
استمتعتم بالارفة الالذ طويلا فلا ترغبوا بانفسكم عن نفسي فما حفظكم
فيها بأوفى من حظي وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الخور
الحسان من بنات اليونان الرافلات في الدار والمرجان والحلالمسوجة
بالعقبان المقصورات في قصور الملوك ذوى الشهبان وقد انتخبكم الوليد
ابن عبد الملك أمير المؤمنين من الابطال عربانا ورضيكم للملك هذه
الجزيرة اصهارا واختانا ثقة منه بارتياحكم للطعان واستماحكم بمجالدة
الابطال والفرسان ليكون حظهم منكم ثواب الله على اعلاء كلمته واظهار
دينه بهذه الجزيرة وليكون مغنمها خالصا لكم من دونه ومن دون
المؤمنين سواكم والله تعالى ولى انجادكم على ما يكون لكم ذكرا في
الدارين واعلموا انى أول مجيب الى ما دعوتكم اليه واني عند ملتقى

الجميع حامل بنفسى على طاعة القوم رذريق فقاتله ان شاء الله تعالى فاحملوا معى فان هلكت بعده فقد كفيتكم أمره ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون أموركم اليه وان هلكت قبل وصولي اليه فاخلفوني في عزيمتى هذه واحملوا بانفسكم عليه واكتبوا لهم من فتح هذه الجزيرة بقتله فانهم بعده يخذلون» (١) فلما سمعوا كلام طارق ثارت حميتهم ووطدوا نفوسهم على الموت في قتال عدوهم وكان جيش طارق يظهر انه كثير العدد اذ قسمه الى طوائف ليلقى الرعب فى قلوب أهل الاندلس وانضم اليه يهود اسبانيا والنصارى الذين هم من حزب يوليان ثم التحم الجيشان ووقعت معركة هائلة استمرت ثلاثة أيام (٢) ودارت فيها الدائرة على جيش رذريق فتفرق شذر مذر (٣)

(١) تقع الطيب ج ١ ص ١١٣ و ١١٤

(٢) من تاريخ رومى Romy (ص ٣٩ ج ٣) ان القتال استمر يومين بدون أن يرجع أحد الجيشين على الآخر وفى اليوم الثالث ضعفت عزائم العرب وأرادوا النكوص الا ان طارقا بادر الى الصفوف وصاح فى جنوده قائلاً « أين المفر البحر وراءكم والامدو امامكم فلا تخلص لكم الا شجاعتكم اتبعوني سأهجم على ملككم واقتله أو يقتلنى » ثم ألقى بنفسه وألقوا بأنفسهم معه فى جيش القوط فاختلف نظامه وفشلت جنوده وعرف طارق رذريق بشاراته الملوكة فهجم عليه بين حراسه وطمعه برمحه فى صدره فخر صريعا —

(٣) قال المؤرخ رومى (ص ٤١ ج ٣) « ما كانت شجاعة العرب قاضية وحدها بفوزهم فانهم فى اليوم الثالث اثبتوا عن عزيمتهم وحدتهم أنفسهم باليأس من النصر الا ان جاء سفير تحت جنح الظلام ابلغ طارقا ان ابني غيطشة وعمهما أوباس مستعدون لان ينضموا الى صفوفه على شرط أن يتركهم بعد انصاره بحكمون

جاء في ابن الأثير « وكان على ميمنة رذريق وميسرته ولدا الملك الذي كان قبله وغيره من أبناء الملوك واتفقوا على الهزيمة بغضا لرذريق وقالوا ان المسلمين اذا امتلأت ايديهم من الغنيمة عادوا الى بلادهم وبقي الملك انما فانهزموا وهزم الله رذريق ومن معه وغرق رذريق في النهر » و يروى ان طارق قتله - ثم ان طارقا اقتفى اثر المنهزمين نحو هيريانه واخضع عدة بلاد في زمن قريب

لما جاء موسى خبر هذا النصر المبين أخذته الغيرة وخشى أن ينسب فتح اسبانيا الى طارق وحده فجهز جيشاً قوياً الى اسبانيا وكتب الى طارق أن يقف فلما جاء هذا كتاب موسى حدثته نفسه أن يطيع أمر والى افريقيه لكن رأى الموقف حرجا وان في الطاعة مضاعفة الخطر عليه حيث خشى ان يترك للمنهزمين زمناً تتجمع فيه جموعهم وتتحد كلمتهم ويعيدون الكرة على المسلمين فجمع رؤساء الجيش وبلغهم كتاب الوالى فأجمعوا رأيهم ان الوقوف في المقام الذي هم فيه غير مناسب وانه يجب انتهاز الفرصة في إلباسنا وعدم ضياع الزمن النفيس واقتفاء أثر المنهزمين

القوط كما كان يحكمهم أبوهم وجدوا ان يكتبوا بالجزيرة وجزء من أرض اسبانيا فقبل طارق ذلك . وفي انحاءهم اليه الاسقف (أوباس) وابنا أخيه والذين التي كانت تحت أمرهم قال المؤرخ المسذكور لو كانوا حددوا هذا الجزء لكان على حسب الظاهر البلاد المجاورة للمجاز (اقليم الاندلس)

أخذ طارق بمشورتهم واستمر في نصراته حتى فتح مدينة استجة (١) بعد مقاومة شديدة ثم قسم جيشه الى ثلاث فرق الاولى تحت إمرة مغيث الرومي ووجهها الى قرطبة والثانية يرأسها زيد ابن قاصد السكسكي وسيورها الى مالقه ورأس هو الثالثة (٢) وتوجه بها الى طليطلة من طريق جيان - امامغيث فقد فتح قرطبة بطريفة غربية في بابها حديثها يطول (٣) واسر عالجها اثناء فراره الى طليطلة وابقى عليه ليقدم به على أمير المؤمنين حتى ينال بذلت الفخر العظيم واما زيد فقد فتح مالقه MALAGA والبيرة ELBIRA بدون مقاومة ثم لحق بطارق

واحتل طارق طليطلة TOLEDE عاصمة المالك بلا قتال وأصدر أوامر صريحة تمنع الجنود من النهب والاعتداء وتهديء روع الاهلين وتحول لهم الحرية في دينهم والمتع بأموالهم والتقاضى عند قضائهم على شرط أن يدفعوا الجزية في كل سنة وكانت تختلف من خمس الاموال المتحصلة الى العشر وكانت أقل مما كان يجنيه منهم القوط وكان

١ يقال ان الذي فتح استجة هو زيد بن قاصد - يقول بعض المؤرخين استجة بالناء بعد السين وفي تاريخ ابن غذارى المراكشي (اسجة) بدون ناء (الجزء الثاني صحيفة ١١)

٢ يقال ان فرقة طارق كانت الرابعة وان الثالثة هي التي ذهبت الي مدينة البيرة (غرناطة) - والذي يظهر ان زيدا قسم فرقته الى قسمين قسم ذهب الى مالقة والاخر الى غرناطة ثم اجتمع القسمان ولحقا طارقا

٣ انظر نفع الطيب

يترك في كل مدينة مفتوحة حامية محتاطة من يهود البلاد المسلمين (١) بعد أن وُجد طارق دعائم السلام في طليطلة أتجه نحو الشمال مقتفياً أثر الفارين فوصل إلى وادي الحجارة GUADILHIDHARA وعبره يريد جبال وادي رامة GUADORAMAS فاخترقها من وادى فوج طارق BUITROG واستولى على مدن خاضعها منها مدينة سالم MÈDINA CELI وهي التي أحوز منها على ما يروى المائدة الشهيرة المنسوبة إلى ساجان وعاد إلى طليطلة مشغلاً بالفنائم

جاء في نفع الطيب نقلا عن الرازي «أن ملاقة جيش طارق ورذريق كان يوم الأحد لليلتين من شهر رمضان فاتصلت الحرب بينهما إلى يوم

١ قال روي المؤرخ ص ٣٣ ما ترجمته « كانت شروط العرب إذا فتحوا مدينة (١) أن يضربوا على أهلها خراجا سنويا أما خمس الاموال المتحصلة من الارض والمقار وأما العتق (٢) وان يأخذوا رهائن (٣) وأن ينزعوا السلاح من الاهل (٤) وأن يستأثروا بأخيال ودواب النقل (٥) وان يستولوا على أموال النازحين عن الوطن وكانوا يتركون للسكان املاكهم من أى نوع كانت ومنحونهم الحرية الدينية لكن يشترطون عليهم أن تكون عبادتهم في الكنائس خاصة وأن لا يمنعوا من يرغب في الاسلام عن الدخول فيه »

وقال أيضا ص ٥٣ ج ٣ « دخل طارق وحرسه قصر الملك المبني فوق ربوة مشرفة على نهر التاجة LE TAGE فجمع منه اموالا طائلة وامتعة نفيسة بقول بعض المؤرخين انه وجد في حجرة من القصر حصة وعشرين تاجا من الذهب مزينة بالسوسن والحجارة القيمة النادرة الوجود وكان عدد التيجان عدد ملوك القوط الذين حكموا اسبانيا الي رذريق وكان عادة القوط اذا مات الملك ان ينزعوا تاجه ويكتبوا عليه اسمه وسنه وعدد السنين التي حكمها »

الأحد لخمس خاوند من شوال به سنة تسعة ثمانية أيام ثم حزم الله المشركين
فقتل منهم خلق عظيم وحارز المسامون من عسرتهم ما ينزل قدره
فكانوا يعرفون كبار العجم وملكهم بخواتم الذهب في أصحابهم ومن
دونهم بخواتم الفضة وعبيدهم بخواتم النحاس فمن طارق النى . ونحوه
ثم اقتسمه أهله على تسعة آلاف من المسلمين سوى العبيد والأتباع ...
ثم أقبل حتى نزل بأهل مدينة سدوند فامتنعوا عليه فشدد الخسار عليهم
حتى نهكهم وأضرهم فتهيأ له فتحها عنوة فحارز منهم غنائم ثم خشن منها
الى مدور ثم عطف على قرمونه ثم مال على اشيليه فصالحه أهابا على
الجزية ثم نازل أهل استجة وهم في قوة ومعهم فل عسكر رذريق
فقاتلوا قتالا شديدا حتى كثر القتل والجراح بالمسلمين ثم ان الله تعالى
أظهر المسلمين عليهم فأكسروا ولم يلق المسلمون فيما بعد حربا مثلها
وفتحت المدينة وضرب على أهابا الجزية ... قال يوليان لطارق قد
فضضت جيوش القوم ورعبوا فاعمد الى بيضتهم وهؤلاء ادلاء من
أصحابي مهرة ففرق جيوشك معهم في جهات البلاد واعد أنت الى
طليطله حيث معظمهم فاشغل القوم عن النظر في أمرهم والاجتماع
الى أولى رأيهم ففرق طارق جيوشه معهم من استجده فبعث مغيثا
الرومي مولى الوليد بن عبد الملك الى قرطبة وكانت من أعظم مدائنهم
في سبعة فارس لان المسلمين ركبوا جميعا خيل العجم ولم يبق فيهم
اجل وبعث جيشا آخر الى مالقة وآخر الى غرناطة مدينة البيرة

و... ار هو في معظم الناس الى كورة جيّان يريد طليطله - أما مغيث
فقد فتح قرطبة ثم جمع يهودها وضمهم الى مدينتها استنامة اليهم دون
النصارى واختار القصر لنفسه والمدينة لاصحابه. وأما من وجهوا الى
مالقه ففتحوها ثم لحقوا بالجيش المتوجه الى البيرة فحاصروا مدينتها
غرناطة ثم افتتحوها عنوة وضمّوا اليهود الى قصبة غرناطة وصار ذلك
لهم سنة في كل بلد يفتحونه أن يضموا يهوده الى القصبة مع قطعة
من المسلمين لحفظها (١) ومضى الجيش الى تدمير وتدمير اسم
العاج صاحبها سميت به واسم قصبتها اريوله فصالحوه بعد قتال شديد
وسامت كورة تدمير من معرفة المسلمين) ومضى معظمهم الى أميرهم
طارق افتتح طليطله فالفأها خالية قد فرّ عنها أهلها ولجؤا الى مدينة
خلف الجبل فمضى خلفهم فسلّك وادى الحجارة ثم استقبل الجبل
فقطعه من فج سمى به بعد فبلغ مدينة المائدة المنسوبة الى سليمان بن
داود وهى خضراء من زبرجد حافاتها منها ودخلها وكان لها ثمانية
وخمسة وستون رجلا فأحرزها عنده ثم مضى الى المدينة التى تحصنوا
بها فأصاب حايا ومالا ورجع الى طليطله سنة ٩٣ «

﴿ تدمير موسى فتح اسبانيا ﴾

(١١) أعَدَّ موسى لغزو الاندلس بنفسه عشرة آلاف فارس وثمانية

١ قوله ومضى الجيش الى قوله من معرفة المسلمين لا يلتئم مع ما هو مذکور
في التواريخ الفرنجية من أن الذى قاتل تدمير هو عبد العزيز بن موسى

آلاف راجل وبعد أن أقام مقامه في القيروان ابنه عبد الله عبر بهم من إفريقية إلى الأندلس في رجب سنة ٩٣ (أبريل سنة ٧١٢) (١) فأخذ أولاً مدينة شذونة ثم أخذ قرمونة بحماية وهي أن أصحاب يوليان دخلوها كأنهم فلأل وطرقهم موسى بخياله لا ففتحوا له الباب وأوقعوا بالاحراس وماكوا المدينة ثم مضى موسى إلى اشبيلية SEVILLE جارتها فحاصرها وهي أعظم مدائن الأندلس شأنها وأعجبها بنياناً وأكثرها آثاراً وكانت دار الملك قبل القوط فلما غلبوا على ملك الأندلس حوّلوا السطّان إلى طليطلة وبقى رؤساء الدين فيها ففتحها بعد حصار شهر ثم فتح مدناً أخرى بين النهر الكبير ونهر يانه (٢) وما توقف إلا أمام مدينة ماردة فانها كانت حصناً منيعاً وفيها آثار وقصور ومصانع وكنائس جليلة القدر وقد قاومت حتى أضاع في حصارها كثيراً من رجاله وما دخلها إلا أول شهر من سنة ٩٣ (١١ يوليو سنة ٧١٢) حين جاءته النجدة من إفريقية تحت قيادة ابنه عبد العزيز - قال بعض مؤرخي الأفرنج « أن موسى شدّد على الماردين شروط الصلح فانه مع فرض الجزية السنوية وأخذ أموال القتلى وأموال المازحين عن المدينة طالب أن تسلّم إليه أموال الكنائس وحلّيم او ان يحوّل نصفها إلى مسجد وان يأخذ رهائن من أشرف القوط

١ في تاريخ دوزي ص ٣٧ من الجزء الثاني ان دخول موسى الأندلس كان في يونية سنة ٧١٢ - فحقق
٢ يقال ايضاً الوادي الكبير ووادي يانه

الذين فروا من واقعة شريش وكان من بينهم ملكة القوط أرملة ذريقت المسماة اچلونه EGILONE أو اچلا EGILA ومؤرخو العرب يسمونها ايلد AYLA «

انتقض اهل اشبيلية على المسلمين فقتلوا ٨٠ رجلا من حاميتها واتي فلهم الى موسى وهو بماردة فوجه ابنه عبد العزيز الى اشبيلية ليقتص من الثائرين فجاءها وفتك فيهم فتكاذريا حتى استقامت الامور. من ماردة سار موسى الى طليطلة وكان قد بارحها طارق ليغزو قسطليلة القديمة LA VIEILLE CASTILLE وكان موسى يفتح ما مر عليه من البلاد وفرسانه يعانون الاهلين « ان العرب ما دخلت جزيرة الاندلس لظلم اهلها او سلب اموالها او تخريب مساكنها او احراق زرعها بل لهدايتهم الى معرفة الله وانهم لا يحاربون الا العصاة المعارضين بدون جدوى»

عاد طارق الى طليطلة قبل وصول موسى فبادر الى مقابلته فاجتمعوا في طلبيره TALAVERA OU TALBERA ثم عاد الى عاصمة الملك فطالب موسى طارقا باداء ما عنده من مال الفىء وذخائر الملوك فقدّمها اليه وبينها المائدة الزمرد ناقصة رجلا ثم جمع موسى رؤساء الجيشين ليحاكم طارقا فسأله امامهم عن مخالفة امره فاعتذر طارق بأن الحالة قضت عليه بذلك وان رؤساء جيشه اجمعوا رأيهم على متابعة السير (ولولا ذلك ما كان فتح العاصمة وأمهات المدن

في زمن قريب) - ما أقنع موسى هذا لاعتذار بل عزل طارقاً من قيادة جيشه وحبسوه وعهد بالقيادة الى مغيث الرومي ولكن هذا الشهم أبت نفسه الكريمة أن يخاف قائدده ودافع عنه بجرأة أمام الوالى ولما أصر موسى على ما حكم به بأنغ مغيث المشكك الى الخليفة ليفصل فيها فورد منه الامر باعادة طارق الى قيادة جيشه

في هذه الاثناء كان عبد العزيز يفتح الجيوب الشرق من الاندلس فاستولى على لورقه LORCA وصالح ندمير الذى كان التجأ الى اريوله ORIHUÉLA على أن يدفع الجزية ويكون أمير سبع مدن وكتباً عيلاً بذلك وعند رجوعه استولى على يباسه BAEZA وجيان JAEN وانتقيرة ANTEQUERA بدون مقاومة

بعد أن صالح موسى طارقاً توجه طارق نحو الشرق صاعداً الى منابع نهر التاجه حتى نزل السهول التي يرويها نهر ابره - واتجه موسى نحو الشمال الغربى فخضعت له بلاد بدون مقاومة منها سالمنقه SALAMANQUE ثم عاد الى الشرق سائراً مع مجرى نهر دويرو DUÉRO حتى نزل وادى نهر ابره وقابل طارقاً محاصراً مدينة سرقسطة SARAGOSSE وكان هذا قد فتح المدن التي حولها ولكن المدينة استعصت عليه ففتحها بعد حصار شهر ثم احتلأ ونشقه HUESCA وقلهره CALAHORRA وطركونه TARRGONE ولاردة LERIDA

ثم اقتسم القائدان الجيش فمضى موسى على شاطئ البحر المتوسط متجها نحو الشمال ففتح برشلونه BARCELONE وجيرونة GERONE ورأساس ROSAS وامبوريه AMPURIA وسار طارق متجها الى الجنوب ففتح طرطوشه TARTOSE ومربيطره MURVIÉDRO وبانسية وشاطبة ودانية واستمر الى حدود امارة ندمير

والبلاد التي كان يفتحها طارق كان أهلها آمنين على أرواحهم وأموالهم عائشين بسلام في كنف المسلمين وما كان هؤلاء يأخذون الا أموال من هجروا الاوطان . عاد موسى الى الوسط ومنه الى الشمال الغربي ذاهبا الى لوغو LUGO في جبال غليسية GALICE

يذكر بعض المؤرخين فرقا بين سلوك القائدين في فتوح الاندلس فيقول ان موسى ما كان يفكر الا في جمع الاموال والاستئثار بها وطارقا كان يقتسم الغنائم هو وجنوده بالعدل بعد أن يفصل منها الخمس كاملا للخليفة قال بعضهم انه كان يكتب الخليفة في أعماله مباشرة معرضا عن جانب موسى وهذا كان يشكو الى أمير المؤمنين عصيان طارق وتبذيره ومخالفته لاصول الحرب فمن اجل ذلك دعا الخليفة الوليد بن عبد الملك القائدين اليه فأرسل اليهما مغيثا الرومي الذي كان جاء الى دمشق لتبليغ الخليفة تفصيل نصرات طارق الاولى في الاندلس — أما طارق فقد أجاب دعوة أمير المؤمنين بدون

توقف وأما موسى فتلكاً وأخذ يستعد لغزو القوط الملتجئين الى
جبال غليسية واستوريا فجاءه رسول آخر وهو أبو نصر بين جيشه في
لوغو وأخذ بعنان فرسه وذكره بطاعة أمير الخليفة فلم يسمع الا الانقياد
ويروى أنه كان في نية مرسى أن يفتح أوروبا بتمامها ويصل الى
الشام من شواطئ البحر الاسود فأخذ يستعد لهذا المشروع العظيم
ولكن حال دون ذلك أن دعاه الخليفة اليه في يوليو سنة ٧١٢م
فأجاب الدعوة ومعه طارق وأقام ابنه عبد العزيز بن موسى حاكماً على
اسبانيا وجعل دار حكمه مدينة اشبيلية.

(١٢) جمع موسى غنائمه الواسعة وعبر الحجاز الى المغرب في ذي
الحجة سنة ٩٥ للهجرة ومعه ثلاثون الف نسمة من السبي من بينهم
اربع مائة فتى من أسر القوط الملوكية وقفل الى المشرق بعد أن
استخلف على إقليم طنججة ابنه عبد الملك وعي افریقیة أكبر أولاده
عبد الله .

سأل موسى مغيثاً أن يسلم اليه علاج قرطبة الذي كان في اساره
فامتنع فانزعه منه قسراً ثم خطر له أن يضرب عنقه مخافة أن يدعيه
مغيث لدى الخليفة . تألب طارق ومغيث على موسى وسبقا الى دمشق
وشكوا الى سليمان بن عبد الملك منه ورمياه بالخيانة واخبراه بما صنع
بهما من خبر المائدة والملج . قبل وصول موسى الى دمشق بأيام طرأ
على الوليد مرض ثقیل وكان وليّ عهده أخوه سليمان بن عبد الملك

فأراد هذا أن يؤجل الاحتفال بدخول فاتح إسبانيا إلى أول خلافته
فكتب إليه أن يتف حيث يجيئه كتابه وأن يؤخر وصوله إلى دمشق
أياماً فجاءه الكتاب في طبرية فاسطين فلم يعمل بما فيه أمّا صداقة الوليد
وإمّا ظناً منه أنه لا يموت قريباً فكان هذا سبب حقد سليمان على موسى
(١٣) (حضور موسى وطارق مجلس سليمان) مات الوليد وخلفه
سليمان ويروى أن القائدين حضرا مجلسه فأخذ موسى يغالى في قيمة
مائدة الزمرد التي مر ذكرها فقال طارق « يا أمير المؤمنين أنا الذي
أحرزتها وأعطيته إياها في طليطلة » فرد موسى وقال « أنها من غنائمي »
قال طارق أنها تنقص رجلاً فأين هذه الرجل - أجاب موسى بأنه
وجدتها هكذا - قال طارق متعجباً « من هذه يحكم بصدق موسى »
وأظهر الرجل الناقصة التي كان نزاعها من المائدة وحافظ عليها - فبعت
عند ذلك إلى أفريقية وشاقبه سليمان بالوقوف في الشمس المحرقة
يوماً كاملاً

موسى وإن كان أساء معاملته طارق إلا أنه كان شهماً شجاعاً
ذكي القريحة فهو الذي فتح إقليم المغرب وإسبانيا وكان يجب على
الخليفة الأموي أن يشكر له من أجل أعماله الجليلة ويتغاضى عن
حبه الاستئثار بالفخر في فتوح الأندلس

قال ابن خلدون نهض موسى من القيروان سنة ٩٣ للهجرة في عسكر
ضخم من وجوه العرب والموالي وعرفاء البربر ووافى خليج الزقاق ما بين

طنجة والجزيرة الخضراء فأجاز الاندلس وتلقاه طارق وتم موسى
الفتح وتوغل في البلاد الى برشلونة في جهة الشرق واربوند (١) في
الجوف وصنم قادس في المغرب ودوخ أقطارها وجمع غنائمها واجمع (٢)
ان يأتي المشرق على القسطنطينية ويخوض بلاد الاعاجم مجاهدا في أمم
النصرانية مستلحا لهم الى أن يالحق بدار الخلافة ونمى الخبر الى الوليد
فاشد قلعه بمكان المساهين من دار الحرب ورأى أن ما هم به موسى
غرر (٣) بالمساهين فبعث اليه بالتوبيخ والانصراف وأسر الى سفيده
أن يرجع بالمساهين ان لم يرجع هو وكتب له بذلك عهده ففت ذلك
في عزم موسى وقفل عن الاندلس بعد أن أنزل الرابطة والحامية
بشغورها واستعمل ابنه عبد العزيز لغزوها وجهاد أعدائها وأنزله بقرطبة
(٤) فاتخذها دار امارة واحتل موسى بالقيروان سنة ٩٥ وارتحل
الى المشرق سنة ٩٦ بما كان معه من الغنائم والذخائر والاموال على
العجل والظفر وولى على أفريقية ابنه عماد الله وقدم على سايمان
فسخطه ونكبه»

(١٤) (عبد العزيز) استخلفه ابوه موسى على اسبانيا كما ذكرنا
عند قفوله الى المشرق سنة ٩٥ للهجرة (٧١٣ لاءيلاد) وجعل مقره
اشبيلية فساس البلاد أحسن سياسة :

١ فيه نظر ٢ اجعت المسير وعليه عزمت عليه ٣ الفرر الخطر
٤ في غيره اشبيلية وهو الصحيح

(ولى) عمالا على اقاليمها يديرون شؤونها المدنية وكانوا يسمون بالقواد وكانوا يحكمونها العظام

(وقام) حسابين كانوا يسمونهم بالمحتسبين يجبون الخراج من البلاد بطرق نظامية وكان مقداره خمس الاموال المتحصلة وأحيانا كان ينخفض الى العشر فى بعض الجهات

(ورفع) عن الاسبانيين اصر الاستعباد القوطى الرومانى فكانوا فى عهد امين على انفسهم واولادهم ودينهم وحريةهم وعاداتهم يحكمون انفسهم بانفسهم فيفصل بينهم فى المنازعات قضاة منهم وفى احوالهم الشخصية قسوسهم لانكافهم حكومة الفاتحين الادفع الخراج فاذا ألفوا حكم العرب

لما ولى عبد العزيز جزيرة الاندلس تزوج ايلة (اچلا EGILA) أرملة الملك رذريق وهى احدى الرهائن التى انتقاها موسى من اشراف ماردة وبقيت على دينها وسماها زوجها أم العصم أى القلائد (١) ويقول بعض المؤرخين ان هذا الزواج أثر فى اخلاق الوالى فعامل نصارى اسبانيا بالحسنى وان ايلة قبل الزواج كان لها رأى فى عقد الصلح بين عبد العزيز وتدمير وان اعداء عبد العزيز

١ كعنب جمع عصمة وهى القلادة كذا يقول بعض المؤرخين وفيه مناسبة ظاهرة وفي نفح الطيب انه سماها ام عاصم وغير ظاهر لهذه التسمية مناسبة وقيل انه سماها ايضا زهرة بنت عيسى يريد انها وردة المسيحيين

من العرب نقموا عاميد المغالاة في استرضاء النصارى المغلوبين وعدوا
سكوتهم عن اخضاع الملتجئين منهم الى استوريا نحو الشمال تشيما
اليهم فانه بعد ان فتح لوزيتانيا LUSITANIE (المعروفة الآن
بالبرتغال) لم يتجاوز نهر دويرة بل رجع الى اشبيلية واقام فيها يدير
دولاب الحكومة وما زال عُمَّالُه يفتحون الشمال الشرقي حتى استولوا
على مدينة پبلونه PAMPELUNE ومارجبال البشكنس وبالغوا
في التنديد به حتى رموه بالتنصر وهو برائه لما يفترون اذ لم يقيم على
دعواهم دليل

بَلَّغُوا مَثَالِبَ افتروها على عبد العزيز الى الخليفة سليمان بن عبد
الملك فدفعه سخطه على موسى ان اتخذ رسالتهم حجة للامر بقتل
ابنه والى الانداس . جاء هذا الامر الى خمسة من رؤساء الجيش المحتل
اسبانيا فضربوا عبد العزيز بالسيوف ضربة واحدة وهو يصلى في
المسجد صلاة الصبح وقطعوا رأسه ووضعوه في علب تملئت عنبرا وارسلوه
الى الخليفة ودفنوا جثته في داره سنة ٩٧ للهجرة (٧١٥ للميلاد) وكانت
مدة حكمه نحو ثمانية عشر شهرا

عرض سليمان الرأس على موسى فتجالد للمصيبة وساءت ايامه
الاخيرة حتى مات في وادي القرى حزنا على ابنه سنة ٩٧ للهجرة
(٧١٦ للميلاد)

تجاوز سليمان حدود الانسانية والدين واتبع هواه في الانتقام

من مومي وفي قتل ابنه عبد العزيز وهي إحدى زلاته
طارق ويوليان وإيلة أيامهم الأخيرة مجهولة لم يذكر المؤرخون
عنها شيئاً

(١٥) جاء في نفح الطيب أن أولاد غيطشه سألوا طارقاً بعد
الفتح أنت أمير نفسك أم فوقك أمير فقال بل على رأسي أمير وفوق
ذلك الأمير أمير عظيم فاستأذنه في اللحاق بموسى بن نصير بأفريقية
فأذن وعرفه بشأنهم وما أعطاهم من عهده وهذا أنفذهم إلى أمير
المؤمنين الوليد بدمشق وكتب إليه بما عرفه به طارق من جميل أثرهم
فلما وصلوا إلى الوليد أكرمهم وأنفذ لهم عهد طارق في ضياع والدهم
وعقد لكل واحد منهم سجلاً فقدموا إلى اندلس وحازوا الضياع
أجمع واقتسموها على موافقة منهم فصار منها لكبيرهم (المند) ألف
ضيعة في غرب الاندلس فسكن من أجلاها اشبيلية وصار لأرطباش
ألف ضيعة في الوسط فسكن من أجلاها قرطبة وصار لرملة ألف ضيعة
في شرق الاندلس وجهة الثغر فسكن من أجلاها طليطلة فكانوا على
هذه الحال صدر الدولة العربية إلى أن هلك المند وخلف ابنته ساره
وابنين فبسط يده (أرطباش) على ضياعهم فسارت ساره إلى الخليفة
هشام بدمشق فشكت ظلامتها من عمها فكتب إلى حنظلة بن
صفوان عامله بأفريقية بانصافها من عمها وامضائها وأخويها على سنة
الميراث فيما كان في يد والدهم اه من حديث طويل صحيفة ١٢٦

(١) مات سليمان في ٣١ صفر سنة ٩٩ - ٣ أكتوبر سنة ٧١٧ بعد أن حكم سنتين وثمانية أشهر وفي عهده غزا أخوهم مسامة بن عبد الملك أرض الروم وحاصر القسطنطينية وفتح يزيد بن المهلب عامل خراسان جرجان وطبرستان

امراء اسبانيا بعد عبد العزيز

(١٦) (أيوب بن حبيب) بعد قتل عبد العزيز أقام الجنود مكانه شجاعا اشتهر في حروب افريقية وهو أيوب بن حبيب اللخمي ابن اخت موسى (٧١٥ للميلاد) فكان من اعماله ان جعل قرطبة كرسى الامارة بدل اشبيلية وزار اسبانيا كلها ونشر لواء العدل بين أرجائها وعاقب القضاة الظالمين واخذ يرتق فتوق الحروب الماضية وبني فوق آثار مدينة بلبليس BILBILIS مدينة سميت باسمه (قلعة أيوب) ولم تطل مدته فان والى افريقية محمد بن يزيد عزله بعد ان حكم

١ في تاريخ رومي مترجمته (قال بعض المؤرخين ان اولاد غيطشة قتلوا في واقعة وادي لكة وقال آخرون انهم عاشوا واغلب المؤرخين لا يسمون غيطشة بل ولدين ايوان EVAN وسزبوت SISIBUTH وزعم مؤرخ عربي ان له ثلاثة اولاد ألمند ALMONDO ورملة ROMLAH وارماباش ARTHABAS واهم اسلموا وقطفوا باسبانيا وكان لهم ذرية فيها - وليس من السهل اثبات هذا الزعم الصادر من كاتب متأخر عدة قرون لم يذكر مصدر ما زعمه اه

سنة اشهر حين جاء أمر الخليفة سليمان بعزل اللخمين (قبيلة موسى)
 (١٢) (الحرب بن عبد الرحمن) وولى مكانه الحر بن عبد الرحمن
 الثقفي في ذي الحجة سنة ٩٧ للهجرة فحكم سنتين وثمانية اشهر — يعزو
 اليه بنس المؤرخين فتح اقليم أربونة (نربونه NARBONNE)
 من بلاد الغال لكن المحققين منهم ينسبون ذلك الى خلفه ويقولون
 « انما كان يتأهب لفتح (سبانيا) اذ ثارت ثورة نصارى (استوريا)
 في الشمال الشرقى فشغلته من مأربه » كان قاسيا في أحكامه يعاقب
 عقاباً صارماً على أقل الهفوات فكثرت شكاوى الاهلين منه الى
 الخليفة عمر بن عبد العزيز فعزله وأقام مقامه (٨) (السمع بن مالك
 الخولاني سنة ١٠٠ للهجرة (٧١٥ للميلاد) فأول أمر عني به أن نظم
 ادارة البلاد وزار أقاليم اسبانيا وتفقد أحوالها وأحصى الاهلين
 وأملاكهم في سجل أرسله الى الخليفة ووصف له مدائن الاندلس
 وأنهارها وثغورها وتجارها ثم تأهب لفتح سبانيا فجاوز جبال
 البرت نحو الشمال الشرقى واستولى على أربونة (نربونة) بعد حصار
 ٢٨ يوماً فخضعت له المدن التابعة لها ثم أوغل في الدخول في أرض
 الفرنج حيث امتد الفزع الى ما فوق نهر الرون واستولى على مدائن
 كثيرة وعاد الى نربونه مثقلاً بالغنائم ومعه عدد عظيم من السبي ثم
 أعاد الكرة مسرعاً وصعد الى (وادي اود AUDE) وحاصر
 مدينة طلوشه وكادت المدينة أن تسلم اليه قيادها لولا أن أنجدها
 (٣ — تاريخ العرب في اسبانيا)

(الدوق اودس LE DUC EUDES) بجيش جرّار يسد غباره
عنان السماء فلما رأى المسلمون كثرة عدد الاعداء هالهم الامر
فشجعهم السمع وقال لهم « لانهولنكم كثرة العدد فان الله معنا » .
اصطدم الجيشان كأنهما جبلان وحمى الوطيس واحتدمت نار القتال
وسالت دماء الابطال على ظلمات السيوف حتى خجل منها وجه
الصحصحان واستمر الحال طويلا دون أن يظفر أحد الفريقين
بالآخر والسمع يصول على صفوف العدو كالاسد الغضبان فيبدد عقد
نظامها والدم يسيل من سيفه على ذراعيه الى جسمه وكانت أعماله
الخارقة للعادة تشد عزائم جنده ولكن قل أن ينجو قائد يقاوم
بشخصه جيشا فقد أصابه عدة طعنات خرّ منها صريعا فعندئذ
خارت عزائم اصحابه ثم ثابت اليهم شجاعتهم واجتهدوا في صد هجمات
الاعداء ولكنهم تكاثروا عليهم حتى أفنوا ثلثيهم ولكن كثرة قتلى
المسلمين امام طلوشه سموا مكان الملاحمة بلاط الشهداء وتاريخ هذه
الواقعة ٩ ذى القعدة سنة ١٠٢ (١١ مايو سنة ٧٢١)

ثم اجتمع الباقون من الجيش تحت قيادة عبد الرحمن الغافقي
ذئد الشاطيء الشرقى من الجزيرة فانه امتاز في هذه المعركة عن
اقرانه بالشجاعة والفتك بالعدو فارتد بهم الى اربونة سالمين من
جنود اودس التي كانت اقتفت آثارهم

لما بلغ عنبسه الذى اقامه السمع مقامه في ادارة الحكومة عند توجهه للغزو

هزيمة الجند في طاوشه اسرع في تجهيز فرقة وارسلها لتتجد اربونه
فساعدت عبد الرحمن على اطفاء نار الثائرين من نصارى القوطيين
ومن نصارى سكان جبال البرانس في مدينة ياقه YACCA

٢٤ (عبد الرحمن الغافقى) عند وصول المنهزمين الى اربونه
انتخب المساهون عبد الرحمن اميرا على اسبانيا لما عهدوا فيه من
السماحة والكرم والنبيل والشهامة والشجاعة ومحبة الجند اياه وقدرضيت
اسبانيا الشرقية عن هذا الانتخاب ولكن عنبسة وضع عقبات في
طريقه فباغ الامر الى ولاية افريقية لكنها اقرت انتخاب عبد الرحمن
في هذه الاثناء مات الخليفة يزيد بن عبد الملك في دمشق
في ٢٥ شعبان سنة ١٠٥ للهجرة (٢٧ يونيو سنة ٧٢٤) وخلفه
اخوه هشام

اغضبت حكومة عبد الرحمن في اسبانيا بعض الرؤساء ولم ييأس
عنبسة من نيل الامارة فكتبوا الى والى افريقية بشر بن حنظلة بن
صفو ان يتدمرون من امارة عبد الرحمن : ما بنحسوه قدره فيما كتبوه
ولكن رموه بالاهمال في ادارة البلاد وبالتبذير في الأعطية التي
لا تلائم (على زعمهم) أخلاق الزهد والقناعة في المسلمين

٣٠ (عنبسة بن سحيم) أدى ذلك كله الى عزل عبد الرحمن
واستعاضته بعنبة بن سحيم وهو جدير بأن يخلف سلفه لذكائه
واستعداده - ما أغضب عبد الرحمن أن عزل بل رجع هادئا كأن لم

يكن في الامر شىء الى ادارة اقليم الشرق من اسبانيا ومن كرم اخلاقه ان هنا الامير الجديد بعبارات تشف عن اخلاص وتوحد عظم الوفاق توجهت عزيمة غنيسة الى أن يتم المقصد الذى فتح باب السمع فبعث البعوث الى سبانيا فاجتهدوا في أن يستردوا المواقع التى اضطر المسلمون الى الجلاء عنها فلم يستطيعوا الا أنهم حافظوا على تربونه التى كانت مركز أعمالهم الحربية فرأس بنفسه تجريدة قوية سار بها حتى هجم على قرقشونه CARCASSONNE وفتحها عنوة وكانت لم تؤخذ قبل ثم اتجه نحو الشرق فخضعت له البلاد التى بين قرقشونه ونيموسة أو (نيمة) NIMES صلحا وكان يأخذ من أهلها رهائن للبقاء على الطاعة ويترك لهم حرية الدين — ثم توجه نحو الشمال حتى بلغ وادى الرن RHONE (١) وأخذ مدينة ليون ثم توغل في الدخول مقتنيا مجرى السون SAONE الى أن بلغ برجنديا BURGUNDIE وأخذ أوتون AUTUN وعاد مثقلا بالغنائم لكن هجم عليه أعداؤه فاصابوه بجروح أودت بحياته بالقرب من تربونه في شهر شعبان سنة ١٠٧ للهجرة (آخر سنة ٧٢٥ للميلاد) . قائد غنيسة قبل موته (٢٤) عنزة بن عبد الله (٢) امرة الجيش ولكن الأهلين استدعوا من وإلى افريقية بشر ابن صفوان أميرا آخر فانفذ اليهم (٢٣) يحيى بن سلامة الكلبي في

١ في التواريخ العربية يسمون وادى الرن (وادى رودنة) ومدينة ليون (مدينة لورون)

٢ بعض المؤرخين لا يعدون عنزة من امراء الأندلس

شوال سنة ١٠٧ وكان شهما شجاعا عادلا لكن قسوته هيجت عليه
 شيوخ لقبائل فطلبوا من عبدة بن عبد الرحمن السلمي استرداد يحيى
 فاجاب طلبهم وأرسل اليهم (٢٣) حذيفة بن الاحوص القيسى
 ولكن هذا كان غير كفء فلم يحفظ مركزه الا شهرا وعزل (٢٤)
 وخلفه عثمان بن ابي نسعة فلم يستقر في الامارة حتى كثر شاكوه فخلع
 وولى الخليفة بدله (٢٥) الهيثم بن عدي الكلابي في المحرم سنة ١١١
 (افريل سنة ٧٢٩) فقسا على الأهلين وظلمهم فمقتوه وشكوه الى الخليفة
 فأرسل هذا (٢٦) محمد بن عبد الله (١) لينظر في ظلاماتهم
 ويمزل الهيثم اذا وجد مجرما ففعل وعزله وبقي في اسبانيا يدير شؤونها
 بالحكمة والسداد نحو شهرين .

(٢٧) عبد الرحمن الغافقي (ولايته الثانية) . ثم القى مقاليد
 الحكومة الى عبد الرحمن الغافقي بأمر الخليفة هشام بن عبد الملك سنة
 ١١٣ للهجرة فسرت عودة هذا الامير الجند والاهلين لما عهدوه فيه من
 الحكم بين الناس بالعدل لكن البربر نظروا ذلك بعين الحسد .
 لما تقلد عبد الرحمن ولاية اسبانيا ثانيا زار أقاليمها ووطد دعائم النظام
 في انحاءها وجعل السكان سواء في الحقوق والمزايا وان اختلفوا في الدين
 ثم شرع يتأهب لفتح بلاد الغال GAULE أو غاليا GALLIA التي
 خلف جبال البرانس من الشمال وكانت تعرف بالارض الكبيرة وهي

فرنسا الآن

كانت تقسم هذه البلاد حين قصدتها عبد الرحمن الى أقاليم (١) اقليم سبانيا في الجنوب الشرقي وقصبتها نربونه (أربونه) وكان قد دخل في حيازة المسلمين من جبال البرت الى نهر الرون (٢) واطليم اكيثانه AQUITAINE على شمال وغرب سبانيا وفي جنوبه جبال البرانس وشماله نهر اللوار LOIRE وشرقه نهر الرون وغربه البحر المحيط وقصبتها طولوشه يحكمه أمير من الفرنك أو الفرنج يسمى الدوق أودس (٣) واطليم نوستريا NEUSTRIE في شمال نهر اللوار من الغرب (٤) واطليم أوسترازيا AUSTRASIE في شمال هذا النهر من الشرق وكان يحكمه أمير من الفرنج ايضا يسمى (شارل) أوقارله أوقلدوس . CHARLES . أودس وشارل كلاهما كان يخشى الآخر ويحذر بطشه والغاليون يكرهونهما معا لانهما من الفرنج الذين جاؤا من جرمانيا وتغلبوا على بلادهم

دعا عبد الرحمن المسلمين من اليمن والشام ومصر وأفريقية الى غزو الفرنج والتغلب على غاليا فلبى دعوته أقوام لا يحصون عددا فبعي منهم جيشا جرارا وقصد ان يستولى أولا على اكيثانه ثم نوستريا فان من ملك بردو وپواتيه وطررس وباريس فمن السهل عليه أن يدفع الاوسترازيين الى اوطانهم القديمة خلف نهر الرين RHIN فلو تم ذلك لعبد الرحمن لأصبح أهل فرنسا وان شئت قلت أهل اوروبا

من المسلمين

بينما عبد الرحمن على قدم الرحيل اذ بلغه أن أوامره غير مطاعة لدى محافظ التخوم الشرقيه . هذا المحافظ هو عثمان بن ابي نسعة - كان بربريا وسبق أن تولى اماره الجزيرة وكانت نفسه تواقه الى أن تعود اليه الامارة فرأى بعين السخط والكراهة ارتقاء عبد الرحمن الى هذا المنصب الذي كان يبتغيه لنفسه وكان له نفوذ قوى في الاقاليم التي كان يحكمها وكان من بينها سردانية CERDAGNE (١) وجميع ماوراء جبال البرانس الى وادي أودس فانه أسكن في هذه الاقاليم عدة قبائل من البربر وكون له فيها حزبا قويا - وفوق ذلك عاهد (٢) دوق اكيثانه الذي كان يهدد بلاده عبد الرحمن ولتوطيد دعائم هذه المعاهدة تزوج عثمان ابنة الدوق المسماة لمباچه LAMPAGIE - اضطر الدوق الى هذه المعاهدة ان قارله كان يهدده من الشمال وعبد الرحمن

١ سردانية بلاد سى سنفي جبال البرانس قسم منها في اسبانيا والآخر في فرنسا

٢ في تاريخ رومي وكندي ان الذي عاهد اودس هو عثمان بن ابي نسعة كما ذكرنا وقال بعض معاصرينا « انه المنبذر فان ايزيدور سماه MUNUZA وان هذا تحريف منبذر والمنبذر افريقى وابو نسعة لحمي أي من العرب » . من المشكل أن جعل رومي عثمان بن ابي نسعة جهنيا في صفحة ٩٥ من الجزء الثالث من تاريخه (أي من قبيلة جهينة احدي قبائل العرب) وبربريا في صفحة ٩٩ أي من بربر افريقية الشمالية) وجعله ذلك البعض لحميا وفي تفح الطيب صفحة ٦٩٦ انه خنعمي

من الجنوب ومن أجل هذه المعاهدة عزم ابن ابى نسعة أن يقاوم
عبد الرحمن ويصدّه عن اكيثانة ولكن هذا ما امهله حتى يتأهب
للمقاومة بل أسرع وأرسل اليه تجريدة قوية تحت امره ابن زياد
وأمره أن يجيء به حياً أو ميتاً فباغته في عاصمته المسماة مدينة الباب
قبل أن يستعد للدفاع فأسرع الى الفرار هو وزوجته وبعض خدمه
فاقتنى ابن زياد بدون ريث آثاره في مضائق الجبال حتى أدركه. قيل
انه القى بنفسه في هاوية لثلا يقع حياً في أيدي اعدائه وقيل انه قاتلهم
حتى قتلوه طعنًا بالرماح وقطعوا رأسه وقبضوا على لمباچه وأرسلوها
والرأس الى الامير عبد الرحمن فاطمان اذن على داخل الجزيرة واتجه
بجيشه الجزاره تخفق فوق رؤسهم الاعلام البيض (١) الى اقليم ياقه
واجتازوا جبال البرانس وأغاروا على (نوتمپولاني

NOVEMPOPULANI) وأوغلوا في الدخول في اكيثانه حتى
وصلوا الى مدينة بوردو فاجتهدت في ان تقاومهم فما افلحت بل
سقطت في ايديهم ونهبوها

الى هنا كانت الشؤون ميسرة للعرب وحظهم قائماً لانهم كانوا
ينفرون الى كفاح العدو خفافاً لكن بعد ذلك ابتداء قيام عقبات في
سبيلهم فان اثقالهم من الامتعة والغنائم الواسعة جعلتهم يثاقلون عن

١ بنو أمية كانوا يتخذون الاعلام البيض وبنو العباس الاعلام السود
والفاطميون الاعلام الأخضر

السمى في اتمام المأرب الذي وجهوا اليه فعبروا بمشقة نهر جارون ثم
نهر دوردونيا حتى تقابلوا أخيرا مع الدوق اودس وقد جاءهم بجيش
عمرم في مكان يسمى (جير وند GIRONDE) فاقتتل الفريقان
ودارت الدائرة على الدوق فقتل من جيشه كثير وانهزم الباقون
وخلصت ا كيتانة للمسلمين فاستولوا على مدائنهم وقراها وغنموا غنائم
لا تحصى يقال انه كان في نصيب كل جندي من الذهب والزمرد
والسوسن والياقوت ما كاد ينوء بحمله خلا طعامه وعدته التي يقاتل
بها ثم ساروا الى الأمام بدون ان يعارضهم معارض حتى ظهروا أمام
مدينة (بواتيه) فاخذت في مقاومتهم لكن أحد ارباضها كان غير
حصين فاخذوه واحرقوه وكان فيه كنيسة القديس (هيلار
HILAIRE) فصارت رمادا تذروه الرياح ومع هذا ثبتت المدينة
على المقاومة

عندئذ استولى على عبد الرحمن التردد بين ان يثبت على حصارها
أو أن يسير الى مدينة طورس حيث توجد الاعلاق النفيسة والاموال
الطائلة في دير القديس (مرتين MARTINE) رسول الغاليين لكن
لما بلغه أن اودس اضطر بعد هزيمة بوردو الى ان يطلب من عدوه
قارله المساعدة على صد العرب وانهما اتحدا بعد ان استحکم النفور
بينهما زمنا وجاءا بجيش ذى بأس شديد كثير العدد والعُدَد ان هذا
الجيش عبر نهر اللوار زال تردده ورحل عن بواتيه . تقابل العرب

وجموع الجرمان عند نهر اللوار بالقرب من طورس في اكتوبر سنة ٧٣٢ ب م ودارت رحى الحرب بين الفريقين وكانت معركة هائلة تعد من المعارك التي لها شهرة في تاريخ العالم باسره استمر القتال فيها يومين بدون ان يظهر أحد الجيشين على الآخر ولكن الامير عبد الرحمن قتل في حومة الوغى وفي ليلة اليوم الثالث انسحل الحرب سرا مع أنهم لم يقهروا راغبين أن يحفظوا ما بأيديهم من الغنائم التي جمعوها وان لا يعرضوها لخطر هذه الحرب الشعواء ورؤساء الفرق كانوا يتوقعون عصيان جنودهم واتباعهم

هذه الواقعة وضعت حدا لامتداد الاسلام في اوروباء الغربية . يظهر ان جيش عبد الرحمن لم يسلك طريق السيادة التي اتبعها طارق ودهوسى وابنه عبد العزيز وغيرهم ممن حذا حذوهم في فتح البلاد فان هؤلاء كانوا اذا رأوا الطاعة من الاهلين أمرهم على أرواحهم واموالهم واكتفوا منهم بالجزى ولا يمسون دينهم ولا قضاءهم لكن يضعون دساتير تدور عايتها الشؤون الاهلية تحت سلطان قادة من المسلمين فبهذا كان الاهلون يخلدون الى حكمهم

كان يمكن عبد الرحمن ان يتخذ معاهدة عثمان واودس وقيام الشحنة بين هذا وقارله وبنض الغاليين لها لانهم من الجرمان درائع للاستيلاء على اكيثانه وأسترازيا لكنه اقترب قتل عثمان وحزبه من البربر قوى ساكنة في الشرق والشمال الشرقي وكان لا يعدم وسيلة

الى استمالته وتوجيهه الى مشاركة اودس في قتال خصمه قارله فاذا
قهره زاد نفوذ العرب في ارض الغال وعرفوا دخائلا واستطاعوا احوالها
وعندئذ تنضج البلاد لتؤكل سائفة

بعد ان عبر جنود عبد الرحمن المختلفة الطوائف جبال البرانس
يؤخذ من سير حوادثهم منهم ما وجهوا عزائمهم الا الى النهب والسلب
والفتك بالارواح وتخريب البلاد واحراقها وتركها يباباً لا الى فتحها
وادخالها في داعة المساهين وحكمهم واقامة حاميات تحفظ الامن
في ارجائها وتولية ولاية يديرون شؤونها بالقسطاس المستقيم كما كان
الحال في فتح اسبانيا

لو كان هذا امكن من الميسر للجنود أن يودعوا أنفسهم من
غنائم الحرب في البلاد المفتوحة لانهم ينشرون بحملها في ميادين
القتال فترحمهم عليها كان سبب فشامهم وضياعها . ومما ادى ايضا الى
فشل جيش عبد الرحمن (١) وقوع النفور بين العرب والبربر الذين هم
من حزب ابن ابي نسعة المقتول (٢) وكذا تتابع القتال وقتل الرجال
بدون مدد يسد الخلل (٣) والتمادي في الغزو بدون توطيد دعائم
السلطان والحكم والامن فيما تركوه خالف ظهورهم من البلاد التي
اغاروا عليها وتنص علاف الخليل الذي ادى الى فيض كثير منها .

لما بلغ والى افريقية موت عبد الرحمن ولي (٣٨) (عبد الملك بن
قطن الفهري) اماراة الجيش في اسبانيا واقره الخليفة وامره ان يأخذ

بالبشار من الافرنج فوعظ المسلمين وحرّضهم على نجدة عمالائهم
المهددة خلف جبال الابواب وارسل عدة تجر يدات تحت امرة قواد
ماهرين وتخلف هو في قرطبة لادارة البلاد التي كانت اختلت
ولكن جاءه امر الخليفة بان يقوم ويترك كرسى الامارة ويحارب
الافرنج بنفسه فلما وصل الى مضايق السفح الشمالى وقد حان فصل
الامطار بغته نصارى الجبال بالهجوم وكانوا يترقبونه في الممر فاضطر
الى التقهقر وتبدد شمل جيشه — هذه الهزيمة اضعفت ثقة قبائل
اسبانيا فيه وعزله والى افريقية في الحال وولى مكانه اخاه (٢٤) (عقبة بن
الحجاج) لما ظهره في محاربة الثائرين من بربر افريقية من القدرة والشجاعة.
بمجرد وصوله الى اندلس عزل القواد المغلوبين والعمال الذين
استأثروا بمال الحكومة واكلوا اموال الاهلين ظلما ثم عني بادارة البلاد
فاقام في المدن والقرى قضاة وفي الاقاليم ولاة وعين مع كل والى اقليم
شرطة اى جيشا مسلحا يحفظ الامن في البلاد ويبقى ثابتا فيها وكان
الشرطيون يسمون كشافا لانه كان من عملهم كشف الاشرار اى
الوقوف عليهم وامر باحصاء عدد الاهلين ووضع نظاما عادلا للخراج
واشتهر عصره بانشاء مساجد كثيرة بجوانبها مدارس فانه كان من
عادة العرب ان ينووا بجانب كل مسجد مدرسة وكان لهذه المساجد
خطباء ومدرسون يعلمون الناس الدين
وعرف عقبة بين الناس بالزاهة والاستقامة والعدل والتمسك

الشديد بالمحافظة على الحق وبأنه صعب المراس فيه فلا يثنيه عنه ثان .
لما ظهر له براءة عبد الملك مما اتهم به اعاده الى المناصب العامة فقلده
ولاية التخموم الشمالية أى (نقارة) و (ارجونه) وجعل مقره (پيلونه)
بعد ان تم الاصلاح فى اسبانيا جاء كتاب من الخليفة هشام
يأمر فيه عقبه بغزو الفرنجة (بلاد الغال) فتبهاً لان يجتاز جبال البرانس
فوصل الى سرقسطة وعزم على أن يجعلها مركز أعماله وأمر والى
سبتمانيا يوسف الفهرى أن يهاجم شواطئ نهر الرون اثناء ما يغير
هو على اكيثانة لكن لم تنفذ هذه العزيمة فان اخاه والى افريقية
دعاه اليها لاطفاء ثورة البربر التى أبادت قوة الخليفة هناك فعاد الى
قرطبة ثم اجتاز النهر وأسرع الى افريقية ومعه فرقة من الفرسان
(سنة ١١٩ للهجرة — ٧٣٧ للميلاد) وعند وصوله الى طنجة اتحد
هو والقواد وساروا نحو البربر فبددوا شملهم وسكنت الفتنة لكن
عقبه اضطر الى البقاء فى افريقية زمنا ولم يعد الى اسبانيا قورا خشية
أن يتجدد عصيان البربر — بلغه ان قارلة حاصر نريونه فأرسل
جيشا فى السفن تحت امرة عمر بن خالد لانقاذها فلما وصلوا الى
ساحل سبتمانيا أوقع بهم قارلة الذى كان متربحاً وصولهم ثم انهمل من
طول زمن الحصار فترك نريونه ورجع الى بوسترىا والذى يظهر ان
المدد هو الذى انقذ المدينة واضطر قارلة الى العودة
عاد عقبه الى اسبانيا فوجدها مختلة النظام وعمالها على غير وئام

الا انه رأى عبد الملك ساعيا في خير رعيته موطدا دعائهم الامن في
أقاليم الشمال محافظا على النخوم فكتب اليه يشكره على حميته وجايل
أعماله وأرسل اليه مددا بين فرسان ومشاة

في سنة ١٢٢ للهجرة (٧٤٠ للميلاد) مرض عقبة ومات اثر
مرضه (١) خلفه في الامارة (٣٠) (عبد الملك) فكانت ولايته الثانية
وكان وقتئذ في سرقسطة فاقام ابنه أمية حاكما في طليطلة وعبد الرحمن
ابن عقبة عاملا على قرطبة

بعد موت عقبة ثارت قبائل البربر في أفريقية مجتمعة تحت لواء
خالد الزناتي فخاربهم الامير كلثوم بن عياض فهزموا جيشه وقتلوه وقيل
جرحوه وفرّ الى سبتة

لما وصل خبر هذه الهزيمة الى الخليفة هشام قلّد حنظلة بن صفوان
والى مصر ولاية أفريقية وأمره بكبح جماح البربر فأسرع الى المغرب
يقود جيشا عرمرما فوصل في رجب سنة ١٢٥ للهجرة (مايو
سنة ٧٤٣ للميلاد)

يؤخذ من (تاريخ رومي) « ان الجيش كان مركبا من أمم

١ وفي رواية ان عقبة حكم خمس سنين يصحبه الجند الى ان تار عليه عبد
الملك وخلصه وقتله أو طرده من اسبانيا — وقيل ان الشعب الاسباني هو الذي
تار على عقبة في صفر سنة ١٢٣ (ديسمبر سنة ٧٤٠) في السنة السابعة من
حكمه وأقام مقامه عبد الملك وانه مات في الشهر الذي خلع فيه في قرقشونة

مختلفة فكان فيه العرب والشاميون تحت قيادة ثعلبة بن سلامة
والمصريون وسكان برقة تحت امره بلج بن بشر وسكان المغرب
الذين هم من ذراري فاتحي البلاد تحت قيادة حنظلة نفسه وانه لما
التحم الفريقان وحى الوطيس واشتدت سورة الفيض اضطرب فرسان
المصريين والشاميين الى ان يتركوا ميدان القتال تسيل فيه الدماء
وتغطيه اشلاء القتلى الى المغاربة ذوى الصبر والجلد وجؤا الى الفرار
ولاذوا بسبته ومعهم القائدان بلج وثلعة وقيل ان بلجا لاذ بسبته مع
عمه كلثوم والى افريقية قبل حنظله بن صفوان

اقر الخليفة هشام عبد الملك بن قطن في اماره اسبانيا سنة ١٢٥

للهجرة (١)

قال روى المؤرخ « لما بلغ عبد الملك وهو في سرقسطة التجاء
جنود المصريين والشاميين الى سبته تحت قيادة بلج وثلعة خشي
ان يحدوا قلاقل في اسبانيا فمنعهم من الدخول فيها (٢) لكن نشأ
عن هذا المنع ان حنق أعداء عبد الملك عليه ورثوا لهؤلاء الجنود
البائسين وعزموا على ان يستقبلوهم في اسبانيا رغما عنه وعلى ان يخلعوه

١ في السادس عشر من ربيع الثاني من هذه السنة مات الخليفة هشام في
الرصافة بعد ان حكم تسع عشرة سنة وسبعة أشهر وأحد عشر يوما وكان عمره
٥٣ سنة ٢ قال كندي المؤرخ (١) ان عبد الملك أسف من جهة على هزيمتهم
لكنه خشي من أخرى ان يحدوا قلاقل في اسبانيا فكتب اليهم ان لا يتجاوزوا
الشاطيء وان يعودوا سريعا الى افريقية

فاجتاز بشر وثعلبة بمعونتهم المجاز في أواسط سنة ١٢٥ (٧٤٣)
لما بلغ بربر أسبانيا خبر انتصار اخوانهم في افريقية ملئوا فرحا
وحماسة وهبوا لأن يلقوا نير حكم العرب عن كاهلهم فثاروا في ثلاث
نقط : فرقة منهم اتجهت الى طليطلة التي كان حاكمها أمية بن عبد
الملك وأخرى جاءت على قرطبة وعاملها عبد الرحمن بن عقبة
وثالثها اتجهت نحو الشاطئ لينضموا جنود بلج ووثعلبة من المجر الى
الأندلس فخاب أمل البربر في النقاط الثلاث : فان فرقة طليطلة قاومها
أمية وفرق شملها وفرقة قرطبة دفعها عبد الرحمن والفرقة الثالثة انقضت
عليها جنود سبتة ومن انضموا اليهم من العرب وانحنوا فيها ثم اتجهوا
الى قرطبة ناقلين على عبد الملك لرفضه قبولهم في أسبانيا
حينئذ قرر أهل قرطبة ان يسموا أميرهم إماما لانهم يكرهونه وإماما
خشية من قساوة بلج وحزبه فربطوه في قنطرة بين خنيزر وكلب
الى ان جاء بلج وقطع راسه وعلقوه على باب المدينة سنة ١٢٥
(٧٤٣) هـ

صرح رومي في عبارته هذه بان فرقة من البربر اتجهت نحو مجاز
طارق لتتبع جنود بلج ووثعلبة من اجتيازه وبان هؤلاء الجنود قاتلوا
البربر بعد أن عبروا المجاز لكن لم ينجح في تاريخ كندى (CONDÉ)
ان فرقة من ثائري البربر اتجهت لصد العرب القادمين بل ذكر
« ان المنهزمين من طليطلة وقرطبة انضموا الى جيش بلج ووثعلبه

فاجتمعت لهما بهم قوة كثيرة العدد فخاربا جنود عبد الملك وهم من العرب حتى ان هذا الامير كتب اليهما وهو في قرطبة أنه ليس من الحكمة ضم جنودهما الى ثايرى الاندلس وأنه كان الاجدر بهم ان ينضموا الى جيش العرب للاتحاد في الاصل واللغة وان يعضد بعضهم البعض بدل أن يجعلوا بربر المغرب والاندلس يحنون الثمرات من وراء شقاقهم واهلاك بعضهم بعضاً وذكروا ان الاندلسيين ما خضعوا الا بالسلاح ويخشى ان يهبوا لاختار ويستردوا حريتهم وأشار على بلج وثعلبة أن يحتلا جزيرة شلطيـش SALTIS الى أن يعود النظام وتجري المياه في مجاريها ويرجعا الى افريقية فان في هذا سلامتهما وان بلجا وثعلبة لم يعيرا هذه المعقولات آذانا واعية بل اتخذها دليلا على ضعف وخوف عبد الملك

وأن أهل قرطبة هلعوا من زوبعة الثورة وذعروا من قساوة البربر فأرادوا أن يخدموا نار هيجان الثايرين بتسليم أميرهم عبد الملك فربطوا هذا الرجل الصالح وكان مجروحا جرحا بايغا... الخ»

(٣٢) عندئذ اعلنت المدينة والجند امارة بلج بن بشر على اسبانيا ولكن ثعلبة بن سلامة الذي جاء معه من افريقية لم يعترف له بهذه الامارة قائلا « ان تولية ولاية اسبانيا من حقوق الخليفة ووالى افريقية لا من حقوق الاهلين والجنـد » وانضم لرأيه أغلب قبائل اسبانيا ثم توجه هو وحزبه الى ماردة

(٤ - تاريخ العرب في اسبانيا)

في هذا الحين كان يتنازع سلطان الجزيرة ثلاث قوى : بلج في قرطبة وثعلبة في ماردة وقطن وامية ابنا عبد الملك في طليطلة وانضم اليهما عبد الرحمن بن عقبة وكان فارسا مغوارا وتبعهم العرب الحقيقيون وبقايا البربر فجمعوا جنودا كثيرة وأقبلوا نحو بلج وكان لم يبق معه الا اثناعشر الفا فتقابل الجيشان في سهل قلعة الرحبة CALATRAVA وجرت دماء الفريقين على الصمصحان . في اثناء القتال ألقى بلج بفرسه وسط المعركة ونادى أين ابن عقبة فأسرع اليه هذا مجيبا (هأنذا) وهجم أحدهما على الآخر ولكن كانت طعنة ابن عقبة سابقة فخر خصمه ابن بشر صريعا وأهزم اتباعه الشاميون

في هذه الاثناء كانت رحى الحرب دائرة بين بربر افريقية وحنظلة بن صفوان واليهما فخذ لهم أخيرا وأطفأ نار ثورتهم وعاد غانما منصورا وثاب أهل المغرب جميعا الى الطاعة

بلغ حنظلة حينئذ ما هو حاصل في اسبانيا من المعارك الدموية والاختلال العام في انحاءها فولى عيها واليا جديدا رأى فيه ان يرتق فتوقها وهو أبو الخطار

(٣٣) قبل وصوله الى اسبانيا صار (ثعلبة بن سلامة) حاكم ماردة وقد فتحت له قرطبة أبوابها بعد أن أسر ألف رجل من البربر وجردهم من السلاح وشد وثاقهم وأمر بضرب اعناقهم يوم الجمعة على مرأى من الأمة

كاد أمره هذا ينفذ لولا أن رأى الناس مجيئ (٣٣) أبى الخطار في
موكب حافل فنكروا أسرهم . لم يسع ثعابة إلا الخضوع الى الوالى الجديد
وهذا أرسله الى أفريقية ليسأله واليها عما جناه

بعد هذا توجه أبو الخطار من قرطبة الى طليطلة حيث كان فيها
عبد الرحمن بن حبيب موالى ومحارب ثعابة فطرده منها ثم جاءه محاربو
أبناء قحطان وحيوهم بالسلام باعتبار أنه أميرهم الشرعى ثم أخذ يوطد
دعائم النظام فى الجزيرة بالسياسة والحزم أكثر من القوة الى أن
دخلت كلها فى دائرة سلطانه واعترف اهلها جميعا له بالامارة العامة .
كان شيخا شهاما حذكت التجارب فى الحروب ذا حمية فى العمل الصالح
لما رأى أن الحروب الاهلية الاخيرة أفضت الى أن أصبح كثير من
القبائل بدون مأوى وانه جاء أيضا لاستيطان اسبانيا عدد عظيم من
اليمن والشام ومصر والمغرب أحصى عدد القبائل وحصر الاصقاع
الخالية واسكن كل قبيلة صقعا فأسكن اليمانيين والشاميين المدن
والمصريين وبعض عرب الجزيرة الاقدمين الاندلس والساحل والبربر
اقاليم المغرب والشمال (١) ومن هذا الحين زالت ولاية تدمير التى

١ قال ابن خلدون « كان أبو الخطار شجاعا كريما ذا رأى وحزم أكثر
اهل الشام عنده ولم تجعلهم قرطبة فقرتهم فى البلاد وأنزل أهل دمشق البيرة
لشبهها بها وسماها دمشق وأنزل أهل حمص اشبيلية وسماها حمص لشبهها بها وأهل
قنسرين جيان وسماها قنسرين وأهل الاردن ربة وهى مائة وسماها الاردن وأهل
فلسطين شدونة وهى شريش وسماها فلسطين وأهل مصر تدمير وسماها مصر

عاهده عاينها عبدالعزیز

لم يدم استتباب الأمن في الجزيرة زمانا طويلا فان ابا الخطار
عند قسمة الارض بين القبائل مال الي جانب البنانين شقة من ذلك
المصريون وأيضا لم يرض أن يولي الصميل بن حاتم السراقي (١)
حكومة سرقسطة مع أن بلج بن بشر وعده بها إذ جاء في جنده الي
اسبانيا وكان ذا ذرعة على الحروب وقيادة الجنود واتصل به ثوابه بن
سلامة أخو ثعلبة المنفي الي فريقية فألبا على الوالي اعداءه وثاروا جميعا
الي أن التقوا بجيش ابي الخطار بالقرب من شذونة عى وادى لسكة
فهمزموه وأخذوه أسيرا (في رجب سنة ١٢٧ — افريل سنة ٧٤٥)
وحبسوه في قلعة في قرطبة

(٣٤) عندئذ أعلن الصميل وحزبه امارة (ثوابه بن سلامة) على اسبانيا
فكر أمية بن عبد الملك وعبد الرحمن بن عقبة اللذان كان لهما
قيادة الشمال الشرقى من الجزيرة في إعادة الامارة الي ابي الخطار
فارسلا جاسوسا الي قرطبة سرا فهجم ومعه ثلاثون فارسا من شجعان
المدينة على أحراس السجن فأطلقوا سبيل المسجون وفي اليوم التالى
علم أهل المدينة بما جرى فقاموا لنصرته واعتقل شبانهم السلاح من

(١) كان جد الصميل شعر من اشاف الكوفة وهو أحد قتلة الحسين —
دخل الصميل الاندلس حين دخل كنفوم بن عياف المغرب فآزيا وساد بها وكان
شاعرا كثير السكر أميا لا يكتب ومع ذلك انتهت اليه رئاسة العرب بالاندلس
وكان أميره يوسف القهرى كالمغلوب معه .

أجله ومن فروا من القلعة أخبروا الصميل فجاء وحاصر قرطبة فأخذ
الاهيون في الدفاع عن حوزتهم والندود عن حوزتهم منتظرين النجدة
من أمية فمضوا تحت مرة أبي الخطار ليرزقوا سياج الحصار ففازوا
بعض الفوز على جيش الصميل ولكن بعد أيام أعادوا الكرة فدارت
عاليهم الدائرة وقتل أبو الخطار (في ذي الحجة سنة ١٢٧ — سبتمبر
سنة ٧٤٥)

حينئذ بقي لقب أماره اسبانيا لثوابة واكتفى الصميل بأن يشاركه
في حكم الجزيرة واختص بالأقاليم الشرقية ولقب بوالى سرقسطة
فأساء التصرف وظلما الأهلىن ومات ثوابة في الشهر الاخير من سنة
١٢٨) فاضطر رؤساء المسلمين الى ان اجتمعوا في قرطبة وتشاوروا فيمن
يخلفه فأجمعوا أمرهم على ان يقيموا واليا يكون له السلطان العام على
جميع الامراء فاختاروا لهذا المنصب الخطير رجلا شهما فطنا عالى القدر
(٣٥) لم يدخل في ثورات الاحزاب الاخيرة وهو (يوسف بن
عبد الرحمن الفهرى) (١) أمير سبانيا (ربيع الثانى سنة ١٢٩ —
بين ١٩ ديسمبر سنة ٧٤٦ و ١٦ يناير سنة ٧٤٧) وهذا الانتخاب قبلته
الامة بفرح عظيم اكثر من فرحها بموت ثوابة

زار هذا الامير أقاليم اسبانيا كلها وأزال المظالم وأصلح الطرق

١ جده العالى عقبه بن نافع فاتح افريقية وبنى مدينة القيروان — وكان
عمر يوسف وقتئذ ٥٧ سنة

والقناطر وبنى جوامع عديدة واحصى امم اسبانيا فى الدفاتر وقسم
البلاد الى خمسة أقاليم

الأول اقليم الأندلس ويسقيه النهر الكبير ونهريانه وقاعدته
قرطبة ومن مدنه اشبيلية وقرمونه واستجة وطالقة وشدونه وأركش
ARCOS ولبله ومالقة والبيرة وجيآن

الثانى اقليم طليطلة ومن مدنه الشهيرة طليطلة و باجة ووادى آش
ومرسية ومولة MOULA ولورقة وأريولة والش FICHE (١)
وشاطبة ودانية ولقنت وقرطاجنة وبلنسية ووادى الحجاره

والثالث اقليم ماردة وكان يتركب من أقاليم لوزيتانيا (المعروفة
الآن بالبرتغال) واقليم جليقية GALICE ومن مدنه ماردة واشبونة
(ويقال لها أيضا لشبونه) وبرتقال ولك LEK (ويقال لها أيضا
لوغو LUGO) واسترقة ASTARGA و بطليوس والبيرة

والرابع اقليم سرقسطه وهو قسم طركونة ويشتمل على المدن
الشرقية من قطلونية الجديدة CATALOGNE وهى سرقسطه
وطركونة وچيرونده (ويقال لها أيضا چيرونه CIRUNNE)
وبرشاونه ولاردو وطرهاوشه ووشقة وتطيله TUDELA ونيبلونه وبربشتر

١ فى دائرة المعارف انها يقال لها أيضا آليس وفى تاريخ رومى ان العرب
تسميها ELDJEH الجة

ودياقة DIAKA ويقال لها أيضا جاقه JACCA
والخامس اقليم سبمانيا وهو في الجنوب الشرقى من بلاد الغال
بعد جبال البرت ومدنه الشهيرة أربونه وقرقشونه وبطيراس
BATIERAS وأغاده AGADA ومغلونه MAGUELONNE
ونيموسة NÉMOUSA ونوطبه LOTUBA وكانت سلطة العرب
في هذا الاقليم الاخير تمتد الى نهر الرون

في عهد ما كان يوسف الفهرى يسوس اسبانيا بالحكمة كان
بنو العباس في الشرق ينزعون روح الخلافة من بنى أمية في دمشق
سنة ٧٥٠ للميلاد فسمع دوى الشقاق بين العباسيين والامويين في
اسبانيا وثانت الحروب الداخلية فيها بددت شمل العرب وأضعفت
قواهم وكاد عز الاسلام يتقلص ضل في هذه الديار حتى نزع الامارة
من يوسف الفهرى عبد الرحمن الداخل وجلس على كرسى ملك
اسبانيا سنة ٧٥٦ للميلاد

وبهذا انقضت اماره الامراء ومدتها من دخول طارق الى
انقراض حكم يوسف نحو ٤٥ سنة ميلادية وما كانت اسبانيا في
عهدهم الا ولاية تتبع والى افريقية ومع هذا كان امرؤها المقامون
من قبل الجند يتصرفون في ادارة البلاد تصرف المستقلين

سيرة دولة بني أمية في اسبانيا

﴿ ١ - عبد الرحمن الداخل ﴾

أراد الله ان يكون لبني أمية دولة بالمغرب بعد انقراض دولتهم
بالمشرق فان بني العباس لما فتكوا بهم وانتزعوا منهم الخلافة واستباحوا
دماءهم كي يستأصلوا شأفتهم ويصفو لهم الجو فر من وجوههم عبد الرحمن
ابن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان وابن عشرين سنة (١)
اذأمر السفاح أول الخلفاء العباسيين ان يقتل هو وابن عمه في دمشق
حيث كانا يسكنانها لكن من حسن حظ عبد الرحمن ان كان غائبا
في ذات الزيتون فلما بلغه الخبر فر الى فلسطين واقام هو وخادمه
بدر يتجسس الاخبار

تربى عبد الرحمن في بيت الخلافة الاموية يتيم فقد مات أبوه
معاوية سنة ١١٨ وهو ابن خمس سنين فكفله واخوته جدّهم هشام
عاشر الخلفاء الامويين وكان يقطعده اخماس الاندلس فلماذا كانت
انظار عبد الرحمن ترمى الى اسبانيا

جدّ بنو العباس في طلبه ففرّ منهم الى أفريقية وكان حاكماً بركة
وقتئذ ابن حبيب الفهري وهذا وان كان صنيعه الامويين ولكنه دار

١ ولد في ارباض دمشق سنة ١٣٣ للهجرة. في تقيح الطيب انه ولد بدير
حنان من ارض دمشق وقيل بالعلياء من تدمير

مع الدهر ونسبى احسانهم القديم فارسل جنود الشرطة في الانحاء والطارق ليرقبوا عبد الرحمن ويأتوا به في الاصفاد قائلين لهم « ان اعظم خدمة تؤدى بها الى الخليفة هي القبض على هذا الآبق » جاب عبد الرحمن بلاد برقة على غير هدى بل راكبا التعاسيف ولكنه كان يلقى في كل بلد حل فيه كراما يكرمونه مشواه وكان يدعو القلوب الى محبته شبابه وجمال روائه وسيا الملك في محياه ودمائة أخلاقه

ذات ليلة فاجأت الشرطة قوما نزل بهم وسألهم « هل نظرتم شابا سوريا صفاته كيت وكيت » فأجابوها « انه بكر لصيد الأسد ومعه عصاية من الفتيان يبيتون الليلة في وادي كذا » لما سمع السائون هذا الجواب أرخوا أعنة خيلهم الى الوادى ثم دخل المضيقون الى عبد الرحمن وبلغوه الخبر وأمدوه بعشرة شبان أشداء هرب معهم تحت جناح الظلام يقطعون السهول والحزون حتى أبعدوا المفتر في الصحارى وآووا الى مأوى بعيد عن حباثل ابن حبيب مارعهم فيه ان سمعوا زئير السباع ثم تابعوا السير نحو الغرب عدة أيام حتى وصلوا الى مدينة تاهرت (١) حيث تقيم قبيلة زناتة (٢) فاستقبلوا

١ يقال لها أيضا تيهرت وكانت عاصمة البربر وبينها وبين تلمسان والبحر أيام قلائل

٢ كانت قبيلة زناتة من القبائل المشهورة بين البربر وهي قبيلة طارق بن زياد وكانت منتشرة في جزء عظيم من ساحل افريقية وكان هذا الجزء يسمى بالمغرب الاقصى ويشغل أرضه الآن ولاية الجزائر وجزء من إقليم قسنطينة

فيها استقبالا عظيما فان الزناتيين كانوا خؤولة عبد الرحمن لأن أمه (راح) كانت تنسب الي هذه القبيلة .

في هذه الاثناء كانت الحروب الاهلية قائمة في اسبانيا بين يوسف الفهرى أمير قرطبة وطلحة وعامر بن عمرو العبدري أمير سرقسطة ومن أجل ذلك ساد الاختلال في أنحاء البلاد .

علم عبد الرحمن طريد العباسيين بأحوال اسبانيا فسنحت له الفرصة أن يثب على كرسى حكمها ويرفع قدر أمية فأرسل بدرًا خادمه الصادق عتيق أبيه الى اسبانيا ليهد له طريق ذلك باستمالته العقول اليه فكان من المصادفات الغريبة وسعد طالع عبد الرحمن أن رأى بدر عند وصوله الى قرطبة ثمانين شيخا من رؤساء القبائل مجتمعين فيها والامير يوسف غائب يتشاورون في نزع الامارة منه محتجين بانه لا يستعملها الا في منافع الفهريين قبيات والقيسين قبيلة الصميل رفيقه وبانه آخذ في سلب الجزيرة عن خلافة آسيا وقد اتفقوا جميعاً على نزعها ولكن كان من الصعب عليهم أن يجدوا أميرا يجمع الصفات التي تقتضيها الحالة الطارئة .

كاشف بدر بعضهم بمقصده فرض ذلك البعض على مجتمعهم اسم عبد الرحمن قائلا لهم انه فتي سرري من بيت خلافة بني أمية فر من فتك بني العباس ونجاته تحسب من المعجزات الباهرة وقد التجأ الآن الى قبيلة زناتة « فلما سمعوا اسم أمية هشوا جميعا اليه

لا سيما السوريون وقرروا باجماع الاصوات انتخابه أميرا لاسبانيا
كانت رئاسة المجتمعين تنتهى الى أبى عثمان عبيد الله وعبد الله
ابن خالد صهره فوجهها الى الامير المنتخب مركبا فيه تمام بن علقمة
أبو غالب ووهب بن الاصفر وشاكر بن أبي الاسمط فعبروا الحجاز
ومعهم بدر ووصلوا الى تاهرت فتقدم تمام الى عبد الرحمن وعرض
عليه امارة الاندلس باسم المجتمع قائلا « اجمع المسلمون الصادقون
على انتخابك أمير الجزيرة فيسمعك أن تبني فيها ما كما شيد الا كان
موطد الدعائم على أساس أقوى من الجبال معتمدا على عزائمهم القوية
وطاعتهم الصادقة . لا ريب أن ستجد مقاومة وبعضهم خطر ولا كنتك
لست وحدك بل بجانبك فتيان أشداء من أبناء من فتحوا الغرب
ومشوب ترغيب فيك وتدعوك اليها ونحن جميعا نهب الى الوغى ونبذل
الارواح في سبيل ارتقائك الى عرش الامارة التى نلقى مقاليدها
اليك ونحفظ بنيانها من ان يثلم »

سكت عبد الرحمن هنيهة يترقب أن يتمم تمام خطابه لكنه أحس
ان الوفد ينتظر اجابته فقال « أيها السراة الامجاد اجابة لرغائبكم
وسعييا وراء أمانيتكم فى اصلاح شؤون مسلمى ايبانيا اذهب معكم باذلا
النفس فى سبيل الدفاع عن هذه الغاية الحميدة فاذا صدقت عزائمكم
ودامت طاعتكم وفتح الله لنا باب الفوز رأيتم منى اخا ثقة يقاسمكم
الشقاء والهناء . يعلم الله انى لا أخشى الشدائد ولا أهوال الحروب

ولا أُرهب الموت الأحمر فقد عر كنى الدهر وعركته وكثيرا ما ركبت
متون الأخطار على حداثة سنى واذا ما كان ما يدعرنى اليه هو
رغبة مسلمى الاندلس الاشراف فنا الى نداءهم وأقبل ان اكون
أميرهم وحامى ذمارهم ان شاء الله »

لما قبل عبد الرحمن من الوافدين اليه اماراة الاندلس هناك
شيوخ زناتة بهذا المنصب الخطير وأمدوه بسبعائه وخمسين فارسا من
تاهرت ومكناسة وقيل بألف فمبر بهم البحر حتى نزل حصن المنكب
على ساحل كورة البيرة (١) فى ربيع الآخر سنة ١٣٨ (٢) فى خلافة
ابى جعفر المنصور العباسى

فى ذلك الحين انسلخ اقليم سبانيا من حكومة المسلمين وسببه
هبوب عواصف الثورات وتأجج نيران الفتن فى اسبانيا
فى غضون ما كانت سفينة عبد الرحمن تسوقها ريح رخاء الى
الاندلس وشيعته المنبثون فى الجهات يرتقبون وصوله ليستقبلوه ويشهروا
امارته على الجزيرة انتصر يوسف الفهرى على عامر وابنه وأخذ منهما
سرقسطة فى آخر سنة ١٣٧ للهجرة (٧٥٥) ورجع بهما وبمخاضيهما
الحباب الزهرى مصفدين فى الاغلال وبينما هو جلالان من انتصاره

١ مملكة غرناطة

٢ فى ابن الاثير وفتح الطيب وكندى ان عبد الرحمن نزل حصن المنكب
فى شهر ربيع الآخر من سنة ١٣٨ وخطأ رومى شهر التاريخ وقال ان عبد
الرحمن نزل هذا الحصن فى ثالث ذى القعدة من هذه السنة

اذ فاجأه خبر دخول عبد الرحمن الاندلس فانقلب فرحه ترحاً وكان وقتئذ في وادي نهر الرمل على بعد خمسين ميلاً من طليطلة عند ثقتل الثلاثة المصفدين - معنا بالرماح وكان في قتلهم أفول نجم سعدة وبزوغ شمس سعادة خصمه عبد الرحمن قال يوسف للصميل ما الرأي فأشار عليه ان يلطف له ويثنيه زواج ابنته ويهديه ولا يعاديها وبذا يتحكم فيه وفيمن سعو له فبعث يوسف كاتبه خالدًا بكتاب وكسوتين ومطيتين وخمسمائة دينار وقال له اعرف امره وأمر من حوله فخرج في الليل ومعه صاعبٌ وأصبحوا على ابن معاوية بالكتاب والهدية فقبل الهدية وابى الزوج فأغاظ خالد القول فامر ابن معاوية بوثاقه وردّ غيره الى يوسف ولم يردّ عليه جواباً. ومن كتاب يوسف الى ابن معاوية « أما بعد فقد انتهى الينا نزولك بساحل المنكب وتابش من تابش اليك ونزع نموك من السراق واهل الخثر والغدر وتقض الايمان الموكدة التي كذبوا الله فيها وكذبونا وبه جل وعلا نستعين عليهم واقدر كانوا معنا في ذرى كنف ورفاهية عيش حتى غمضوا ذلك واستبدلوا بالامن خوفاً وجنحوا الى النقض والله من ورائهم محيط فان كنت تريد المال وسعة الجنب فاننا أولى بك ممن لجأت اليه أكنفك وأصل رحمتك وانزلت معي ان أردت أو بحيث تريد ثم لك عهد الله وذمته بي ألا اغدرك ولا أمكن منك ابن عصى صاحب افريقية ولا غيره (١) »

هذا بعض فصول الكتاب

لما لم يرد ابن معاوية على يوسف جدّه هذا وصاحبه الصميل في المسير
وأرسلا أوامر بحشد الجنود في اقرب وقت وأمر يوسف بن عبد
الرحمن بان يدافع عن كورة قرطبة حتى يصل اليه
لما نزل عبد الرحمن من السفينة الى حصن المنكب ومعه نحو
الف فارس من زناته بادر رؤساء الاندلس الى استقباله وحلفوا له
يعين الطاعة وكان في مقدمتهم أبو عثمان وابن خالد رئيسا قبائل البيرة
فركبوا الى قرية طرّش TARRX منزل ابي عثمان
انتشر خبر دخول عبد الرحمن الاندلس بسرعة في جميع انحاء
اسبانيا الجنوبية فكان يجيئه وجوه القبائل ويبايعونه ويلقبونه بالداخل
وفي أيام قلائل جمعوا له عشرين الف جندي من كور البيرة والمرية
ومالقه وشريش وأركش وشدونة . كان ينتقل من كورة الى اخرى
قاصدا قرطبة ورؤساء اليمانية ينضمون اليه اثناء المسير فانضم اليه في
رية عيسى بن مساور (١) وفي شدونة غياث (٢) بن عاتمة وفي
مورور أبو الصباح .

يرى ان مسير عبد الرحمن الى قرطبة ما كان في طريقها السلوك

١ في ابن الاثير عيسى بن مساور وفي ابن خلدون عيسى بن مسور
٢ في ابن الاثير غياث بالغين لمعجمة والتاء المثلثة وفي ابن خلدون عتاب
بالغين المهملة والياء الموحدة

فانه سار من الشرق الى الغرب في الارض التي يسكنها المصريون
والسوريون المخلصون في ولائه فكانت المدن تفتح له أبوابها ولما
قرب من اشبيلية سارع أهلها وهم من قریش الى استقباله ثم صعد
منها مسرعاً الى النهر الكبير قاصدا قرطبة حيث كان ابن يوسف
مستعداً للقتال فخرج للقاءه يقود جيشاً قوياً على الشاطئ الايسر
من النهر فتقابلوا ودارت رحى الحرب بين الفريقين بدون ابطاء :
حمل جيش الفهري على اعدائه ببسالة ولكن ما أمكنه ان يثبت
أمام شجاعة فرسان زناته بل انقلب على عقبه فارتد الى قرطبة واقتفى
أثره عبد الرحمن حتى وصل الى أسوار المدينة وحاصرها

لما بلغ يوسف خبر هزيمة ابنه وقع الرعب في قلبه وجدّه هو والصميل
في المسير ليرفعا الحصار عن قرطبة وعزما أن يفاجئاً معسكر عدوهما
الخبث في السهل المنحصر بين النهر الكبير وجزء نهر يانه المحاذي لمدينة
بطلوس ويفتكابه

أدرك عبد الرحمن خطة سيرهما فبادر الى لقاءهما وأخذ معه عشرة
آلاف من جيشه وترك مثلها تحاصر المدينة تحت قيادة تمام بن علقمة
وأقدم بشهامة على مقابلتهما مع أن عدد جنودهما يزيد عن ضعف
جنوده فتلاقى الجيشان في صحراء المصارة غربى قرطبة في التاسع من
ذى الحجة سنة ١٣٨ ودارت رحى الحرب بينهما في العاشر منه أى
يوم عيد الاضحى وكان يوم الجمعة (١٥ مايو سنة ٧٥٦)

تفأل عبد الرحمن بالفوز لمشابهة هذا اليوم بيوم مرج راهط
الذي كانت فيه الواقعة بين جده مروان بن الحكم والفسحك بن
قيس الفهري فدارت الدائرة على الأخير

أراد الداخل أن يشدّ عزائم جنوده فقتل لهم يوم الثلاثاء ، أي
يوم هذا « فقالوا « الخميس يوم عرفة » فصاح قاتلا « فالأضحى
غدا يوم الجمعة والمتزاحقان أموى وفهري والجنندان قيس ويمن قد
تقابل الأشكال جدا وأرجو أنه أخو يوم مرج راهط فابشروا
وجدوا « (١) فلما سمعوا ذلك قويت عزائمهم ووثقوا بالنصر وباتوا
يأخذون أهبتهم للقتال وبات جيش يوسف يُعدّ الفسحك بالذبح واشيع
فيه قبل الفجر حديث مشابهة يوم مرج راهط يوم الغد فتشاهموا
وخارت قواهم .

لما تنفس الصبح هجم فرسان عبد الرحمن على فرس يوسف
بغثة فترزعزع هؤلاء وارتدوا على أعقابهم بدون نظام حتى اختلطوا
مع المشاة وساد الفشل فيهم وفي منتصف اليوم تبدد شمل الفهريين
وتفرقوا أيدي سبا تاركين معسكرهم مضطربا بشلاء القتل وأسلابهم
وأسلحتهم وافترق يوسف والصميل فالأول فرّ نحو ماردة والثاني نحو جيبان

١ كذا في نفح الطيب صحيفة ٧١٤ وما بعدها وفي تقييدات رومي صحيفة
١٩١ من الجزء الثالث (أن هذا اليوم كان في سنة ٢٤ للهجرة وأن الواقعة كانت
بين مروان وأحزاب خصمه الزبير في شرق غوطة دمشق) وأقول أن هذه
الواقعة كانت في سنة ٦٤ لا ٢٤

هذه الواقعة رفعت شأن عبد الرحمن وأيدت سلطانه .
 . هي أن ابا الصباح رئيس اليمانية قال لهم بعد هزيمة يوسف
 والصميل « يامشركم هل لكم الى فتحين في يوم قد فرغنا من
 يوسف والصميل فليقتل هذا الفتى ابن معاوية فيصير الامر لنا
 نقدّم رجلا منا ونحلّ عنه المضربة » فلم يجبه أحد لذلك فان شهامة
 عبد الرحمن في الواقعة ملكت قلوبهم .

بلغه الخبر فأسرّها في نفسه الى ان اغتاله بعد عام قتلته .
 رجع عبد الرحمن الى قرطبة وقد فزع اهلها ففتحوا له أبوابها
 على شرط أن يدخل من باب القنطرة الغربى وأسرة يوسف وأتباعه
 تخرج من الباب الشرقى

فلما دخلها لم يستقرّ به قرار بل أقام عليها أبا عثمان محافظا (١)
 ونهض في طلب يوسف فعلم هذا بأمره وبأن حامية قرطبة عددها
 قليل فانتظر حتى جاوز خصمه جبال مورين SIERRA MORÉNA
 فخالفه في الطريق وانقض على المدينة فلم يسع ابا عثمان وجنداء القليل
 العدد الا الفرار الى حصن مدور من كورة غرناطة (٢) وقيل ان
 يوسف امر ابنه أبا زيد ان ينقض على المدينة ففعل وحاصر عبيد الله

١ كندا في تاريخ رومي والتواريخ العربية لكن في تاريخ كندى انه أقام
 حسام بن عبد الملك محافظا على قرطبة صحيفة ١٧٨ (جزء أول)
 ٢ كندى

في منارة الجامع الكبير حتى الجاه إلى التسليم وأخذوا وأخذ
جارتين كانتا في القصر عبد الرحمن (١)

عاش عبد الرحمن على الفير واستقرت المدينة لكنه لم يجد في
فاقتفى أثره حتى حلقه في أرض المنكب وكان قد اجتمع عليه
الصميل وناجزها القتال بدون ديث حتى مر في جيشها كل رزق
فالتجأ إلى جبال البيرة فتبعها فزل يرف وادي تليل حيث تجد
جملة بيوت من انشاء العرب يكتنفها حصون منيعة على مرافق غير
بعيدة من البيرة القديمة وآل أمر هذه البيوت بعد عدة قرون إلى أن
صارت مدينة غرناطة الشهيرة وهي آخر مدينة كان بها عز واطمان
للمسلمين في إسبانيا . وبعدئذ أحسن يوسف أن لا يتكلم في المقامة
زمنًا طويلاً وأشار عليه الصميل أن يخبر عبد الرحمن في الصباح ففعل
وتم بينهما في صفر سنة ١٣٩ (٢) على أن يذهب للأمير الأمازي
والساحل من جميع البلاد والفرى أمه له خاصة وأن يسكن بلاط
الخز (منارة بشرقي قرطبة) وأن يعطيه رعيمة على ذلك فولد له أبا
الاسود وأب زيد يبقيان في قصر الأميرة مكرمين إلى أن تهبدا الجزيرة
فبردها إلى والدهما . وفي أثناء مخبرات الصلاح ردت خالد الأسباني
أسير عبد الرحمن إلى يوسف وهذا ردت إليه أسيره عميد الله وبعد

١ دوزي ٢ في القرى، ان عقد الصلاح تم في صفر سنة ١٣٩ كما ذكرنا وفي
روى وكندى انه تم في ٢٨ ربيع الثاني سنة ١٣٩ - ٢٩ يسمبر سنة ٧٥٦

الصالح عاد عبد الرحمن الى قرطبة ويوسف على يمينه والصميل على يساره في (يوليو سنة ٧٥٦) (١)

يؤخذ من كندى وروى أن عبد الرحمن هبط في هذه السنة الى الصميل بامارة الحدود الشرقية نحو جبال البرانس المشتعلة على وادي ابره من سرقطة الى طرطوشه جزاء نصائحهم التي سمعت الخلاف وعقدت الصالح بين الفريقين

لما ذاع خبر الصالح في اسبانيا خضع الى عبد الرحمن شيوخ القبائل من اليمانية والمضرية في الجنوب والغرب وجاءت اليه وفود الجهات ترى لتعرب له عن طاعتها وانخلاصها فأكرم مشواهم واحتفى بهم وابقى القادة منهم في قياداتهم والعمال في عمالاتهم فخرجوا من عنده فرحين ثاكرين وعادوا الى مدنتهم وأسنتهم نظري مدحه وتروى الثناء عليه . ثم انهزار المدن الشهيرة من الاندلس والاسترامادورة *ASTRAMADURE* . توجه الى ماردة في طنطنة مسموعة وأبهة مرموقة يصحبه كثير من اصدقائه وكوكبة من فرسان زناته فدخبا في يوم مشهود واخترق شوارعها عتياً جرادة زبدًا مطمًا تحفه تهايلات الفرح والسرور من الالهانين . وفي هذه المدينة استقبل مبعوثي البرتغال (لوزيتانية) والقنطرة وبطليموس وغيرهما وقد مواله مراسيم الطاعة بالنيابة عن بلادهم

عاد عبد الرحمن الى قرطبة بهجا من نجاح سياحتها سياير وصفنا
 له جز الخدثان زهنا رزق فيه بمولود ساء هتاما في رابع شهر ابريل سنة ١٣٩٠
 (أول مارث سنة ٧٥٧) أي في السنة الهجرية التي تولى فيها .
 وفي هذه السنة ابتنى الأمير منية الرصافة تشبها بدمها .
 هشام في الشام فأنفذ بها قصرا عاليا يشرف على جميع الجهات يرى
 منه الرأي مناظر على مسافات شامخة ودعا حول حدائق واسعة نقل
 اليها غرائب الغروس واكلام الشجر من كل جهة وغرس بيده فيها
 نخلة احضرها من الشام والنخل ما كان معروفا عند الاسبانيين .
 ذلك الوقت فكانت هي أول نخلة غرست في أرض اسبانيا ومنها تولد
 النخل الاسباني . ويروى أن الأمير كان يراقب نماء هذه النخلة من
 قصره وينشد

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة

تنابت بارض الغرب عن بلد النخل

فقلت شبيهي في التغرب والنوى

وطول اكتئابى عن بنى وعن أهلى

نشأت بأرض أنت فيها غريبة

فمثلك فى الاقصاء والمنتأى مثلى

سقتك غواذى المزن فى المنتأى الذى

يسح ويسمى المساكين بالوبل

قال ابن سعيد والerman السـفـرى (١) الذى فاض على ارجاء
الاندلس وصار لا يفضلون عليه سواه أصله من هذه الرصافة
كان الامير كثير الحنين نحو الشرق موطنه القديم دائم التفكير
فى بقايا الامويين المضطهدين المشتتين فى العراق ومصر وبرقة حتى
بعث معاوية بن صالح الحضرى رسولا الى الشرق يدعو من شاء
منهم الى التوجه الى الاندلس وانشد يتشوق الى معاهده بالشام
مخاطبا الرسول

أقـر من بسـى السـلام لبـضى	أيـها الراكـب الميـم أرضى
وفـؤادى ومالكـيه بارض	ان جـسـمى كـما علـمت بارض
وطوى البين عن جفونى غمضى	قـدّر البين بيننا فافترقنا
فمـسى باجـمـاعنا سوف يقضى	قد قضى الله بالفراق علينا

فى أوائل سنة ١٤٠ عاد الرسول الى اسبانيا ومعه كثير منهم
وكان من بينهم عبد الملك بن عمر المروانى وابناؤه فعقد له الامير على
اشبيلية (٢) ولابنه عمر على المدور ونصب معاوية قاضى القضاء

١ قيل سبب تسميته بذلك أن الامير أرسل رسولا يحضر اخته من الشام
الى الاندلس فحلب طرائف من رمان رصافة هشام فأعطي جزءا منه الى سفر بن
زيد من جنود الاردن ففرس عجمه فأينع وأثمر وجاء بجناد الى الامير فاعتس
منه بجنان الرصافة فانتشر نوعه

٢ فى نفح الطيب صحيفة (١٥٦) ان عبد الملك بن عمر المروانى وفد
على عبد الرحمن من المشرق فى عشرة رجال من قومه مشهورين بالبأس والفجدة

في أثناء ما كان عبد الرحمن يصرف السنين الأولى من حكمه في إصلاح شؤون إسبانيا وتوطيد دعائم ملكه فيها كان يوسف يصرف ثروته الوسعة في تأليف حزب له سرًا

ففي أوائل سنة ١٤٢ ظهر له أن حان الوقت المناسب لايقاد نار الثورة وردّ ما سلب منه فثار واستولى على حصن المدور وما جاوره في غرب قرطبة وقام معه نحو ٢٠ ألف ثائر وأخذ يجدد سلطانته على الأقاليم حينئذ بادر عبد الملك وابنه وولدت امرتهم جنود من إراكش وشدونة واشبيلية إلى ردّ هذا الحصن وغيره من المدن المجاورة (١) فإن سكانها انقلبوا ينادون باسم يوسف فهاجموهم حتى هزّهم

وأخذ عبد الملك يطارد المهزّمين نحو أرض تدمير حيث كان فيها العدو قوى الجانب كثير العدد بعد أن كتب إلى عبد الرحمن يخبره بالنصر وأن يمدّه بمدد عظيم يحجى من طريقتين كي يفرّق قوى يوسف المجتمعة ويشغلها فالحقهم في براري لورقة LOUCA (٢) ودارت رحى الحرب بين الفريقين وأنجحت عن تهديد شمل الفهريين وأصابة يوسف بعدة جراحات أودت بحياته فقطع رأسه وأرسل إلى عبد الرحمن (٣) وروى أن هذه الملاحمة وقعت بين ماردة وطليطلة وأن

سنة ١٤٠ فقتله على الشايلية ولابنه عمر بن عبد الملك على مورور (١) كذا يؤخذ من كندى وروى (٢) كذا في روي. دي كندى. لوشة LOXA (٣) كذا يؤخذ من روي وكندى. وفي التولريخ العربية ما يخالف ذلك

يوسف اغتاله بعض جنده اثناء هزيمته وأرسلوا رأسه الى قرطبة دليلاً على طاعتهم وكانت مدة حكم يوسف ٩ سنين و ٩ أشهر
وأما أولاد يوسف الثلاثة فأكبرهم أبو زيد اقتفى اثره والى طليطلة تمام وقتله وأرسل رأسه الى قرطبة فعلق بجانب رأس أبيه وأوسطهم أبو الاسود حبسه بدر في طليطلة في ٩ ذى القعدة سنة ١٤٣ (٢ مارث سنة ٧٦٠) ومن عليه بحياته على شرط ان يسجن في إحدى قلاع قرطبة الحصينة طول عمره وأصغرهم قاسم بن يوسف نجا بنفسه والتجأ الى الجزيرة الخضراء عند عاملها رزق بن النعمان الغساني فأجاره وجهز جيشاً هاجم به شدونة واشبيلية (١) ولكن تمام توجه اليه وردّه الى ارضه وأخذ قاسماً وساقه الى قرطبة مغلولاً فلم يقتله عبد الرحمن بل أرسله الى طليطلة تحت قيادة بدر ليسجنه في قلعة تاجه كافأ عبد الرحمن تماماً بتوليته منصب الحجابة وهي تقابل في زماننا رئاسة الوزراء

واقتنى بدر خطوات الصميل وراقبه الى ان جاء به من شدونة الى قرطبة وزجّه في السجن حتى مات خنقاً بحبل وقيل قطع رأسه بسكين

١ كذا يؤخذ من رومي وفي ابن الاثير ان رزق بن النعمان الغساني وكان على الجزيرة الخضراء ثار بالاندلس على عبد الرحمن في سنة ١٤٣ فاجتمع اليه خلق عظيم فسار الي شدونة فلحقها ودخل مدينة اشيلية وعاجله عبد الرحمن فحصره فيها وشتيق على من بها فتقربوا اليه بتسليمهم رزقاً فقتله فامتهم ورجع عنهم

الآن بلغ عبد الرحمن ما كان مطمح انظاره فقد تبوأ عرش
مملكة اسبانيا الواسعة الأرجاء بحكمته وشهامته ودهائه بعد ان اهلك
عتاة اعدائه المنازعين له في سلطانه ومن العجب العجائب ان بلغ هذا
المرقى بعد ان طُل دمه وفرّ من وطنه اتقاء الفتك به وقامى الشدائد
وتجشم الاخطار ضالاً في صحارى افريقية بين قبائل المغرب خمس
سنوات ومع هذا الرقى ما صفت له الايام ولم يهنأ بما أتاحه له القدر
من الملك والسلطان فانه حكم اسبانيا ٣٣ سنة هجرية لم يكن فيها لواء
السلم منشوراً بل فازعه في الامارة الفهريون واليمنيون والافارقة ونصارى
الشمال والفرنج

ففى سنة ١٤٤ للهجرة بلغ الامير أن قبيلة قوية تحت أمرة هشام
ابن عذرة الفهرى قامت على وزيره فى طليطلة واخذت منه القصر
وطردته وفكّت اسار قاسم بن يوسف الفهرى من السجن واجتمع
تحت لوائها عشرة آلاف رجل فدار اليهم عبد الرحمن بنفسه وحاصرهم
فى طليطلة وشدّد الحصار عليهم طويلاً حتى اضطر غير الفهريين من
المحاصرين الى ان يتذمروا على هشام بن عذرة وفى ذلك المثلين جاء
الامير خبر ثورة اشدّ خطراً من هذه فاضطر الى ان يصلح هشاماً
على شرط ان يفتح المدينة بدون ريث وان يسلم ابنه محمد رهينة على
الصلىح وان يرد قاسماً الى السجن فخضع ابن عذرة لهذه الشروط كرها
وألقى مقاليد المدينة الى الامير فى (آخر سنة ١٤٥ للهجرة — افريل

(سنة ٧٦٣)

وفي سنة ١٤٥ ارسل الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور الى والي
القيروان العلاء بن مغيث ان يوزع اسبانيا من ابن معاوية ويردّها
الى خلافة بني العباس فاستعدّ هذا الوالي لما دعاه اليه الخليفة فبدأ
شيخ تاهرت عاصمة زناته خبر الاستعداد الى عبد الرحمن اثناء ما كان
يحاصر طليطلة وهذا ما حمله على عقد الصلح مع ابن عذرة في شهر
(افريل سنة ٧٦٣) وفي هذا الشهر نفسه أغار العلاء على شواطئ
الاندلس وجاء نبؤه الى طليطلة فندم هشام على الصلح ودعا حزبه
الى السلاح ووزعوا الى الثورة ثانية وهاجموا القصر وقتلوا جميع من
كانوا يدافعون عنه ومن بينهم سعيد بن المسيّب والى طليطلة واستولوا
على ابواب وحصون المدينة ودعوا الى (المنصور الخليفة العباسي)
فبلغت الانباء الى قرطبة فأمر الامير قائد بدرّا بجمع جيوش من قلعة
رباح وطليبة وغيرها وان يحاصر طليطلة اخذاً معه محمد بن هشام
الرهين وأن يمنع ابن عذرة من أن ينضم الى ابن مغيث ولكن بدرّا
قد فاتته الفرصة وحاصر المدينة بعد أن خرج منها هشام قاصداً العلاء
وهذا الاخير أوغل في اقليم باجة من جهة الغرب قاصداً قرطبة
محرضاً الامة على اشهار السلاح في وجه (الداخل) قائلاً « انه
أبق شقي من قوم اخني عليهم الدهر ملغونين على منابر الشرق
مفضوب عليه من خلافة الاسلام الشرعية » حاملاً اللواء الاسود

شعار بني العباس ليستميل القلوب اليه مدّعيًا انه استلمه من الخليفة نفسه وان من يتبعه فجزاؤه الجنة فاتبعه ناس كثيرون تزعزعت أفكارهم من زخرف قوله — وفوق ذلك كان يكثر العطايا لتابعيه ويعدهم باضعافها عند الفوز

في هذه الاثناء جمع عبد الرحمن جنودا من انحاء شتى ورتبها ثلاث فرق كانت ثالثها أشد بأسا لأنها كانت مؤلفة من فرسان قرطبة واشبهاية وشريش ثم قدّم سرازم من جيشه تناوش العدو فلما صارت إلى صراى من معسكر العلاء الكثير المدد خرج معاكره عن متاريسهم ووقعت بين الفريقين مناوشات غير كبيرة الجدوى وكان هشام وقتئذ وصل إلى هذا المعسكر ليدعو إلى القيروان إلى الاسراع في الاستيلاء على طليطلة عاصمة الأندلس القائمة

ولما دافع فجر اليوم التالى زحف العسكر إلى القتال فبدأت عسكر ابن مغيث بالهجوم فكانت ملحمة شديدة استمرت بدون رجحان فريق على آخر إلى منتصف النهار ثم هجم فرسان الاندلسيين بحمية شديدة على الافارقة فبددوا شملهم وحلّوا عقد نظامهم وقتلوا العلاء قائدهم

قال رومى ما معناه تقدم عبد الرحمن إلى العلاء وقابله في أرض بطليّوس وتقاتلا أياما بدون ان يظهر فريق على آخر ولكن آل الامر إلى ان لا يحتمل العباسيون هجمات فرسان الامويين

وان يسقط لواء الخليفة في يد الامير والى قتل العلاء وسبعة
آلاف من جيشه والى انهزام باقيه الى افريقية - وبعد أن
فُضَّت هذه المعركة الشعواء سنة ١٤٦ قطع ابن معاوية رأس
ابن مغيث ويديه ورجليه وأرسل هذه الاشلاء سرّاً الى القيروان
ومعها هذه الكتابة « هكذا يقتصّ عبد الرحمن بن معاوية بن أمية
من المعتدين عليه كالعلاء بن مغيث والى القيروان » و يروى ان العلاء
ابن مغيث ثار بباجة سنة ١٤٦ وبعث الى طائفة المنصور فاتبعه الناس
الى ان كادت دولة الامير تنسرم فخرج اليه من قرطبة وصار
بقرمونة فتحصن بها مع مواليه وثقاة رجاله فنارله العلاء وحاصره
بها نحو شهرين فلما طال الحصار ملّ عسكر العلاء الانتظار وعلم عبد
الرحمن ما هم عليه فأمر بنار فأوقدت بالقرب من باب المدينة وقال
لاصحابه وكانوا نحو سبعمائة من أبطال الرجال « لنلق اغناد سيوفنا
في هذه النار ونحلف على الموت كراما في ساحة الوغى اذا لم يكتب
لنا النصر » فكاهم القوا الاغناد في اللهب وخرجوا من المدينة
والشجاعة تغلى في صدورهم وانقضوا على المحاصرين انقضاض النقبان
على الغربان فبددوا شملهم وقتلوا العلاء رئيسهم وسبعة آلاف منهم
ثم ان الامير أمر بجزّ رأس العلاء ورؤس اشراف اصحابه وقُرِطَّت
في آذانها صكوك باسمائهم وأودعت اسفاطا وأنفذ الامير قوما توجهوا
بها الى القيروان فطرحوها في الليل في الاسواق فتسمّع الناس أمرها

واتصل الأمر بابن جعفر فانكسرت حدته وقيل ان رأس ابن مغيث
حملت في سَفَط ومعهما اللواء الاسود الى مكة ليقيم عليها نظر المنصور
وهو حَاجٌ فلما رآها ارتاع وقال ما هذا الا شيطان (يعني عبد الرحمن)
الحمد لله الذي جعل بيننا وبينه بحرا (١)

لم تكن هذه الهزيمة حاسمة للأزاع لان هشام بن عذرة قاوم
زمنًا ومحت رايته بقايا الفهريين والعباسيين فانه لما لم تمكنه العودة الى
طليطلة التي كان بدر يحاصرها توجهوا الى ثندونة فاستولى عليها ثم
فاجأ اشبيلية وخرَّب فيها دار الصناعة والقصر فعادت الجنود الأموية
اليه ففرَّ الى ثندونة حيث تجمعت احزابه ولكن عبد الملك بن عمر
حاصرهم فيها وضيق عليهم دائرة الحصار فلم يبق لهم الا أحد أمرين
أما أن يساروا البلد وأما أن يخرجوا ويخترقوا معسكر العدو وقد عولوا
على الأمر الأخير ففي ليلة ليلا خرجوا من بابين من أبواب المدينة
وفاز عدد عظيم منهم بالنجاة الى جبال رُنْدَة وجاز بعضهم البحر الى
أفريقية ولكن هشام ما أمكنه الفرار معهم لشيخوخته فأدركته خيل
الأمويين وأصيب فرسه بضربة فسقط ووقع في قبضة عبد الملك
فعجل بقتله سنة ٧٦٥ م

لند إلى حصار طليطلة . ابتدأ حصارها سنة ٧٦٣ م ومكث
الى سنة ٧٦٦ وسبب طول الحصار أنها كانت ذات حصون

قوية وأهلها وإن كانوا اخلاطا من المسلمين والنصارى المستعربين
لم ينشقروا في الرأي بل أجمعوا أمرهم على خطة واحدة في السيادة وهي
أن لا ينقادوا لامير قرطبة ضاربين صفحا عن اختلافهم في الدين ،
وصدقهم في الدفاع عن المدينة بثبط عزائم المحاصرين فبنوا مساكن
وقتية أمام طليطلة ووطدوا أنفسهم على سكانها واكتفوا بأن يقلقوا
أحيانا أحراس أبواب المدينة ويذهبوا الاطعمة التي كانت تصل اليها
عادة بدون كبير مانع ومن طول المقام ضاعت حيتهم فتراخوا في
الحصار الى أن صار كدنة بينهم وبين أهل المدينة فما كانوا يهاجمونها
ولا بمسكون الطرق عليها بل آل الامر الى تبادل الروحات والجثثات
بين المعسكر والمدينة والتساهل في دخول سفن النهر حاملة الاقوات
اليها وإن سكان ضواحيها يزرعون ويحصدون ويدخلون المحصود
اليها بدون كبير مشقة

استبطأ الامير بدرا فأرسل اليه نتما ليجهزا معا على طليطلة
سريعا فلما وصل تمام تغيرت الشؤون الى شدة ومضاء عزيمة وتيقظ
واقدام فتوا الى الهجوم على المدينة وتسلق الجند جدرانها الواطئة فذعر
اهلها ورضخوا الى التسليم بعد أن نجوا قاسم بن يوسف الفهري
فعب النهر سبحا وولى الفرار وفتحوا أبواب المدينة على أمان من تمام
سنة ١٤٩ (١) (٧٦٦)

١ في كندى ان فتح المدينة كان في آخر سنة ١٤٨ وما ذكرته مأخوذة من روى

وفي سنة ١٤٩ (١) (٧٦٦) ثار سعيد اليحصبي المعروف
بالمعزى بآورة لبلة طالبا بشار من قتل من اليمانية مع العلاء وتغاب
على اشبيلية فسار اليه عبد الرحمن فمروا مشح بقاعة رعوان (٢)
فحصرو وكان قد وافقه على الخلاف غياث بن عاقمة الأحمى بمدينة
شدونة فأمدّ فبث عبد الرحمن بدرا فبال دون المدد ودون المعزى
ثم طال عليه الحصار فخرج من القاعة وقاتل وقتل فقتل أهل القاعة
عليهم خليفة بن مروان فدام الحصار ثم استأمنوا الى عبد الرحمن
وسلموا اليه الحصن فخرّبه وقتل خليفة ومن معه ثم سار الى غياث
فحصره بشدونة حتى استأمن فأمنه وشدّ الى قرطبة (٣)

يؤخّر من ابن الاثير وابن عذارى ودوزى « ان عبد الرحمن
عزل في هذه السنة أبا الصباح رئيس اليمانية عن اشبيلية » فانه كان
يوجس خيفة منه من يوم واقعة المصارة حين اشار على قبياته
بقتله) فزاع الى الخلاف ودعا اليمانيين الى السلاح فوجه اليه
الامير حاجبه تمالا فأمنه ولاطفه حتى جاء به قرطبة ففدّر به عبد
الرحمن (٤) ويروى بعضهم أن أبا الصباح قدم قرطبة في أربعين فارس
على غير عهد فأوصله تمام الى الأمير فعاتب فأغاظ له أبو الصباح في

١ في ابن الاثير أن آورة المعزى كانت في سنة ١٤٨ وفي غيره أنها كانت
في سنة ١٤٩ والظاهر أنها طالبت في غضون السنين ٢ وقيل زعموا
٣ ابن خلدون وابن عذارى ٤ ابن الاثير

الجواب فأمر بقتله (١) وقيل أن الأمير حاول قتل أبي الصباح بمخنجر
فقاومه فاستعان عليه بحرسه فقتلوه ثم أمر عبد الرحمن بطمس آثار
الدم وتغطية الجثة بنطا ثم أحضر وزراءه وقال لهم إن أبا الصباح
محبوس في القصر واستشارهم في قتله فأشاروا عليه بأن لا يفعل خشية
من خطر يتوقع من فرسان أبي الصباح الذين هم ببياب القصر
وخالفهم في الرأي أحد أقارب الأمير. حينئذ قال عبد الرحمن « قد
قتلت » وكشف الغطاء وأرسل من أخبر الفرسان بأن صاحبهم قضى
نحبه فامتنعوا فأنصرفوا بسلام

ولم يذكر حادثة أبي الصباح هذه في سنة ١٤٩ ابن خلدون ولا
المقري ولا روى ولا كندى والظاهر أنها وقعت قبل هذه السنة
فقد ذكروا عقب واقعة المصارقة سنة ١٣٨ أن عبد الرحمن اغتال أبا
الصباح بعد عام - - - وتقدم أيضا أن عبد الرحمن ولي عبد الملك اشيلية
حين قدومه من الشرق سنة ١٢٠

ويروى أن عبد الرحمن غزا في هذه السنة جبال جليقية
GALICE وجبال البشكنس في شمال اسبانيا فاختضع الثائرين
الذين كانوا يندوا الطاعة وعاد جنده إلى قرطبة مثقلا بالغنائم الواسعة
يقود كثيرا من الأسرى ومن قطعان الماشية

وفي سنة ١٥١ (١) ثار في شرق الأندلس رجل من بربر مكناسة يعرف بـ (٢) بن عبد الواحد كان يهاجم المسيحيين وادعى انه من ولد فاطمة والحسين عليهما السلام وتسمى بعبد الله بن عقدة. كنن شنتبرية واجتمع اليه خلق من البربر فسار اليه عبد الرحمن فهرب في الجبال واعتصم بها فرجع وولى على طليطلة حبيب بن عبد الملك فولى هذا على شنتبرية. ايمان بن عثمان فنزل اليه شقنا واخذوه وقتلوه غاب على ناحية قورية وأفسد في الارض فعاد اليه عبد الرحمن سنة ١٥٢ وأعياء أمره وصار ينتقل في البلاد ويهزم المساكر وسكن حصن شيطران (٣) من جبال بلنسية ثم سار اليه عبد الرحمن سنة ١٥٦ واستخلف على قرطبة ابنه سليمان فأتاه الخبر بزحف أهل غرب الأندلس من اليمانية نحو قرطبة (٤) تحت قيادة عبد الغفار بن حميد اليه عصبي زعيم لبلنة وحياة بن ملابس زعيم اشبيلية فرجع عن شقنا وانفض عبد الملك في معظم الجيش لقتالهم فسار اليهم ولما قرب منهم قدم ابنه أمية في أكثر المساكر فخالطهم فوجد فيهم قوة فخاف الفضيحة معهم فأنحاز منهمزما

١ كندا في ابن الأثير - وفي ابن خلدون سنة ١٥٠ - وفي ابن عذاري سنة ١٥٢

٢ بالنون بعد القاف كما في ابن الأثير وابن خلدون وفي دوزي *Chak ya* (شكيا) بالياء ولم يذكر اسمه المقرئ ولا ابن عذاري

٣ وقيل شطوان وسيطران

٤ المقرئ صحيفة ٧١٨ طبع بولاق

الى أبيه فلما جاء سقط في يده وقال له ما حملك على ان استخفنت
بى وجرأت الناس والعدو على ان كنت فررت من الموت فقد جئت
اليه وضرب عنقه ثم لقيهم مستميتا فهزمهم وأثنى فيهم حتى جرح
ولحق بعبد الرحمن فشكرها له وجزاه خيرا ووصله بالصهر وولاه الوزارة
ونجا عبد الغفار وحياة بن ملابس الى اشبيلية فسار عبد الرحمن اليها
سنة ١٥٧ وقتل خلقا كثيرا من أهلها ممن كانوا مع عبد الغفار وحياة
واستراب من يومئذ بالعرب وعلم أنهم على دغل وحقد فأنحرف عنهم
الى اتخاذ الموالى فابتاع كثيرا منهم فى كل ناحية حتى بلغ من فى
قبضته منهم اربعين الف رجل صار بهم غالبا على اهل الاندلس من
العرب فاستقامت مملكته وتوطدت

وفى سنة ١٥٨ غزا عبد الرحمن مدينة قورية وفك بالبربر الذين
كانوا أسلموا عامله الى شقنا

وفى سنة ١٦٠ وقيل التى بعدها غدر بشقنا رجلان من اصحابه
وجاءا برأسه الى عبد الرحمن

وفى سنة ١٦١ وقيل التى قبلها سار عبد الرحمن بن حبيب الفهرى
المعروف بالصقلي (١) من أفريقية الى الاندلس مظهرا الدعوة العباسية
وتزل بتدمير فاجتمع اليه البربر وكان سليمان بن يقظان عاملا على

١ انما سمي بذلك لطوله وزرقته وشقرته - كذا في ابن الاثير في حوادث

برشلونة فكتب اليه يدعو الى امره فلم يجبه فصار اليه فلقية سليمان
فهزمه وعاد الى تدمير وزحف اليه عبد الرحمن من قرطبة وأحرق
سفنه تضييقا عليه في الحرب فاعتصم بجبل بلنسية فبذل فيه عبد الرحمن
الاموال فانتكاه رجل من اصحابه البربر وحمل رأسه الى الامير
سنة ١٦٢ فأعطاه الف دينار

ما ذكرناه من تاريخ الفاطمي وابن حبيب مرجعنا فيه الى ابن
الاثير وابن خلدون والقري وابن عذاري

وجاء في كندى وروى في هذا الموضع ما يخالف ذلك وهك
تعريب ما جاء فيهما مخصصاً « ان من فروا من شدونة الى جبال
رندة ثم الى أفريقية التجؤا الى والي مكناسة واستأثروه وأن هذا
الوالى كان يسمى عبد الغافر (كذا) وأنه كان شابا عالى القدر يفتخر
بأنه من سلالة فاطمة بنت النبي (صلى الله عليه وسلم) وزوج
على (عليه السلام) ففرغ الى الثورة وأخذ يبعث مبعثات القتال وقبيل
دخوله اسبانيا اذاعوا فضله وعظمته في الجزيرة وأنه سيهجز اليها
البحر في جيش جرار وثروة واسعة وأنه سيهب أموال طائلة للعساكين
الحاصين الذين يشهرون السلاح في وجه الداخل الجائر الغاصب
امارة الاندلس

ولما تلم بذلك عبد الرحمن أمر سكان البيرة بصدد الثائرين
ووضع حامية قوية في المنكب وأمر بالتيقظ ومراقبة السفن التي ترسو

في الشنور وأعني بانه يجرل العطاء لكل من يأتيه برأس من رؤساء
من يشرون مع الفاطمي وهذا الاعلان جعل من كانت نفس تجيش
الى التبرية يناد الى السكون التام فانه كان لا يثق بعضهم ببعض الا
القبائل وثمن عن ذلك ان عبد الله بن حارثه فوجد حرسه في مدينة
جيان وأرسلوا رأسه الى الأمير في قرطبة سنة ١٤٩

هنا ولا أتم الكتابي مدانه بواز البحر الى الاندلس ومعه
كل من في افريقية من الشيعة وأغلب فرسان البر وزوا المنكب
والمرية واحشدوا هرجا وازعجوا هاتين الكورتين فبلغ خبرهم الى
البيرة اسعد بن عبد الرحمن الشيباني فتوجه اليهم واقتنى آثارهم
وقاتلهم قتالا شديدا وانقصر عاينهم حتى اجأهم الى الفرار نحو جبال
رندة فانضموا الى ثائريها لكثرة اصابهم بجرح بليغ اضطره الى العودة
الى البيرة حيث مات سنة ١٥٠ الهجرة (مارش أو افريل سنة ٧٦٧)
فحزن عليه الأمير حزنا شديدا لأنه كان فارسا مغوارا ذا رأى سديد وقد
دلت الآثار العربية في (الاسكوريال ESCURIAL) (١) على ان
هذا الوالى هو الذى انشئت تحت رعايته مباني غرناطة وحصونها
الجديدة وأن عبد الرحمن أقام مكانه عبد السلام بن ابراهيم (كذا)
وأما الافريقى فقد تبعه الشرد والاصوص واعتصموا جميعا بجبال

١ برج في اسبانيا في سفح جبال نهر راهة على بعد ٤٠ كيلو مترا من
مدريد نحو الغرب

رندة فكانت هذه الجبال بورة تألب الحماة وقتلوا في مباديها
 ينهبون ويخربون القرى المتاخمة لأواهم ثم استفحل أمرهم فاختلوا
 يشنون الغارات على أرقش وشدونة وكثيرا ما كانوا يدفعون غناباتهم
 إلى براري اشيلية فيسلمون سكان الاطراف وكان يحاردهم وإلى المدينة
 بفروسانه كي يلحقهم في السهل ولعنهم كانوا ياجزون سريعا إلى
 الجبال حيث لا تقدر خيل الوالي أن تصيب رماهم بضرر وكانوا
 يجتنبون المعارك الحقيقية الحاسمة للنزاع جاعلين اعداءهم في فرع دائم
 مدّخرين من المؤن ما يقوم باحتياجهم وبذلك اقلّتوا زمنا طويلا
 راحة وإلى اشيلية وقواد قرمونة وبيانة وأرقش وشدونة

وفي سنة ١٥١ (كذا) رسا في طرطوشة عشرة سفن تقل
 عساكر من البربر تحت قيادة عبد الله (كذا) بن حبيب العسقاوي
 جاءوا لاعانة المكناسي ولكن مرساهم كان بعيدا عن جبال رندة
 وكانوا يظنون ان سكان اسبانيا الشرقية يساعدونهم على ابن معاوية
 ولكن خاب ظنهم ولما بلغ الامير نزولهم جهّز جيشا وسار بنفسه إلى
 ابن حبيب ولكنه لما وصل إلى بلنسية جاءه الخبر من وإلى طرطوشة
 بأنه بدّد شمل الافريقيين وان سفن ترجونة الحربية احرقت بعض
 مراكب العدو والجأت البعض الآخر إلى الفرار ففرح عبد الرحمن
 بذلك لكنه لم يعد إلى قرطبة بل تابع السير ليزور مدائن شرق
 اسبانيا فانه لم يزرها مع انها جزء من مملكته فزار طرطوشة وبرشلونة

وطرجونة ووشقة وسرقسطة ثم عاد الى قرطبة من طريق طليطلة -
وأما ابن حبيب نفسه فقد قتل لانه لم يحى له ذكر في كلام
المؤرخين (كذا)

وأما عساكره الذين تفرقوا فانهم تمكنوا من الانضمام الى
عصابات المكناسي في جبال رندة فتقوت عزائمهم وتعددت غاراتهم
فجازوا في استبة ASTAPA على فرقة من الجنود التي جاءت من اشبيلية
لتعترضهم وهزموا عساكر بيانة وقرمونة وخيم معسكرهم على اميال من
اشبيلية ولما علم اهلها بفوز الفاطمي نزح الساخطون منهم الى الثورة وأخبر
كبيرهم وهو حيمون بن سامي (كذا) KAYOUN BEN SALEMA
سرًا عبد الغافر (كذا) بانه يساعده على أخذ المدينة اذا هجم عليها
ولما بلغ والي اشبيلية وهو عبد الملك بن عمر (١) اقتراب
عبد الغافر منها بعث طليعة تستكشف أمره تحت قيادة ابنه الصغير
قاسم (كذا) فلما رأى قوتهم عاد مدعورا الي أبيه فقتله لجبنه
ثم دارت رحى الحرب بين عبد الملك وعبد الغافر نهارا كاملا
فانهزمت عساكر المكناسي ولكن انهزامهم كان نحو اشبيلية ولم
يقتف أثرهم عبد الملك لما حل به من تعب النهار بل صرف الليل
مستريحا في ميدان القتال وأما المهزومون فباتوا على بعد رمية سهم

من المدينة ولم يجرءوا على أن يمحسروا خلالها وفي صباح اليوم التالي وقع الحرج في المدينة فان الشيخ حيون وحزبه أرادوا أن يفكوا بهدهم المكناسي فاجتهدوا في أن يستولوا على أبواب المدينة ويساروها اليه وبينما هو عازم على أن يمد اليهم يد المساعدة إذ فاجأه عبد الملك فلم يتقهقر ووقعت بينهم واقعة دموية شاقة لم تقتل رجلا من المسلمين إلا أن الليل انقضى وقد جرح فيها عبد الملك وأما عبد التاجر فمات من أن يدخل المدينة بمساعدة حيون فتم بها إيلا رفقا إلى قنصلية CASHOTALA (كذا) (١)

ولما بلغ خبر ذلك إلى الملك برغصان بدو وشكك في صحة الخبر من الكور لمطاردة عبد الخافر حتى محسره جيشان من قرابة رابية نحو رابية استعج على شراطي نهر شليل وقتله وإلى اليوم يسمون ابن ابراهيم (كذا) في سنة ١٥٦ للهجرة (١٧٧٣) قتل ابن سلمى (كذا) ونحو خمسين من الرسل الافريتين في قنصلية مكناسة.

وبعد هذه الواقعة توجه عبد الرحمن إلى اشبيلية ليعزى واليها عبد الملك بن عمر ويعزى به على ما أصابه من فقد ابنه ويرجع الياسخ في واقعة المكناسي على أبواب هذه المدينة وكان من تزيعة الأمير له ان ولاء سرقسطة واسبانيا الشرقية كلها « اه

فإذا قابلنا بين الروايتين العربية والأفريقية نرى بينها اختلافا كثيرا

(١) ففي الأولى أن الفاطمي كان معلما صبيان وأنه كان يعرف بشقنا ابن عبد الواحد وتسمى بعبد الله بن محمد . وفي الثانية أنه كان وإلى مكناسة في إفريقية وأنه كان يسمى عبد الغافر

(٢) وفي الأولى أن ابن حبيب الصقلي يسمى عبد الرحمن وأنه جاء إسبانيا سنة ١٦١ أو التي قبلها بعد قتل الفاطمي . وفي الثانية أنه يسمى عبد الله وأنه جاء إسبانيا سنة ١٥١ ليشد أزر الفاطمي

(٣) وفي الأولى أن الفاطمي غدر به رجالان من أصحابه سنة ١٦٠ أو التي بعدها وفي الثانية أن قتل سنة ١٥٦ في واقعة اسنجة وأن قتلهم هو وإلى البيرة عبد السلام بن إبراهيم

(٤) وفي الأولى أن عبد الفخار زعيم لبلدة وحياة بن ملابس زعيم أشبيلية زحفا لأخذ قرطبة حينما توجه الأمير نحو الشرق لقتال شقنا الفاطمي . وفي الثانية أن عبد الغافر هو المكناسي الفاطمي وأنه جاء من الشرق لأخذ أشبيلية بإعاز من حيون بن سلمى

(٥) وفي الثانية أن الأمير عين عبد الملك وإلى سرقسطة وإسبانيا الشرقية ولا أثر لذلك في الأولى وغير ذلك كثير والصحيح ما في التواريخ العربية فإن التواريخ الأفريقية تستمد منها وتنقل عنها ولكنها عند النقل قد تكون كحاطب ليل

وفي سنة ١٦٣ (كما يؤخذ من ابن الأثير) عزم عبد الرحمن

على غزو بني العباس وأخذ ثاره منهم فعصى عليه سليمان بن يقطان
والحسين بن يحيى بسرقسطة فسير اليهما ثعلبة بن عبيد في عسكر
كثيف فقاتلها قتالا شديدا حتى أخذ أسيرا وتفرق عسكره واستدعى
سليمان قارله ملك الافرنج ووعدته بتسليم المدينة وثعلبة اليه فلما وصل
اليها اخفق مسعاه في حصارها فعاد الى بلاده ومعه ثعلبة وهو يظن
انه يأخذ به عظيم الفداء فاهمله عبد الرحمن مدة ثم طلبه من الافرنج
فأطلقوه

وفي سنة ١٦٤ سار الامير الى سرقسطة وفرق اولاده في
الجهات ليدفعوا كل مخالف ثم يدركونه فسبقهم اليها وكان الحسين
قد قتل سليمان وانفرد بالمدينة فوافاه عبد الرحمن على اثر ذلك وضيق
على أهلها تضيقا شديدا فرغب الحسين في الصلح وأذعن للطاعة
فأجابه عبد الرحمن وصالحه وأخذ ابنة سعيدا رهينة ورجع عنها وغزا
بلاد الافرنج فدوَّخها ونهب وسلب وبلغ قلعة ثم سار الى بلاد
البشكنس فقاتلهم وفتح بعض حصونهم ثم رجع الى قرطبة ثم ان
الحسين نقض العهد فعاد الامير سنة ١٦٦ الى سرقسطة وحصرها
وضايقها ونصب عليها المجانيق فملكها عنوة وقتل الحسين اقبح قتلة
ونفى اهل سرقسطة منها ليمين تقدمت منه ثم ردَّهم اليها

وفي سنة ١٦٨ ثار محمد بن يوسف الفهرى الملقب بابي الاسود
قلقيه الامير على الوادي الاحمر بقسطالونة وهزمه وأثنى في اصحابه

حتى قتل منهم اربعة آلاف سوى من تردى فى النهر ولم يزل يقتل
آثار المنهزمين حتى جاوز قلعة رباح ثم لقيه ثانية سنة ١٦٩ وهزمه
ثم هلك الفهرى سنة ١٧٠ بقرية من أعمال طليطلة وقام مكانه اخوه
قاسم فغزاه الامير فجاءه بغير امان فقتله
ويؤخذ من دوزى ما تعرييه مع تصرف

« تعاقد محافظ برشلونة سليمان بن يقظان الاعرابى وعبدالرحمن
ابن حبيب الفهرى المعروف بالصقلى وأبو الاسود بن يوسف الذى
كان عاقبه الامير بالسجن الدائم وتعاى حتى فر على ان يكونوا يدا
واحدة على عبد الرحمن الاموى وان يطلبوا مساعدة شرلمان الذى
اشتهر فى العالم بفتوحاته فتوجهوا فى سنة ٧٧٧ للميلاد الى پَدِرْبُرن
PADERBORN حيث يعقد شرلمان الجمعية العمومية واستنجدوه
على أمير اسبانيا فأجاب طلبهم واتفقوا على ان الاعرابى وحلفاءه فى شمال
نهر ابرة يساعدون شرلمان بعد أن يجوز جبال البرانس ويعترفون
بسلطانه عليهم وان الصقلى يجند البربر من افريقية ويقودهم الى اقليم
تدمير (مرسية) كي يساعدوا الحركات التى تقع فى الشمال رافعين
لواء الخليفة العباسى حليف شرلمان - هذه المؤامرة لو نفذت لكانت
أشد وقعاً على عبد الرحمن من الحوادث السابقة ولكن من سعد
طالعه أن طراً عليها ما أوقف حركتها فان الصقلى أبحر حقيقة بجيش
من البربر الى كورة مرسية ولكن وصل قبل أن يجوز شرلمان جبال

الأبواب فطلب مساعدة الاعرابي فأجابه ان الخطة المتفق عليها في (بدر برن) أن ابقى في الشمال لا تساعد جيش شلمان فأحفظ هذا الجواب الفهرى فوجه جيشه اليه ليقا تله فصدّه الاعرابي واعاده الى تدمير ففتك به بربرى (١) يظن انه سفير ارسله الامير عبد الرحمن لهذا الغرض. هذا ما كان من امر ابن حبيب وأما أبو الاسود فلم يذكر لنا مؤرخ من الفرنج أو العرب مافعل (كذا) فلم يبق من أعضاء مؤامرة (بدر برن) الا الاعرابي وحليفاه أبو ثور يحافظ وشقة وجانبه دو حكرنت سردانية فلما جاوز جيش شلمان جبال البرانس (١٦١ الهجرة - ٧٧٨ للميلاد) استولى على بيلونه ووصل الى أبواب سرقطة فقام بدخوله فيها أميرها حسين بن يحيى من سلاله سعد بن عبادة الانصارى الذى طمّح نظره الى الخلافة بعد موت النبي (صلى الله عليه وسلم) وكان حسين ساطان على قلوب أهل المدينة لتسبه هذا فكبر عليهم أن يدخل مدينتهم ملك الفرنج ولما لم يستطع الاعرابي أن يقتنههم وخشى ان شلمان يسيء الظن فيه التى بنفسه بين يديه وبينما الملك آخذ فى حصار المدينة اذ جاءه خبر أن البشكنس (٢) اغتسموا فرصة غيبته عن بلاده وسطوا عليها وأحرقوا وخرّبوا وذبحوا فاضطار أن يترك سرىها

١ و تاريخ ابن عذارى ان قاتل ابن حبيب اسمه مشكار البربرى
٢ الا فرنج يسمونهم بسكس BASQUES أو مكونس VACONS
الظاهر ان الاسم العربى منحوت من هذين اللفظين ويؤخذ أيضا من كتاب
(مسالك الممالك) للاصطخرى صحيفة ٤١ أنه يقال (بسكونس)

شواطئ نهر بره ويرجع الى شواطئ نهر رين RHIN وعند رجوعه انقضوا على مؤخرة جيشه عند مضائق جبال البرانس فمزقوها كل مزق وقتلوا الكونت روتلند قائد حدة بريطانيا ونهبوا أمتعتها وفرّوا سراعا وقد أرخى الليل سدوله وعقب ذلك عاد الاعراب الى سرقطة فمكّته حسين خائنا لدينه فمكّته في المسجد ثم جاء عبد الرحمن وحاصر المدينة فطاعه حسين لكنه فيما بعد رفع لواء الثورة فأُسيه سكان المدينة المحصورون الى عبد الرحمن فمكّته شرقتلة ثم أن الأمير غزا البشّانس وأخضع كونت سردانيه الى دفع الجزية ثم ثار أبو الاسود على الأمير فالتقى في الوادي الأحمر CUADALIMAN وكانت بينهما معركة دموية قتل فيها من اصحاب الفهرى أربعة آلاف كانت اشلائهم أقواتا للسياح والنسور والسبب في انخذال الفهرين خيانة قائد الجناح الايمن من جيش ابن الأسود (١)

لم يكن تتابع ثورات الشرّين على الأمير حائلا دون سعيه في ارتقاء بلاد الجزيرة في الزراعة والعمارة والمعارف فقد بلغت قرطبة في عهده شأوا بعيدا في العمران والحضارة والعلم والفلسفة حتى صارت نبراس الاندلس وكعبة الاسلام في الغرب — كان يرى فيها شوارع متسعة ومبان ضخمة وقصور ومشيدة على طراز العمارات الشرقية الجميلة وحمامات

١ في ابن عذاري أن هذه الواقعة كانت يوم الاربعاء مستهل ربيع الاول

وفنادق و بساتين على طول ضفة الوادى الكبير وجوامع ومعاهد للصلاة والتعليم - كان يهرع اليها من اسبانيا ومصر والشام والعراقيين العلماء والشعراء والاطباء والفلاسفة. وقصارى القول انها كانت تضارع بغداد في العظمة والشهرة (١)

وفي سنة ١٧٠ (٧٨٦) أمر الامير عبد الرحمن ببناء جامع قرطبة الشهير الذى تفضل العين في بدائعه وأخرج عليه مائة الف دينار. قيل أن هذا سوى ثمانين الف دينار دفعت ثمن الكنيسة التى كانت مكانه ومات قبل تمامه

ذكر بعض المؤرخين ان فى الجامع أشياء غريبة من الصنائع العجيبة يسجز عن وصفها الواصفون. قيل من بدائعه أن فيه ثمانية ونحو ستين طاقاً على عدد أيام السنة وأن الشمس تدخل كل يوم من طاق الى أن يتم الدور ثم تعود وان فيه تنوراً من نحاس أصفر يحمل الف مصباح وان فيه مصحفاً من القرآن كتبه عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين وقفه الامير على الجامع وفي آخر سنة ١٧١ (٧٨٨) لما أحس عبد الرحمن بقرب منيته دعا الى حضرته الحاجب وقاضى القضاة ووزراء وولاة الاقاليم وعمال الامصار واشهدهم على أنه عهد الى ابنه هشام بالولاية العامة على اسبانيا وأمرهم أن يعترفوا له بذلك فطاعوا أمره ووعدوه بالاخلاص والطاعة لولى عهده حين يقوم

بأعباء الامارة وصافحوا هذايدا بيد دليلا على رضاهم وخضوعهم
واختار عبد الرحمن ابنه هشما خايقة له في الامارة مع انه كان
أصغر من أخيه سليمان لانه كان يرى فيه فطانة واستقامة ودينا
ودمثة أخلاق وأمداء معروف دونه ويروى أن أم هشلم النسمة
حوراء (١) كان لها ضلع في هذا الاختيار وقد حضر سليمان مجلس
تولية العهد لهشام فاستاء سرًا من تفضيل أخيه الأصغر عليه
وفي سنة ١٧٢ مات الامام عبد الرحمن يوم الثلاثاء لست بقين
من ربيع الآخر (٣٠ سبتمبر سنة ٧٨٨) بعد أن حكم ٣٣ سنة
هجريّة (٣٢ سنة ميلادية)

ذنابات

الاولى — يحكى عن كيفية فرار عبد الرحمن الداخل من المشرق
الى المغرب انه قال بينما أنا جالس يوما في قرية على الفرات ذات
شجر وغياض في ظلمة بيت تواريت فيه لرمد ألمّ بي اذ دخل من
باب البيت ابني سليمان وهو ابن أربع سنين فرعا باكيا وهوى الى
حجرى فجعلت أدفعه لما كان بي ويأبى الا التعلق وهو دهش يقول
ما يقوله الصبيان عند الفرع فخرجت لأنظر فاذا بالروع قد نزل
بالقرية ونظرت واذا بالرايات السود عليها منحة وأخ لي حدث

١ او قيل اسمها (جمال) وقيل (حل)

السن كان معي يشتد هاربا ويقول لي النجاة يا أخى فهذه رايات
المسودة فضربت بيدي على دنائير تناولتها ونجوت وأخى يتبعني
وأعلمت اخزائي بمترجمي وأمرتهم أن يلحقوني ومولاي بدر هين
وخرجت وكنت في موضع ناء عن القرية فلما كانت ساعة حتى
أقبات الخيل وحاطت بالدار فلم تجد أثرا ومضيت فأتيت رجلا من
معارفي بشط الفرات وأمرته أن يبتاع لي دواب وما يصلح لسفري
فدل علي عبد سوء له العامل فلما راعنا الأجابة الخيل تحفرنا فاشتدنا
في الحرب فسبقنا إلى الفرات ورمينا فيه أنفسنا والخيل تنادينا من
الشط أرجينا لا بأس علينا فسبقنا وكنت أحسن السبع وبيع
الغلام أخى فلما قطعنا نصف الفرات قصر أخى ودهش فالتفت
إليه لأقوى من قلبه فإذا هو قد أصغى إليهم وهم يندعون فناديته
تقتل يا أخى إلى إلى فلم يسمعني واعتز بأهاليهم وخشى الفرق وانتاب
نحوهم وقطعت أنا الفرات وبعضهم قد هم للتجرد للسباحة في أنرى
فاستكف أصحابه عن ذلك فتركوني ثم قدّموا الصبي أخى الذي
عاد إليهم بالامان فضربوا عنقه ومضوا برأسه وأنا أنظر إليه وهو ابن
ثلاث عشرة سنة فاحتملت فيه شكلا ملأني مخافة ومضيت إلى وجهي
أحسب أني طائر وأنا سائر على قدمي فلجأت إلى غيضة كشبة فتواريت
فيها حتى انقطع الطلب ثم خرجت هاربا أومّ المغرب حتى وصلت
إلى إفريقية

الثانية - يصفه بعض المؤرخين بأنه كان أصهب خفيف العارضين طويل القامة نحيف الجسم له ضميرتان فصيحاً لساناً شاعراً حليماً عالماً حازماً سريع النهضة في طلب الخارجين عليه لا يخلد الى راحة ولا يسكن الى دعة ولا يكل الامور الى غيره ولا ينفرد في الامور برأيه شجاعاً مقداماً بعيد الغور شديد الحذر سخياً جواداً يكثر لبس البياض وكان يقاس بالمتصور في حرمة وشدة وضبط المملكة

الثالثة - قال ابن حبان وقع الى سليمان بن يقطين الاعرابي على كتاب من كتابه « بيل النطاع » « ما بعد فداغى من معارضض المعاذير والتسلف عن جادة الطريق لتمتد يد الى الطاعة والاعتصام بحبل الجماعة أولاً لقين بنائها على رصف المعصية نكالا بما قدمت يدك وما الله بظالم للعبيد »

الرابعة - ذكر ان أبا جعفر المنصور قال يوماً لبعض جلسائه أخبروني من صقر قريش من الملوك قالوا ذاك أمير المؤمنين الذي راض الملوك وسن الزلازل وأباد الاعداء وحسم الادواء قال ما قلتم شيئاً قالوا فمعاوية قال لا قالوا فعبد الملك بن مروان قال ما قلتم شيئاً قالوا يا أمير المؤمنين فمن هو قال صقر قريش عبس الرحمن بن معاوية الذي عبر البحر وقطع القفر ودخل بلاد اعجميا منفردا بنفسه فحصر الامصار وجند الأجناد ودوّن الدواوين وأقام ملكاً عظيماً بعد انقطاعه بحسن تدبيره وشدة شكيته . ان معاوية نهض بمركب

حمل عليه عرو وثمان وذللاً له صعبه وعبد الملك بديعة أبرم مقده
الخامسة - قيل لما خرج من البحر أول قدمه على الأندلس
أتوه بخمر فقال انى محتاج لما يزيد فى عقلى لا لما ينقصه فصرفوا بذلك قدره
ثم أهديت اليه جارية جميلة فنظر اليها وقال ان هذه من القلب والعين
بمكان وان انا اشتغلت عنها بهمتي فيما اطلبه ظلمتها وان اشتغلت بها
عما اطلبه ظلمت همتي ولا حاجة لى بها الان وردّها على صاحبها

* ٢ - هشام بن عبد الرحمن *

لما توفى الامير عبد الرحمن يوم الثلاثاء ٢٣ ربيع الثاني سنة ١٧٢
(٣٠ سبتمبر ٧٨٨) (١) كان ابنه الاكبر سليمان واليا على طليطلة
وابنه هشام على ماردة وابنه عبد الله هو الذى حضر وفاته بقرطبة (١) وصلى

١ يقول رومي ان تاريخ الوفاة كان يوم الثلاثاء ٣٠ سبتمبر سنة ٧٨٨
وفي تقييداته ان هذا التاريخ يوافق ٢٤ ربيع الثاني سنة ١٧٢ للهجرة وفي
كندى ان تاريخ الوفاة كان في ٢٣ ربيع الثاني سنة ١٧١ وخطأ رومي في
اليوم والسنة - وفي التواريخ امرية انه مات يوم الثلاثاء لست بقين من ربيع
الثاني سنة ١٧٢ وهذا هو الصحيح لانه يؤخذ من تقويم مقارنات السنين الهجرية
بالسنين الميلادية ان شهر ربيع الثاني من سنة ١٧٢ - ٢٩ يوما وان اوله يوم
الاثنين الموافق ٨ سبتمبر من سنة ٧٨٨ فيلزم ان يكون يوم الثلاثاء لست بقين
من الشهر العربي هو يوم ٢٣ منه الموافق ٣٠ سبتمبر

عليه (١) ثم ذهب الى قصر الامارة مؤملاً ان يقبل عليه كبار المدينة ويحيوه بتحيات أمير جديد فلم يحم حول القصر منهم أحد (٢) ولما تحقق ان رغبات الاهلين منصرفه عنه الى أخيه هشام ولي العهد رأى من الحكمة أن لا يركب هواه فجدد البيعة لأخيه هذا وكتب اليه بنعى أبيه وبالامارة (٣) وبأن يحضر قرطبة ليذهب هو الى ماردة

فسار هشام من ساعته الى قرطبة فدخلها بعد يوم الوفاة بستة أيام فقابلها أهلها بفرح وسرور وبايعه الخاصة والعامة يوم الأحد مستهل جمادى الأولى سنة ١٧٢ وكان عمره وقتئذ فوق الثلاثين (٤) وكان مهيباً شهماً تقيّاً كريماً عادلاً وكانوا يلتقبونه بالعدل وبالرغنى

١ ابن الأثير ويؤخذ من روى ان عبد الرحمن بعد ان عهد الى ابنه هشام بالامارة في محفل حافل توجه الى ماردة حيث تنازل فيها عن الحكم الى ابنه هشام الذى كان معه وان عبد الله بقى في قرطبة — ولم يذكر لنا التاريخ ما كان قائماً به من الاعمال — وان سليمان توجه الى طليطلة — واستمرت اقامة عبد الرحمن في ماردة الى اواخر ربيع الثانى سنة ١٧٢ للهجرة وفيها مرض ومات ثم شمرت اماره هشام في هذه المدينة في ٢٤ هذا الشهر (أول أكتوبر سنة ٧٨٨) وهتف الخطباء باسمه على المنابر

٢ كندى (٣) ابن الأثير (٤) قال كندى ان عمره ٣٠ سنة وخطاه رومى وقال ان هشام ولد في أول مارث سنة ٧٥٧ فيكون عمره في أول أكتوبر سنة ٧٨٨ أخذى وثلاثين سنة وسبعة أشهر وأقول ان كندى جعل اماره هشام في سنة ١٧١ لا في سنة ١٧٢ واعتل الشهور التى أقل من سنة

(٧ — تاريخ العرب في اسبانيا)

وأما عبد الله فرحل الى ماردة بأذن من أخيه (١)

ولما علم سليمان ببيعة هشام غصّ بها فانه كان يروم الأضرار لنفسه ويحسد أخاه هشاما على تقديم والده له عليه وكتب الى أخيه عبد الله يستقدمه من ماردة الى طليطلة فجاءها بدون ان يعلم الأمير ولكن وزير ماردة أعلمه ذلك

فاتفق الاخوان سليمان وعبد الله ان يستقلا في أقليميهما ويتصرفا تصرف الحاكم المطلق بدون ارتباط بالأمير فعارضهما وزير طليطلة غالب بن تمام فيما اتفقا عليه فسجنه سليمان فأرسل الأمير رسولا يسأله عن سبب سجنه الوزير فكان جواب سليمان ان جاء بالمسجون وخزقه أمام الرسول وقال له «قل لولائك يدعنا نحكم في اقليمينا أحراراً جزاء ما أَلْمَ بنا من الضرر من امارته التي سبقت ابائنا»

هذا الجواب أحفظ هشاما فكتب الى ولاية الاقاليم وقضااتها بأن سليمان وأخاه عبد الله شقاً عصا الطاعة فليحافظوا على مدائنهم وحصونهم من اعتدائهما ولا يطيعوا لها أمراً ولا يسمحوا لها بالايواء اليهم - وجوز عشرين ألف جندي وتوجه الى طليطلة فلما علم بذلك سليمان جهز خمسة عشر ألفاً وسار الى قرطبة تاركاً ابنه وأخاه يحفظان المدينة فالتقى الجيشان

(١) كندى ورومي - وفي ابن الأثير في سنة ١٧٣٣ ان عبد الله خاف من أخيه هشام فحفي هارباً الى أخيه سليمان وهو بطليطلة فأرسل هشام جمعا لي ائتمه ليردوه بأحقق و فلم

بالقرب من حصن بلخ BOULCHE OU BOULKH ودارت رحى الحرب كأنها بين خصمين اختلفا في الدين واللغة وكانت المعركة هائلة سالت فيها الدماء على الصمصحان ولم يحل دون منايا القتال الا أن أرخى الليل سدوله فتمزق جيش سليمان وآوى الى الجبال تحت أستار الظلام سنة ١٧٣ وفي صبيحة اليوم التالي لما لم ير الجيش الغالب أثرا للمغلوب تابع سيره نحو طليطلة حتى حاصرها وكانت منيعة الاركان لحصانة موقعها من جهة ولعناية عبد الله وشهامته من أخرى وأما سليمان فإنه جمع قوته ونزل من الجبال الى برارى قرطبة فاحتل قلعة شقندة فخرج اليه عبد الله بن عبد الملك المرواني من قرطبة وقاتله حتى أخرجه من شقندة والجهاء الى الجبال ثانية فاستنجد بوزير ماردة وبشيوخ هذه الكورة فقاموا لكن لا تمجده بل لقهره وطرده الى أرض تدمير

لما رأى عبد الله أن أخاه سليمان لا يمكنه أن يفلح في أن ينضم اليه وأن مؤن المدينة نفدت وأن الاهلين عيل صبرهم وضعفت عزائمهم سأل قواد الجيش في أن يسمحوا بجواز رسولين الى الامير ليفاوضاه بالنيابة عن أهل المدينة في الصلح فجاز متكررا هو ووزيره وتوجهوا الى قرطبة فقابلاه هشام بصدر رحيب وعفا عما سلف ووعد بالعفو عن أخيه سليمان اذا جاءه معتذرا ثم عادا الى طليطلة ففتحت أبوابها وقوبل فيها الامير على الرحب والسعة ودخل قصر الإمارة هو وأخوه وابن

أخيه وأقام أحد أقارب الوزير غالب بن تمام الذي خزقه سايمان عاملا على طليطلة وأسكن أخاه قصرا في ضواحيها ثم عاد إلى قرطبة مفكرا في الوسائل التي تخضع أخاه الثاني سايمان

ولما علم هذا بتسليم طليطلة حزن كثيرا ولكنه لم ييأس وأخذ يحول في أنحاء كيرة تدمير مستنزا الأهلين إلى الثورة وأرب يشدوا أزره ففقد إليه هشام جيشا كانت مقدمته مؤلفة من نخبة فرسان الأندلس تحت إمرة ابنه الحكم وكان شابا لم يرأس فرقة قبل هذه المرة فجدت هذه المقدمة في المسير حتى لاقت عساكر سليمان في براري لورقة وكانت تنتظر قائدها الذي كان يجمع مددا من البلاد المجاورة فشباب الحكم دفعه إلى أن يهجم عليها بدون ريث ولا إسهال ولا سلاح نصيحة سري صبرت حميته فبدأت شهابا وفرت جهمها تاركة ميدان الحرب مغطى بأشلاء قتلاها فلما حضر جيش هشام لم يردن يقاتله ففرح الأمير بنصر ابنه نصرا مبينا واننى على شجاعة فرسانه ثناء حسنا ولكنه عاتب الحكم على عجلته وإقدامه بدون نظر في العواقب ونصحه بأن يقدم الرأي قبل الشجاعة

وقد وصل المنهزمون إلى سليمان ندب حفلة ثم توجه ومعه شرذمة من فرسانه إلى أرض بننسية ومرّ بالقرب من دانية ولم يزل مرتكبا التعاسيف وجيش هشام يقتفى أثره حتى ألقى بننسية في جزيرة شقر XUCAR وهي محل حصين يكتنفه النهر وهناك كتب إلى أخيه يلقه

الصالح فأجابه بان يترك اسبانيا ويأخذ ماله و ٦٠ الف دينار مصالحة على تركته أييه فرضخ سليمان الى ذلك ورحل قاصدا عدوة المغرب ليسكن طنجة وكان ذلك في الاشهر الاولى من سنة ١٧٤ للهجرة (٧٩٠) وأما عبد الله فقيل انه بقي في اسبانيا وقيل انه لحق بأخيه

في أثناء قيام الشجار بين هشام وأخويه ثار سعيد بن الحسين بن يحيى الأنصاري بشاغنت من إقليم طرطوشة في شرق الأندلس واجتمع له خلق كثير وذلك مدينة طرطوشة وأخرج عندها يوسف القيسي (١) فجاء الى والي بناسية موسى (٢) أمر من الأمير هشام بان يجمع النساء فلما قرب من طرطوشة قابله سعيد بن الحسين ووقع بين انحصه بين معركة انهزم فيها سعيد وقتل (٣) وسار موسى الى طرطوشة فلما كان شرج عليه مولى للحسين بن يحيى اسعه جحادر في جمع كثير فقاتله وقتل موسى (٤) وانهزم اصحابه في اواخر سنة ١٧٢ نامجرة (٧٨٩) (٥)

في هذه الاثناء أيضا ثار مطروح بن سامان بن يقطين بمدينة برشلونه وخرج معه جمع كثير فلما كانت مدينة سرقسطة مدينة وشقة وتغلب

١ ابن الاثير (٢) ابن الاثير بسمه موسى بن فرتون وكندى ورومي
 اسمائه موسى بن حذيرة HODHEIRAH (٣) ابن الاثير
 (٤) كندا في ابن الاثير وفي رومي ان الذي قتل سعيدا هو ابو عثمان الذي
 خلف موسى في ولاية بناسية (٥) كندى ورومي

على الثغركاه (١) فكأن الامير هشام ابا عثمان والى بلنسية الجديد
الذي خلف موسى بان يظفر نار هذه الثورة فتوجه الى اسبانيا
الشرقية في أوائل سنة ٧٩٠ للميلاد وسار الى مطروح بن سايجان وهو
في سرقسطة فحصره فلم يظفر به فرجع ابو عثمان ونزل حصن طرطوشة
بالقرب من سرقسطة وبث سراياه على أهل سرقسطة يغيرون ويمنعون
عنهم الميرة ثم ان مطروح اخرج يوما يتصيد فأرسل البازي على طائر فاقتنعه
فزل مطروح ليذبحه بيده ومعه صاحبان له قد انفرد بهما عن أصحابه
فتعاورا به سيوفهما حتى قتلاه واحترا رأسه وتقدمابه الي أبي عثمان فسار
الى سرقسطة ونزلها بدون ممانع وبعث برأس مطروح الى الامير هشام
لما سكنت زوابع الثورات في اسبانيا باخضاع اخوى الأمير
وقع التأثيرين في شرقها وعم السلام البلاد صرف هشام عزمته الى
غزو الفرنج في الشرق الاعلى والبشكنس والاستوريين والجلالة
في شمالها.

ففي مبدأ سنة ١٧٥ هـجرة أرسل كتباً الى البلاد كافة يستنفرهم
الى الجهاد بخيلهم ورجلهم وسلاحهم ومالهم وخطب الخطباء بذلك في
جميع المساجد فلبوا دعوته العامة وصار يرسل الجيوش المؤلفة منهم تباعاً

١ ابن الاثير وابن عسكاري وفي كندى ورومي ان يهلول بن مخلوق ابا
الحجاج استولى على سرقسطة ووضع هو وولاه برشلونه وطرجونه حدوداً
للارض التي أرادوا ان يستقلوا بها

في هذه السنة والسنين التالية بعضها الى الحدود ولدت البلاد التي
غصبها هؤلاء الاقوام وبعضها الى داخل بلادهم للاستيلاء عليها
قال ابن عذاري نقلا عن الرازي وغيره ان الامير هشاما أغزى
في سنة ١٧٦ ابا عثمان الى ألبه (١) والقلاع فلقى الاعداء فهزموهم
وقتل منهم كثيرا وأغزى يوسف بن بخت جليقية فلقى ملكهم برمودة
BERMOUDE (٢) وواضعه الحرب فانهزم الجلالقة اه

وفي سنة ١٧٧ لما فطن الامير هشام الى ان اقليم سبمانية خال
من الحامية بسبب اشتغال شرلمان وابنه لويز ملك اكيثانه باطفاء
ثورة الثائرين على ابنه الثاني ملك ايطاليا ITALIE وجه جيشا
عمرما تحت امره وزيره عبد الملك بن عبد الواحد الى أرض الفرنج
(الفرنك FRANK) فدخلها حتى بلغ جرنده (٣) فقتل رجالها
وعدم أوارها وأبراجها وفتحها ثم رحل عنها الى أربونه (نربونة)

١ تراها في التواريخ العربية بالباء الموحدة وقد رأيتها مضبوطة بالتحريك
في تاريخ ابن عذاري وقد بحثت عنها في معجم باقوت وغيره فلم أرها ثم رأيت
ما يقابلها في تاريخ رومي مرسوما هكذا ILIA ايليا وهذا يدل على انها بالياء
المنتهية لا بالوحدة فقرر

٢ أو (برمند VERMENDUS) يروي انهما التقيا في محل يسمى
(بريا) فوقعت بينهما معركة كان الفوز فيها للعرب ورجع جيش المساميين مثقلا
بالغنائم والاسلاب

٣ كذا في ابن الاثير وفي كندى جيرونه GERONA

ففعل بها مثل ذلك حتى استولى عليها (١) ثم جاس البلاد شهورا
يخرب الحصون ويحرق ويغنم والسكان يفرّون من بين يديهم طالبين
النجاة ثم رجع ومعه غنائم واسعة من الذهب والفضة والأنسجة
النفيسة وبلغ خمس هذه الغنائم الذي كان باسم الأمير ٤٥ ألف
مئقال من الذهب العين وقد فرح أهل قرطبة بهذا الفوز المبين وحبس
الأمير الحسن على بناء الجامع الكبير في قرطبة وهذه الغزوة من أشهر
غزوات المسلمين

وأمر الأمير هشام عبد الله بن عبد الملك وإلى سرقسطة بان
يقيم على الحدود

وفي سنة (١٧٨) أغار عبد الكريم بن عبد الواحد ثانية على بلاد
إليبا ILIA والقلع فغنم وسلم
وفي ابن الأثير في متراثر سنة ١٧٩ أن هشام صاحب الأندلس
سير جيشا كثيفا عليهم عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث إلى جليقية
فساروا حتى انتهوا إلى استرق ASTORGA وكان أذفونش ملك
الجلالة قد جمع وحشد وأمدّه ملك البشكنس وهم جيرانه فصار في
جمع عظيم فأقدم عليه عبد الملك فرجع أذفونش هيبذله وتبعهم عبد الملك
يقفوا أثرهم ويهلك كل من تخاف منهم فدوّخ بلادهم وأوغل فيها يغنم

(١) في كندى ان العرب أخذوا مدينتي جيرونه واربونيه بالقوة ووضعوا السيف
في رؤس اهلهم اذ عابرة ابن الأثير تفيد أنهم اشرقوا على فتحها

ويقتل ويخرب ورجع سالماً
وكان قد سَير هشام جيشاً آخر من ناحية أخرى فدخلوا أيضاً على
ميعاد من عبد الملك فحربوا ونهبوا وغنموا فلما أرادوا الخروج من
بلاد العدو اعترضهم عسكر الفرنج فقاتلوا منهم وقتلوا نفراً من المسلمين
وعاد الباقيون سالمين اهـ

وفي روى « في سنة ١٧٨ (٧٩٤) انغار عبد الكريم بن عبد الواحد
ثانية على بلاد ايايا ILIA والقصور . وفي الوقت عينه زحف أخوه
عبد الملك من طريق آخر على أرض النصارى فالتقى في استرقه
ASTORGA ملك جايقية وملك البشكنس فلم يجرأ على مهاجمته
فتوغل عبد الملك في بلادهم لكن عند رجوعه مقتلاً بالغنائم كن له
العدو في الطريق ففسر المسلمون خسارة تذكر وقتل منهم شجعانهم
ومن بينهم يوسف بن بخت الذي كان قائداً لفرقة منهم وردت منهم
الغنائم والاسرى » — يظهر ان هذه الغزوة ابتدأت في أواخر سنة
١٧٨ وانتهت في سنة ١٧٩ وهي آخر غزوة غزاها هشام
ما كان غزو هشام صارقا له عن تحسين قرطبة فقد أنشأ فيها
كثيراً من المباني والمساجد التي كانت تتخذ مدارس لتعليم الفقه
واللسان العربي ويروى أنه منع النصارى أن يتكلموا بغير هذا
اللسان وان يكتبوا بلسانهم اللاتيني — وكان شغف المسلمين في
عهده بعد الغزوة بهندسة الابنية وقرض الشعر وفقه الدين

واشتهر بالشعر في عصره عامر بن أبي جعفر وكان قتيماً في طائفة على التركات التي لا وارث لها الآية إلى بيت مال المسلمين واشتهر بالفقه زياد بن عبد الرحمن الذي رحل إلى الشرق ليتلقى الموطأ عن مالك بن أنس ثم عاد إلى الأندلس فدخل مذهبها وفي سنة ١٧٩ للهجرة (٧٩٥ للميلاد) جمع هشام في القصر الحاجب والوزراء وقاضى القضاة والولاة والخطباء وأعانهم بأن ابنه الحكم هو ولي العهد بعده وكان عمره وقتئذ ٢٢ سنة ثم مرض هشام في أوائل صفر سنة ١٨٠ للهجرة ومات في ثاني عشر هذا الشهر (٢٦ أبريل سنة ٧٩٦) بعد أن حكم سبع سنين قريية وتسعة أشهر كذلك وثمانية عشر يوماً أو سبع سنين إفريقية وستة أشهر كذلك وستة وعشرين يوماً (١)

٣ - الحكم

(من ٧٩٦ إلى ٨٢٢)

بعد وفاة هشام ولي الأمر بعده ابنه الحكم بعهد منه وشهرت

امارته في موكب حافل يوم ١٤ صفر سنة ١٨٠ (٢٨ ابريل سنة ٧٩٦) وفي الجمعة الاولى (١٥ صفر) من حكمه حضر التسلاة في جامع قرطبة الكبير وخطب الخطيب باسمه على المنبر وكان وقتئذ ابن خمس وعشرين سنة (١) وكان الناس يأملون فيه أن يكون خير خلف لأبيه وجدّه فان سباه السامية كانت تنبئ بذلك وتريته من شأنها أن تهدي الى الصراط المستقيم ولكن لا يعلم الباطن الا الله . يصفه بعض المؤرخين بانه كان عالما فطنا فصيحاً شاعراً صارماً حازماً لكنه متكبر قاسى القاب سريع الغضب ويصفه البعض بانه كان طاغياً مسرفاً له آثار سوء قبيحة انه ام ولد اسمها زخرف اه وأعماله الآتية تنبئك عن صفاته فانها أكبر شاهد

لما ولي الامارة الحكم اختار عبد الكريم بن عبد الواحد (٢) حاجباً له فانه تربى معه في الصغر وكان أمين كتبه وكان الامير يعجب بعلمه وقريضة وامانته وشجاعته

وقد نازعه في الامارة عمّاه سليمان وعبد الله : فالاول كان يعيش في طنجة من ابتداء سنة ٧٩٠ ولثروته واخلاقه كثرت أشياعه والثاني لم يترك اسبانيا (على قول) بل أقام في القصر الذي في ضاحية طليطلة

١ في كثير من التواريخ ومنها كمندى انه ابن ٢٢ سنة ولكن في روى انه كان ابن ٢٥ سنة وهو الصحيح

٢ يقول كمندى عبد الكريم بن عبد الوليد

لا يترك ساكنة مدة حكم أخيه هشام للمعاهدة التي بينهما ولما في هذه الاثناء كَوْن له حزبا قويا من قواد أعمال طليطلة كبيرهم عبيد الله ابن حمزة — فلما جاء عبد الله النبا بموت أخيه وولاية الحكم نزعته نفسه الى الثورة لكنه رغب أن يتفاوض مع سليمان في الأمر أولا فرحل هو وأسرته الى طليطلة بعد أن عهد الى ابن حمزة بزعامه حزبه. هنا لا ينص التاريخ على ما اتفق عليه الاخوان سليمان وعبيد الله لكن الحوادث الآتية تسرب عن هذا الاتفاق فان عبد الله بعد أن أقام مدة قصيرة في أفريقية ذهب سرا الى (شرلمان) ملك الفرنج (الفرنك) فاستقبله في قصره في مدينة (اكس لاشيال) AN-LE CHAPLLE سنة ٧٩٧ وعقب ذلك دعا شرلمان ابنا لويس من اkitانه وقابل فائب (ألفونس) ملك استوريا وجالقية ويظهر أنهم اتفقا على أن يثابرا نيران الثورة في عدة جهات من اسبانيا في آن واحد كي يبرزوا الامارة من اليكم فقد عاد لويس الى اkitانه ومعه عبد الله. وقصد هذا اسبانيا ولوى على طليطلة فرجع عبيد بن حمزة (١) ومعه قراندسون اقيش (٢) JOLIS وهما (٣)

١ كندا في كندى وروى وفي ابن الاثير عبيد بن حمزة وقيل أيضا ابن حمزة فرار

٢ قال ياقوت انليس مدينة بالانداس من اعمال شنت مريه وقال الحميدي بليلة من اعمال طليطلة

٣ كندا في كندى وفي روى عباده HURÉDA

HUELDE وشنّت برية مستعدّين له استعدادا تامّا فأماطوا جميعا لتام الاستتار ورفعوا لواء العصيان واستولوا على أبواب وقصر طليطلة في خريف سنة ١٨١ (٧٩٧) ولم يبق على طاعة الحكم من قرّاد ضواحي طليطلة الا عمروس قائد طليطلة وفي الوقت عينه جاز سايان بجيش جرّار من افريقية الى اسبانيا فبلغ الحكم قيام عمّيه فمبّي جيوشه ووجه فرسان أرقش وشرش وشدونه واشبيلية لصدّ سايان ومنع اتصال جيشه بجيش أخيه عبد الله وتوجّه هو الى طليطلة

وفي هذه الاثناء أرسل لويس ا كيتانه جيشا اجتاز الثغور واستولى على نربونة وجيرونه سنة ٧٩٧ للميلاد وهدّد مدن الشرق وخضعت له مدن پتايونه ووشقة ولاردة ونجم عن ذلك ان قامت ثورة في برشلونه أعقبها سقوط المدينة في يد من أهداها الى شرلمان .

دعت هذه الكوارث قاضي وشقة المسمّى عبد السلام بن عبد الوليد الى ان يكتب الي الحكم بان الافرنج شنوا الغارة اشعواء على البلاد وان سقطت في أيديهم بعض المدن وان ولاية الحدود مالوا اليهم وأن والى وشقة سلم المدينة بشروط معيبة فلما قرأ ذلك الحكم ترك ثورة طليطلة الى القائد عمروس وتوجّه في الحال الى الحدود يقود جيشا عظيما فاستردّ وشقة ولاردة وبرشاونه وجيرونه ثم زحف على أرض افرنجة فدخل نربونة وفتك بالافرنج فتكا ذريعا وسبي نساءهم

وأولادهم وغنم غنائم واسعة رجع منصوراً ولذا لقبوه بالمظفر (١) وأقام على الحدود عبد الكريم بن عبد الواحد وقطيس بن سليمان وأسرع هو إلى طليطلة وحارب عميه في عدة وقائع كان له فيها الغلب عليهما حتى الجأهما في سنة ٨٣١ إلى أرض تدمير

ودارت رحى الحرب دورات بين الحكم وجيش عميه كان فيها الغلب له عليهما وفي الواقعة الأخيرة حوى القطيس بين الجيشين وكلاهما يكرّ على الآخر كرم من يشق أن الفوز له وقد أظهر سليمان وأخوه عبد الله شجاعة ليس فوقها شجاعة حتى خال الرأي وقتئذ أن سيكون لهما الغلب ولكن قدر الله إصابة سليمان بسهم في نحسه فستط صريعاً ووسطته سنا بك الخيل فلما رأى عبد الله ما أصاب أخاه اخذ في الهزيمة وقد خيم الظلام إلى أن التجأ إلى بلنسية ثم جرى بمحنة سليمان إلى ابن أخيه الحكم فبكاه وشيخ جنازته باجلال واحترام سنة ١٨٤ (٢)

١ كندى وروى ولم أر في التواريخ العربية اثر هذه الواقعة في الدنين الاولى من حكم الحكم وبعد ان يرى الحكم قيام الثورات في الجنوب والحدوف من عميه ويتركهما فاصدا الحدود قبل ان يطغى نيرانها الا ان ابن الامير وتبعه غيره ذكر أن الحكم سير في سنة ١٨٠ جيشاً مع عبد الكريم بن مغيث إلى بلاد الفرنج فدخل البلاد وبث السرايا ينهبون ويقتلون ويحرقون حتى غنموا مال الفرنج واسروا رجالهم وسبوا حريمهم وعادوا سالمين اه بتصرف وتاريخ هذه الواقعة سابق تاريخ قيام سليمان وعبد الله على الحكم

٢ كذا يؤخذ من كندى - وفي ابن الامير في حوادث سنة ١٨٥ ان سليمان انهزم وقصد ماردة فقبضه طائفة من عسكر الحكم فأسروه فلما حضر عند

بعدئذ لم يسمع عبد الله الا ان يطلب الصلح من الحكم فأجابه اليه على ان يجعل أولاده نزلاء عنده في قرطبة فذهب عبد الله الى طنجة وأرسل ولديه الى الحكم فقابلهما بحفاوة واجلال ورتب لهما كل شهر الف دينار وفوق ذلك خمسة آلاف في كل سنة وأباح له السكنى في قصور ضاحية بلنسية وعفا عن القواد الذين كانوا معه وزوج اخته المسماة (كَنَزاً) لأكبر ولدى عمه المسمى أصبغ وكان بذلك حسم النزاع سنة ١٨٦ (١)

وفي سنة ١٨٤ التي قامت فيها المعركة الاخيرة بين الحكم وعميه سكت طليطلة زعيم الثورة عبيدة بن حمزة الى القائد عمروس فقطع رأسه وأرسله الى قرطبة ودخل المدينة وأقام ابنه يوسف محافظا عليها وأسرع في اللاحاق بالامير ومعه القوي التي أمكنه أن يعدها ولم يترك حامية في طليطلة فأدركه في معسكره في جنجيلة (٢)

يؤخذ من روى ان الفرنج انهم زوا فرصة قيام الخصام بين الحكم

== الحكم قتله وبنت برأسه الى قرطبة. وكتب الى أولاد سليمان وهم بسرقة كتاب أمان واستدعاهم لحضر واعنده بقرطبة

١ في ابن الاثير وغيره ان الصلح تم في سنة ١٨٦ وفي كندى وتبعه روى انه كان في سنة ١٨٤ والمتبادر ان الواقعة الاخيرة هي التي كانت في سنة ١٨٤ (٨٠٠) وأما الصلح فكانت خانته في سنة ١٨٦

٢ قال ياقوت جنجيلة مدينة بالاندلس بين شاطبة ونشتة

وعثية في السنين ٧٩٨ و ٧٩٩ و ٨٠٠

١ — فاغاروا على اسبانيا الشرقية وأوغلوا فيها وسبب ذلك أنهم بعد أن ضربهم الحكم في آخر سنة ٧٩٧ وأخرجهم من الأنحاء التي فتحوها وطردهم من اسبانيا الشرقية ومن جزء من سبتانية ماضدّهم ذلك كله عن مقصدهم نحو اسبانيا ففي أوائل سنة ٧٩٨ اجتمع بمجلس أمّتهم PLAIDE في طلوشة وقرّر إرسال تجريدة الى اسبانيا وفي ذلك الوقت كان بهلول يحكم البلاد الجبلية التي تتأخّم اكيثانة وقد ضرب به الفرنج في السنة الماضية فأرسل مبعوثين ليقدّموا الى المجلس هدايا ويلتمسوا الصالح فأكرم لويس وفادتهم وأجاب ملتمسهم وربما كان إرسال التجريدة الى اسبانيا من ملتمسات بهلول من المجلس وقد استولت هذه التجريدة على جرونة وروذة وأمير يأس

٢ — واقاموا قلاعاً قوية على الحدود وقد شفّاهم اقامة هذه القلاع عن إرسال بعثة حربية في سنة ٧٩٩ الى ما وراء جبال الالباب ولكنها لما كانت في السنة الاولى من القرن التاسع ورأى لويس حصانتها على طول جبال البرانس اجتاز الحدود الى اسبانيا وكان مقصده الوحيد على ما يظهر أن يتحقق من صحة الوعود والقيود التي ارتبط بها زيد محافظ برشلونه وحسن محافظ وشقة فان الاول اطاع شرلمان طاعة اسمية سنة ٧٩٧ ولما قرب الملك من برشلونه جاء اليه

زيد واستقبله باجلال وتمظيم ولكن لم يسلمه المدينة فتقدم الملك الى لاردة
وهاجمها فأخذها ثم خربها وخرّب عدة قصور وقلاع على الطريق
الذى بين لاردة ووشقة ووالى هذه المدينة رفض ان يسلمها وكانت
حصينة فلا كتفى لويس باتلاف مزرعات قمحها وياحرق ما كان خارجا
عن أسوارها ولما جاء الشتاء عاد هو وجيشه الى اكيثانه

وفي ربيع السنة التالية عقدت الجمعية الصومية لمملكة اكيثانه في طلوشه
وقررت أخذ برشلونه فجتمعت الجنود من أربع امم تابعة لهذه المملكة:
من الفرنك والشيكنس والنقوط والا كيتان وجازت حدود جبال
البرانس حتى وصلت الى اسوار برشلونه وحاصرتها وكان أميرها
يسمى زيدون فأثار حمية سكانها وحضهم على الدفاع والذود عن
بيضتهم وصدّ الاعداء عن عاصمتهم فاستعدوا ودفعوا هجمات العدو
برميّه بالنبال والقلاعات من فوق أسوار المدينة ولكن آل الامرا الى
سقوطها في سنة ٨٠١ م

ويؤخذ من كندى ان نصارى الفرنج أغاروا في سنة ١٨٥ على
شرق اسبانيا فحاصروا مدينة جيرونة حتى خضت ثم توجهوا الى برشلونه
فحاصروها زمنا طويلا اذ كانت منيعة فان المسلمين كانوا حصنوها
تحصينا قويا وان الحكم لما بلغه ثورة بهاول بن مرزوق وانه يقود
النصارى نحو طرجونة وكورة طرطوشة أمر بتوجيه قوة تطفىء ثورته
وتردع هؤلاء الخائنين — وفي اثناء اعداد معدات القوة جاء الخبر الى

قرطبة بسقوط برشلونه سنة ١٨٥ بعد أن طال حصارها سبعة أشهر (١) وفي أثر ذلك سار الحكم نفسه إلى شرق اسبانيا ومعه قائد فرسانه محمد ابن مفرج والوالى عمروس ولكن هذا عاد إلى طليطلة وسبب ذلك أن يوسف بن عمروس أحفظ أهل طليطلة وأهاج نفوسهم عايه لغلظته وقسوته حتى تجمعوا حول بيته ورموه بالحجارة وجرحوا كثيرا من حرسه وأرادوا الفتك به لولا أن حال دون ذلك كبار المدينة وكتبوا إلى الحكم بهيجان الطليطالين وقيامهم على واليهم وأنه غير أهل لمنصبه فأطلع الحكم عمروسا على ما كتبه هؤلاء في ولده وأمره أن يدعو إلى الحدود فرجاءه هذا أن يقوم مقام ابنه في ولاية طليطلة لينتقم من أهائها فأجاب الأمير رجاءه لما استرد الحكم سرقسطة توجه إلى مدن الحدود الأخرى ليستردّها فأخذ تطيلة وترك يوسف بن عمروس قائدا لها واحتل بلونه وعند نزوله نحو شواطي نهر ابرة استولى على وشقة ثم زار حدود فرنجية — وفي هذه الاثناء رغب يوسف قائد تطيلة الجديد أن يبرهن على أهليته فأغار على حدود الفرنج فوقع أسيرا في كمين نصبوه له سنة ١٨٧ ففداه أبوه منهم فأطلقوه (٢)

١ جاء في ابن الاثير ان الفرنج ملكوا برشلونه سنة ١٨٥ واخذوها من المسلمين ونقلوا حماة ثغورهم اليها وكان سبب ملكهم اياها اشتغال الحكم بمحاربة عميه عبد الله وسليمان

٢ استخلصنا هذا من كندى وروى لكن جاء في ابن الاثير في حوادث

ثم سار الحكم الى طرجونه فوجد ان بهاولا جلا عنها فاقتفى
اثره الى أن أدركه في بركة طرطوشه يقود عصابت من الجباليين والنصارى
فاشتباك القتال بينهما في عدة ملاحم قاوم فيها بهلول مقاومة تذكر
لكنه قهر في الملحمة الأخيرة التي دامت أربع عشرة ساعة فجثى به
حيًا بين يدي الأمير فقتل رأسه سنة ١٨٨ (٨٠٤)

حصل هذا ولم يسترد الأمير برشارنه ويحتمل أن توالى المعارك
وتتابع الاسفار أضعفت قوى جيشه فحال ذلك دون استرداد هذه
المدينة الحصينة . يذكر بعض المؤرخين هنا أن الحكم بعد أن وطد
دعائم الأمن في الحدود عاد من طرطوشه الى بالنسية فشاطبة فدانية
فتدمير قرطبة في أوائل سنة ١٨٩ للهجرة (٨٠٥)

سنة ١٨٧ ان الفرنج ماسكوا مدينة تطيلة وسبب ذلك ان الحكم استعمل
على ثغور الاندلس قائدا كبيرا اسمه عمرو بن يوسف فاستعمل ابنه يوسف على تطيلة
وكان قد انهزم من الحكم أهل بيت من الاندلس أولو قوة وبأس لانهم
خرجوا عن طاعته فالتحقوا بالمركين فتقوى أمرهم واشتدت شوكتهم وتقدموا
الى مدينة تطيلة فحاصروها وملكوها من المسلمين فأسروا أميرها يوسف بن
عمروس وسجنوه بصخرة فيس واستقر عمرو بن يوسف بمدينة سرقسطة ليحفظها عن الكفار
وجمع العساكر وسيرها مع ابن عم له تلقى المركين وقتلهم ففض جوعهم
وهزمهم وقتل أكثرهم ونجا الباقي منكموبين وسار الجيش الى صخرة فيس
فحاصروها واقتحوها وخلصوا يوسف أمير الفرس وسبوه الى أبيه وعظم أمر
عمروس عند المركين وبعد صيته فيهم أم ولا يخفى ما في هذه العبارة من النابرة
لا نقلناه عن كندی ورومى

وفي هذا الوقت ارتقى الى عرش امارة المغرب ادريس بن ادريس وهو الثاني من اصراء الأدارسة فأرسل اليه الحكم وفداً يهنئه بهذا الارتقاء ويعقد معه محالفة على من يناوئهما وكان يصحب هذا الوفد خمسمائة فارس فقبول بالخفاوة والاحلال وكانت حاضرة امارة ادريس (ويلي WALILI) لافاس فانه هو الذي خطبها في سنة ١٩١ هـ (٨٠٧ م)

وفي سنة ١٩٠ للهجرة (٨٠٦) (١) حدث حادث فظيع في طليطلة وهو أن عمروسا لما ولي امارة طليطلة خلفا لابنه عزم أن ينتقم من الطليطليين فابتغى فرصة توجه عبد الرحمن بن الحكم الى اسبانيا الشرقية يقود خمسة آلاف فارس ومروره بالقرب من طليطلة فدعاه ان يخرج على المدينة فلبى دعوته وكان ابن خمس عشرة سنة فأولم له بالوالي ولية فاخرة وأطاعه على ما عزم عليه من دعوة أعيان المدينة الى الولية والفتك بهم فظهر ابن الامير سخطه من هذا الامر الشائن فأجابه الوالى بان عداوة الطليطليين للامويين نار كامنة دائما متى كشفها ريح الفرص ناروا عليهم فيعجب افزاعهم بما يحمداً نفاسهم حتى لا تقوم لهم قائمة بعد ذلك فهذا القول خدع الشاب فلما جاء المساء وبادر

١ هذه الحادثة يذكرها ابن الاثير في حوادث سنة ١٩١ لكن في تاريخ كندى وتاريخ روى أنها حدثت في سنة ١٩٠ ويذكرها دوزى في ٨٠٧ (١٩١) ويؤخرها عن حادثة ائتمار فقهاء قرطبة على خلع الحكم

المدعوون الى قصر الولاية للاحتفاء بابن أميرهم الحكم أخذ الحرس كل مدعو داخل وقادوه الى حفرة وقطعوا رأسه حتى قتلوا أو بجائنة مدعو من الاشراف وفي اليوم التالي طرحت رؤوسهم أمام اهل المدينة فذهروا من منظرهم البشع ووجفت قلوبهم وشاع أن هذه المكيدة الشنعاء من تدبير الحكم فملت قلوب الطليطليين بغضا فيه وكانوا لا يلصقونها بعبد الرحمن لصغره ولكنهم ما نسوا أنه كان العملة فيها فثاروا عليه أيام امارته

وبعد ثلاثة أيام سار الأمير الشاب وفرسانه الى سرقسطة على الحد الذي كان وقتئذ نهرا برة ويقال ان السبب في تجر يدة عبد الرحمن هذه أن البياونيين PAMPLUNOIS والنقاريين كانوا خاضعين للحكم منذ غزوته سنة ٨٠٢ ولكنهم في ٨٠٦ خضعوا للفرنج من تلقاء انفسهم

وفي ذلك الوقت كان الحكم ولي أصف بن عمه مدينة ماردة فعزل هذا وزيره فتوجه المعزول الى قرطبة ووشى بالوالي عند الأمير وقال له انه يتر بص فرصة مناسبة ليلقى عن عاتقه نير الخوضوع للامارة الشرعية فأثرت هذه الوشاية في نفس الأمير حتى أدت به الى عزل ابن عمه وتولية الوزير فتوجه هذا الى ماردة فرحا بنصرته وأعطى كتاب العزل والتولية الى اصف فرفض ان يترك منصبه وكتب الى الأمير جوابا يعجب فيه من سماع وشاية الوزير المعزول ويقول له ان

حنفيد عبدالرحمن لا يطرد من عمله كما تطرد السُّوقَة فهاج هذا الجواب غضب الحكم فبعث في الحال كوكبة من فرسانه الى ماردة فرأت أبوابها مغلقة فبأخت الأمير فحضر وعزم ان يدخل المدينة بالقوة ويمثل بأصبغ ولكن قدر الله ذاك فخرجت كنز زوج أصبغ وأخت الحكم ممتطية جوادا يصحبها خادمان واخترقت معسكر الحصار الى ان دخلت خيمة أخيها فلما رأها ارتاع وهاجت فيه عاطفة الحنان اليها فترامت على قسميه وأخذت تبرى زوجها بفصاحة لسان وقوة جنان وتدحض عنه ما رماه به الوزير بحجج بالغة حتى اقنعت أخاها وصرفت عنه الظنون وذهب شيطان الشقاق وجاء ملاك الوفاق ودخل الأمير واخته المدينة واقام في ضيافة ابن عمه أياما الى أن جاء كتاب من قاسم ابن عمه عبد الله يدعو الى قرطبة لقيام فتنة فيها فماد مسرعا فقال له « عاهت ان كثيرا من وجهاء وفتهاء المدينة من ينقم عليك قسوتك وأثرتك وطاعة هلاكك ائتمروا بك ليقبلك واختاروا أن أكون أميرهم فلم يسعني الا اظهار الميل لما يرومون وقد اطاعتك على أمرهم وانا لا أزال على بيعتك » فبعث الحكم وسأله تصحيح ما بانغ فأخذ معه بعض ثقات الأمير وأجلسهم في قبة في داره وأخفى أمرهم وحضر القوم عنده ليتفقوا على موعد ينفذون فيه ما ربههم فقال لهم هذا الذي تدعونني اليه لا يقوى على القيام به فئة قليلة فسموا له آخرين معهم فقال اني لا أثق بمن سميت دون ان اسمع

منهم كما سمعت منكم فتطيب نفسي وأدخل في الأمر على قوة وبصيرة
فأثره وسمع مقاتلتهم فقال لهم موعدنا يوم الجمعة في المسجد وقت الصلاة
وثقات الحكم بحيث يرون ويسمعون ويكتبون أسماءهم فلما صبح عند
الحكم أمرهم بشهادة هؤلاء الثقات عليهم أخذهم وصلبهم جميعا - وروى
دوزى هذه الحادثة بصورة أخرى في سنة ٨٠٥ فقال

اتفق يحيى بن يحيى وعيسى بن دينار وفقهاء آخرون وبعض
الاعيان على تولية ابن شماس بن عم الحكم امارة اسبانيا وخاطبوه
في هذا الشأن فطالب منهم ان يعرفوه اسما من يمكنه ان يعتمد عليهم
فيعدوه بذلك في ليلة يسودون فيها اليه فلما خرجوا من عنده توجه سرا
الى قصر الحكم وأطلعه على أمرهم فكان يسمع منه ويأوح على سياه
الريب في الأمر فقال له وقد كاد يتميز من الغيظ « تريد ان تشير
غضبي على أعيان عامتي - تا لله ان لم تثبت ما أخبرتنى به لأقطعن
رأسك » فسأله ابن شماس أن يرسل معه ثقة في ليلة كذا فأجاب الحكم
سؤاله وأرسل اليه في الليلة المعينة ناموسه (كاتب اسراره) ابن الخاضع
وغلامه الخاص بخدمته المسمى (شيسنت HYACINTHE) (١)

١ وهو اسم نبات يسمى بالعربية السنبيل أو الخراي ويسمى بالافردية
أيضا (ZACINTHE زسنت) وذكر دوزى في تقييداته عدة ابنية لهذا
الاسم منها (يزت) عن ابن البار ثم قال اذا اضيفت جميع الحركات حصل
(يزنتو YAZINTO) وبلا سبانية ZACINTO زسنتو)

وكان اسمانيا نصرانيا فاستترا وراء ستار وادخل ابن شماس
من ائتمروا وسألهم عن يعتمد عليهم من الرجال فذكروا له اسماء
المؤتمرين والناموس من وراء الستار يكتب الاسماء في برنامج وكان
بعضها أسامى اناس مخلصين في الظاهر للامير فخشي الناموس ان
يذكروا اسمه بين الاسماء فأحدث جلبّة بنطقه بعض ما يكتبه على
الورق فشعر المجتمعون بالامر وقاموا مخذولين صائحين في وجه ابن
شماس قائلين له «غدرتنا يا عدو الله» ونجا بعضهم بالفرار من المدينة
وممن فروا عيسى بن دينار ويحيى بن يحيى الى طليطلة وقبضت الحكومة
على اثنين وسبعين رجلا من المؤتمرين وصلبتهم قال كندى ورومى
ان من صلبوا كانوا ثلثمائة وان الحادثة وقعت سنة ١٩٠ (٨٠٦) وان
من كانوا اختاروه ليكون أميرهم هو قاسم بن عبد الله عم الحكم وانه
هو الذى أفشى سرهم - ويؤخذ من ابن الاثير أن اهل قرطبة هاجوا
ثلاث هيجات الاولى فى سنة ١٨٧ وان عدد المصلوبين فيها اثنان
وسبعون وانهم كانوا اختاروا محمد بن القاسم القرشى المروانى عم هشام
ابن حمزة وأخذوا له البيعة على أهل البلد وانه هو الذى أطلع الحكم
على أمرهم والثانية فى سنة ١٩١ وان الحكم عاد بسببها من ماردة
الى قرطبة وكشف عن الذين اثاروا الفتنة وصابهم مناسين وضرب
اعناق جماعة منهم ولم يعين هذا العدد ولا من أختاروه أميرا والثالثة

في سنة ١٩٨ وقيل سنة ٢٠٢ (١) ويسمىها بواقعة الر بض وملخصها ان أهل قرطبة نقموا من الحكم انهما كه ولداته وقتله جماعة من أعيانهم فعرضوا به فكانوا ينادون عند انقضاء الاذان (الصلاة يا مخمور الصلاة) وشافه بعضهم بالقول وصفقوا عليه بالاكف وتعرضوا لجنده بالاذى والسب فحسّن قرطبة وعمر اسوارها وحفر خنادقها وارتبط الخليل على بابيه وامة كثر المالك ورتب جمعا لا يفارقون باب قصره بالسلاح ثم وضع على أهل قرطبة عشر الاطعمة كل سنة من غير خرص ثم قتل عشرة من رؤساء سفهاها وصلبهم فهاج لذلك أهل الر بض فاجتمعوا بالسلاح فقاتلتهم الجنود ففلبهم الر بضيون وأحاطوا بالقصر فنزل الحكم من أعلاه ولبس سلاحه وركب وحرّض الناس فقاتلوا بين يديه قتالا شديدا وامر ابن عمه عبد الله فتلم في السور ثلثة وخرج منها ومعه قطعة من الجيش فأحرق الر بض وأتى أهله المحاربين من ورائهم وفتك بهم فانهزموا وكانت مقتلة عظيمة واخرج من كانوا في المنازل والدور واسرهم فقتل الحكم من وجوههم ثلثة واصلبهم منكسين واقام النهب والقتل والأحراق والتخريب في أرباض قرطبة ثلاثة ايام وأشار على الحكم حاجبه عبد الكريم ان يعفو فنودي

١ نقل رومي عن بعض مؤرخي العرب ان واقعة الر بض كانت يوم الاربعاء ١٣ رمضان سنة ٢٠٢ للهجرة وقال ابن الاثير في آخر عبارته « وذكر بعضهم هذه الواقعة سنة اثنتين ومائتين »

بالأمان على أن من بقي من أهل الرض بعد ثلاثة أيام قتلناه وصاحبنا فخرج
من بقي منهم مستخفيا ومعهم نساؤهم وأولادهم وما خف من أموالهم ... اه
قال المقرئ (ناقلًا عن ابن خلدون مع تصرف) كان للحكم
الوقعة الشهيرة مع أهل الرض لانه في صدر ولايته قد أهتم في
لذاته فاجتمع أهل العلم والورع بقرطبة مثل يحيى بن يحيى الليثي صاحب
مالك وأحد رواة الموطأ وطالوت الفقيه وغيرها فتأروا به وخلعوه وبايعوا
بعض قرابته وكانوا بالرض الغربي من قرطبة وكان محله متصلا
بقصره فحصره سنة تسعين ومائة (١) فقاتلهم وغلبهم ففرقوا
وهدم دورهم ومساجدهم ولحقوا بفاس من أرض المدونة بالاستندرية
من أرض المشرق ونزل بها جمع منهم ثم ساروا بها فزحف اليهم
عبد الله بن طاهر صاحب مصر للمأمون وغلبهم وأجازهم إلى جزيرة
أقريطش (٢) فلم يزالوا بها إلى أن ملكها الفرنج من أيديهم
بعد مدة اه

وفي سنة ١٩٠ (٨٠٦) كانت قوادر الحكم تحارب على حدود
جليقية حتى اضطر ملكها الفونس أن يطلب هدنة ثلاث سنين من

١ كذا في ابن خلدون ويظهر أن المقرئ أغفل هذه المارة لشكه في تاريخ
الحادثه فإن ابن الأثير وهو من المأخذ التي أخذ عنها ابن خلدون أرخ هيجات
قرطبة سنين ١٨٧ و ١٩١ و ١٩٨ أو (٢٠٢)

٢ جزيرة جريد أو كريت الآن

القواد فأجابوه الى طلبه وكان الحكم وقتئذ بماردة
وفي سنة ١٩١ ثار في باجة حزم بن وهب وقصد أشبونة فارسل
اليه الحكم ابنه هشاما في جمع كثير فأذله ومن معه حتى طلبوا الامان
وفي أثناء ما كان الحكم مشغولا بأهل ماردة وقرطبة كان
الفرنج يغيرون على المساهين المتأخين لهم على طول جبال البرانس
حتى استولوا على جزء عظيم من أرض اسبانيا بين هذه الجبال ونهر ابرة
وفي ابتداء سنة ١٩٢ حاصر الفرنج تحت قيادة لويس ملك
اكيثانه مدينة طرطوشه فتوجه اليهم عبد الرحمن من سرقطة يقود
جيشا جرارا وانضم اليه جيش من بلنسية تحت قيادة واليها فرفعوا
الحصار عن المدينة وفنكوا بالمحاصرين فتكا ذريعا حتى تنفط
ميادين القتال بجثثهم وصارت أقواتا للطيور والوحوش وانهمزم لويس
ابن شراان الى اكيثانه وعاد عبد الرحمن بن الحكم الى قرطبة وكان
ابن تسع عشرة سنة فقبول فيها بالفوح والسرور سنة ١٩٣ ودعا
عمروسا ليخلفه في اسبانيا الشرقية

وفي سنة ١٩٣ (٨٠٩) نزل نصارى جليقيه الى (لوزيتانيا) تحت
قيادة ماكهم الفونس فخرقوا مدينها وقتلوا أهلها واستمروا في سيرهم حتى
وصلوا الى اشبونة فمهبوا وخربوا ضواحيها الى ان جاءهم الحكم نفسه
فدفعهم الى أرضهم وعاد الى قرطبة تاركا قواده تحاربهم الى (سنة ٨١١)
وفي سنين ١٩٤ و ١٩٥ و ١٩٦ عاودت أهل ماردة الخلاف على الحكم

وعصموا عليه فسار اليهم بنفسه وقاتلهم ولم تزل سراياه وجيوشه تتردد اليهم حتى خضعوا وخرج منها واليها أصبح وسكن قرطبة وفي هذه السنين (كما جاء في ابن الاثير) طمع الفرنج في ثغور المسلمين وقصدوها بالفارذ والقتل والنهب والسبي وكان الحكم مشغولا بأهل ماردة فلم يتفرغ للفرنج فاتاه الخبر بشدة الامر على الثغور وما بلغ العدو منهم وسمع ان امرأة مسلمة أخذت سبية فنادت واغوثاه يا حكم فمظلم الامر عاياه فجمع عسكره وسار الى بلاد الفرنج سنة ١٩٦ وأنخن في بلادهم وافتتح عدة حصون وخرب البلاد ونهبها وقتل الرجال وسبي الحريم ونهب الاموال وقصد الناحية التي كانت بها تلك المرأة فخلصها من الاسر فلما فرغ من غزاته قال لأهل الثغور هل أغاثكم الحكم فقتلوا نعم ودعوا له وثنوا عاياه خيرا وعاد الى قرطبة مظفرا

قال المقرئ في سبب هذه الغزاة ان العباس الشاعر توجه الى الثغر فلما نزل بوادي الحجارة سمع امرأة تقول واغوثاه بك يا حكم لقد أهملتنا حتى كلب العدو علينا فأيمنا وأيتمنا فذهب الى الحكم وأنشده قصيدة يصف له فيها خوف الثغر واستصراخ المرأة باسمه منها تدارك نساء العالمين بنصرة * فانك أخرى أن تغيث وتنصرا فأنف ونادى في الحين بالجهاد فخرج الى وادي الحجارة ومعه الشاعر وسأل عن الخيل التي أغارت من أى أرض العدو كانت فأعلم بذلك فغزا تلك الناحية وأنخن فيها وفتح الحصون وخرب الديار وقتل

عددا كثيرا وجاء الى وادى الحجارة فأمر باحضار المرأة وجميع من
أسر له أسد في تلك البلاد فأحضر وأمر بضرب رقاب الاسرى بحضرتها
وقال للعباس سلما هل أغاثها الحكم فقالت المرأة وكانت نبيلة والله
بقد شفى الصدور وأنكى السدود وأغاث الماهوف فغاثه الله وأعز نصره
فارتاح لقولها وبدأ السرور في وجهه وقال

ألم تر يا عباس انى اجبتها * على البعد اقتاد الخيس المظفرا
فادركت أوطارا وبردت غلة * ونفست مكر وباوأغنيت معسرا
فقال العباس نعم جزاك الله خيرا عن المسلمين وقبل يده

ويؤخذ من روى ان الفرنج في سنة ٨١٠ ارادوا أن يعاودوا
الكرة على طرطوشه فذهب جيشهم أولا الى برشاونة وصنعوا فيها زوارق
سهلة الحمل كل منها مقسم الى أربعة أقسام يمكن حمله على حصانين
او بغلين ويسهل تركيبه عند ارادة الاستعمال واستحضروا لهذا الغرض
مطارق ومسامير وقيرا وشمعا ومشاقا وليخفوا أمرهم كأنهم يسيرون ليلا
ويختبئون نهارا في الغابات ولا يشعلون النار لئلا يدل عليهم دخانها
حتى وصلوا الى شاطئ نهر ابرة بعد ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع ركبوا
زوارقهم ووضعوها في الماء واخترقوا بها النهر قائدن خيلهم تسبح
حول الزوارق فلما وصلوا الى الشاطئ الآخر فاجؤا فرقة من العسكر
كانت تخفر النهر فولت مدبرة تاركة وراءها امتعتها وخيامها فبات فيها
الافرنج وفي اليوم التالي قابلهم والى طرطوشة المسمى عبيد الله او عبدون

بمن قدر على جمعه من الجنود ودارت رحى الحرب بين الفريقين وانجحت
عن فوز الطرطوشيين وعن ارتداد الفرنج الى اكيثانة على اعقابهم
خاسرين (١)

لما رأى الحكم تتابع الحروب بين المسلمين وبين الافرنج من
جهة الشمال الشرقى وبين نصارى جليقية من جهة الشمال الغربى أرسل
مبعوثين الى شرلمان امبراطور الفرنج يطلب من الصالح ومع هؤلاء المبعوثين
(كونت) كان أسيرا عند الامير منذ سنين فوصلت هذه البعثة الى
مدينة (اكس لا شبال AIX-LA-CHAPELLE) - في الوقت
الذى وصلت فيه اليها بعثة امبراطور القسطنطينية (نساfore
NICEPHORE) لئلا غرض البعثة الاولى فمقد شرلمان الصالح مع
البعثتين في شهر اكتوبر سنة ٨١٠ م

ومع هذا أغارت تجريدة بحرية من المسلمين في نهاية هذه السنة
على جزيرة قرصة (CORSE) فخربتها لكن يظهر ان هذه التجريدة
قامت من ثغور اسبانيا قبل ان يعلم الصالح في زمن كانت فيه وسائل
نقل الانباء صعبة وقليلة السرعة

وفي نهاية هذه السنة أيضا طرد عبد الرحمن بن الحكم عمروسا
من سرقسطة والجلأ الى وشقة مستقط رأسه لما ظهر من ان له علائق
بالفرنج وانه كان يطاعهم على الحال التي يسهل عليهم مفاجأتها وكان

عمروس هذا من المولودين أبوه مسلم وأمه نصرانية فيحتمل أن الفرنج
حالفوه على استقلاله بالتغر الأعلى تحت رعايتهم

وفي سنة ٨١١ م فسخ عقد الصلح بين الحكم وشرمان وعاد الشجار
بين الامتين على أرض اسبانيا حتى أن لويس تاهب لاخذ طرشة (١)
ويحتمل أن سبب ذلك استمرار غزوات المسلمين البحرية الى جزائر
البحر المتوسط التابعة لمملكة أفرنجية

وفي سنة ١١٩٧ (٨١٢) دخل عبد الرحمن جيرونه وغزا أرض
زبونته فقاتل أهلها ونهبها وعاد معه كثير من الأسرى والغنائم
الواسعة وكان ابن احدى وعشرين سنة وكان حاكم اسبانيا الشرفية
ومحافظ الحدود (٢) جاء في ابن الاثير في حوادث سنة ٣٠٠ ان
الحكم جهز جيشا مع عبد الكريم بن مغيث الى بلاد الفرنج بالاندلس
(يعنى نصارى جليقية) فسار بالعساكر حتى دخل أرضهم وتوسط

١ روى رومى عن قصصى منجم أن لويس سار الى طرطوشه بنفسه يقود
جيشا كثير العدد والعدد وحاصرها أربعين يوما وهو يرمى حيطانها بالمجانيق حتى
طلب أهلها عقد شروط واتى محافظها عبيد الله عفايتها الى لويس فعلمها وهو فرح
الى أبيه « واعتق رومى هذه الرواية باسناد استيلاء لويس على طرطوشة كما استولى
على برشانونه وأنه ترك فيها حامية واقام عليها محافظا - لأنه لم يوجد لذلك اثر في
تاريخ عرنى ولا أفرنجى وقد جاءت اخبار مختلفة تتكلم عن طرطوشة بعد هذا
الزمن باعتبار انها مدينة خاضعة للحكم الاسلامى

ببلادهم فخرّبها ونهبها وهدم عدة من حصونها فاستنفذ خزان أولئك
فلما رأى ملكهم فعل المسلمين ببلاده كاتب مارك جميع تلك الدواحي
مستنصرا بهم فاجتمعت اليه النصرانية من كل أوب فأقبل في جموع
عظيمة بازاء عسكر المسلمين بينهم نهر فاقتتلوا قتالا شديدا عدة أيام
المسلمون يريدون أن يعبروا النهر وهم يمنعونهم فلما رأى المسلمون ذلك
تأخروا عن النهر فعبر المشركون اليهم فاقتتلوا أعظم قتال فانهزم
المشركون الى النهر فأخذهم السيف والاسر فن عبر النهر سلم وأسر
جماعة من كنودهم (١) ومالوكهم وقمامصتهم وعاد الفرنج ولزموا جانب
النهر يمنعون المسلمين من جوازه فبقوا كذلك ثلاثة عشر يوما فجاءت
الامطار وزاد النهر وتعذر جوازه فقفل عبد الكريم عنهم سابع ذي
الحجة اه وجاء في ابن خلدون ما نصه « وفي سنة ٢٠٠ بعث الحكم
العساكر مع الحاجب عبد الكريم بن مغيث الى بلاد الفرنج فصار
فيها وخرّبها ونهبها وهدم من حصونها وأقبل اليه ملك الجلائقة في
جموع عظيمة وتنازلوا على نهر واقتتلوا عليه أياما ونال المسلمون منهم
عظيم النيل وأقاموا على ذلك ثلاث عشرة ليلة ثم كثرت الامطار
ومد النهر وقفل المسلمون ظافرين وجاء في تاريخ ابن عذارى
نحو ذلك وسعى النهر نهرارون وقال ان المشركين قتل منهم عدد
عظيم لا يحصى كثرة وضائق الحال أيضا بالمسلمين فقفل عبد الكريم

ظافرا لسبع خلون من ذى القعدة ويؤخذ من كندى وروى

١ - ان جيش الحكم في سنة ١٩٧ (٨١٢) كان يحارب نصارى الشمال الغربى تحت قيادة عبد الكريم وعبد الله فكان للجيش فى المبدأ نصرات لكن صعب القتال على المسلمين منذ دخلوا فى أرض جبلية يجهلون بها فغلب النصارى القائد عبد الله على حدود جليقية فقتلوه وفرقوا جنده أيدى سبا وفر فرسانه حاملين الرعب الى عساكر عبد الكريم حتى اضطروهم الى الفرار مع ما هو عليه قائدهم من المهارة والشجاعة ففرق بعضهم فى النهر ولجأ البعض الى الغابات المجاورة وتسلقوا أشجارها ليختبئوا فيها ولكن عسكر النصارى أدركوهم ورموهم بالسهام

٢ - وان عيسى بن أحمد الرازى قال بقى الجيشان بعد الهزيمة يواجه أحدهما الآخر بدون قتال ثلاثة عشر يوما فلا النصارى يجرءون على المسلمين ولا هؤلاء يجرءون على أولئك ثم اشتبك الفريقان فى مناوشة دموية جرح فيها عبد الكريم برمح ومات أثر جرحه بيومين فأخذ جيشه فى الهرب

لا يخفى ما بين كلام مؤرخى العرب وكلام مؤرخى الأفرنج فى هذه الحادثة من التناقض لكن جاء فى تقييدات رومى (ج ٣٩٣) ان مرفى MURPHY يروى هذه الحادثة بوجه آخر أقل خسرانا على المسلمين قال « فى هذا الوقت (٨١٢) تقدم (اذفُش) (٩ - تاريخ العرب فى اسبانيا)

ملك الجلالة يقود جنودا كثيرة نحو المسلمين فالتقى الجيشان بالقرب من نهر واقتتلا ثلاثة عشر يوما كان فيها الفوز للمسلمين لكن هطات امطار غزيرة أمدت النهر فطغى ماؤه فاضطر المسلمون وان كانوا ظافرين الى ترك ميدان القتال « فهذه العبارة تؤيد ما جاء في التواريخ العربية ويذكر مؤرخو العرب هذه الحادثة في حوادث سنة ٢٠٠ للهجرة ومؤرخو الافرنج يذكرونها في حوادث ٨١٢ للميلاد المقابلة لسنة ١٩٧ فيحتمل أنها ابتدأت في سنة ١٩٧ وانتهت في سنة ٢٠٠ والله أعلم بالحقائق

وفي ربيع سنة ١٩٨ أغار عبد الرحمن على جليقية ليأخذ بشار من قتل من المسلمين في السنة الماضية فطرد النصارى من مدينة سمورة التي على نهر دورو DUERO واستولى على عدة قلاع والتقى بالاعداء على نهر (١) ففتك بهم حتى سالت دماؤهم كالنهر وانهمز من نجا منهم وبعدئذ عقد الصلح بين الفريقين وعاد عبد الرحمن الى قرطبة مثقلا بالغنائم يقود كثيرا من الأسرى وقد اكسبت عبد الرحمن نصراته فخرا وشهرة واسعة فجمع والده الحكم الامراء والوزراء وقاضى القضاة والولاة والقواد والسراة وعهد اليه امامهم بولاية الامر من بعده فارتضوه جميعا وحنفوا له يمين الطاعة وكان ذلك في يوم مشهود ساد فيه الفرح والسرور ومن ذلك اليوم سُمي ولي العهد سنة ١٩٩

يؤخذ من رومي (ان اختيار عبد الرحمن ولي عهد كان في سنة
سكنت فيها زواج الحروب لاستمرار زمن الصلح بين المسلمين
والفرنج ولقد عبد الرحمن الصلح مع الجلائقة عقب غزوته الاخيرة
في سنة ٨١٣) وكأنه نسي قوله قبل ذلك ان عقد الصلح فسخ في
سنة ٨١١ وان عبد الرحمن غزا أرض نربونه سنة ١٩٧ (٨١٢) الا
انه يحتمل ان عبد الرحمن استعاد الفرنج الصلح عقب غزوه ايدهم
هذه السنة كما انه عقده مع الجلائقة في السنة التالية

ويؤيد ذلك قوله فيما بعد ان موت شلمان امبراطور الفرنج في
٢٨ يناير سنة ٨١٤ لم يغير شيئاً في العلائق التي بين العرب والفرنج
الى سنة ٣١٥ ففيها فسخ الصلح الذي عقد بين الامتين في سنة ٨١٢
وعادت الخصومات بينهما الا ان عبد الرحمن والى اسبانيا الشرقية أرسل
سفراء الى (لويس) الذي خاف أباه شلمان بطامون منه اطالة زمن
الصلح ثلاث سنين فقاباهم في سنة ٨١٦ وبعد مطاولة أجاب طلبهم
في ٨١٧

قال ابن الاثير « وفي هذه السنة (٢٠٠) خرج خارجي من
البربر بناحية مورور فاستدعى الحكم قائدا وأخبره بذلك سرا وقال
له سر من ساعتك الى هذا الخارجى فأتى برأسه والا فرأسك عوضه
وانا قاعد مكاني هذا الى ان تهود فسار القائد الى الخارجى وقتله
وأحضر عند الحكم رأسه فأحسن اليه ووصله وأعلى محله (مورور

بفتح فسكون فضم)

ويؤخذ من روى وكندى ان الحكم كان لا يخرج من قصره
زمن السلم مفوضا شؤون الحكومة الى ابنه عبد الرحمن مواما هو
يمجالس اللهو والطرب والخمر في حدائقه بين غلمان ونسائه اللاء كن
يحسن الغناء وغرب آلات الموسيقى وكان هذا يلهيه عن أمور الدين
وكان يغضب الفقهاء والعلماء منه رأيه في شرب الخمر وسفكه الدماء
وجوره على الرعية فكرهه الناس لذلك ولا تقاء شرهم اتخذ حراسا :
مائتي جندي يرابطون على شواطئ النهر بازاء قصره في ثكنتين بنيتا
لهذا الغرض وخمسة آلاف مملوك من الصقالبة منهم مائتا رجل وثلاثة
آلاف فارس يحرسون ذاته خاصة وهؤلاء للماليك يخدمون في القصر
وعند الحاجة يحملون السلاح ونفقات هؤلاء الحراس الجأت الامير الى
ان يفرض على الاهلين رسوما يؤدونها على عروض تجارتهم المختلفة
الداخلية في المدينة فامتلات صدورهم حنقا عليه وتذمروا وتوقف بعضهم
عن ادائها واهانوا الجباة فامر الحكم بالقبض على عشرة من المتوقفين
ونشأ عن ذلك ضجيج وصخب في انحاء المدينة وقضى عليهم قضاء
صارما بان يصابوا على اوتاد على شاطئ النهر ففعل بهم ذلك في ١٣
رمضان سنة ٢٠٢ فهرع سكان الرض الجنوبي من قرطبة ليروا هؤلاء
المصلوبين فضرب جندي أحدهم فرموه بالحجارة وهجموا عليه فجرى
امامهم مغطى بدمائه حتى احتس في حرس المدينة وقد تمادوا في

الميجان حتى انقضوا على الحرس وفرقوا شملهم وصلوا الى قصر الأمير
صارخين عليه ومهددين إياه

لما علم الحكم بأمرهم تسربل بسلاحه وهمّ بالنزول اليهم فاراد
اختصاره ان يمنعوه فلم يسمع لهم قولاً فجمع فرسانه وركب في مقدمتهم
وطرد المتجمهرين وكانوا عزلاً ففر كثير منهم الى مساكنهم وأوصدوا
أبوابها عليهم ومن بقوا منهم في الشوارع اجتهدوا في ان يقاوموا فلم
يفتحوا وقبض على ثلثائة منهم قتلوا ورميت أشلائهم بالقرب من
النهر — وفي اليوم التالي أمر الحكم بتخريب أرباض قرطبة لاسيما
الربض الجنوبي (١) وأباح نهب منازلها ثلاثة أيام خلا ان يمس
النساء ضرر

وفي اليوم الرابع نودي في الناس بالامان على أن يهاجروا من
قرطبة ففر منهم كثير الى قرى طليطالة ورحل منهم خمسة عشر الفا
الى افريقية فأقام منهم ثمانية آلاف في المغرب والباقي ذهبوا الى
مصر (٢) وقد اختاروا أبا حفص عمر بن شعيب البلوطي (٣) رئيساً
لهم فيما وصوا الاسكندرية اعترض لهم أهالها ومنعواهم المدخول لكنهم

١ كان هذا الربض يمتد على الشاطئ الايسر لنهر الكبير في جنوب
قرطبة ازاء تنجرة السمح (٢) يروى ان اثنين ذهبوا الى مصر كانوا خمسة
عشر الفا خلا النساء والاطفال

٣ نسبة الى حفص البلوطي بربة قلعة رباح

قَوَّوْهُمْ (١) ودخلوا المدينة عنوة وفتكوا بأهلها وتغلبوا على حكومتها
شَاءَهُمْ عبد الله بن طهر والى مصر من قبل المأمون وانفتحوا على
الجللاء عن الاسكندرية على مال وسكنى جزيرة اقريطش (جريد
او كريت) التى كانت قليلة السكان وقتئذ فرحلوا اليها وتغلبوا على
أهلها وحكموها مدة ١٣٨ سنة الى ان فتحها (ارماتاس) ابن امبراطور
اليونان قسطنطين فى سنة ٣١٥ للهجرة (٩٦١ للميلاد)

هذه هي وقعة الربض الأخيرة وقد سبق كلام ابن الاثير وابن
خلدون والمقري فيها

ولا يخفى ما فى روايتها من الاختلاف ومن أجابها انبوا الحكم
بالربضى وكنوه بابى العاص ومن هذه التسمية الاخيرة سماء الافرنج
ابولاز ABULAZ

وفى سنة ٢٠٣ للهجرة (من يولييه سنة ٨١٨ الى يونيه سنة ٨١٩)
وتاليها توجه عبد الرحمن الى حدود جليقية يقود جيوش ماردة فغزا
النصارى وغابهم فى عدة مناوشات ثم ذهب الى حدود الفرنج فأوقف
سير غاراتهم على اسبانيا ورجع الى قرطبة سنة ٢٠٥ (٨٢٠ - ٨٢١)
وعند مروره بطرجونه وجه السفن الراسية على شواطى اسبانيا هناك الى
جزيرة سردينا فقاتلوا نصاراها وأحرقوا أسطولهم أمام الجزيرة وقبضوا
على ثمانى سفن تجارية لهم ورجعوا الى ساحل اسبانيا

أحدثت فظائع وقعة الر بض تأثيراً سيئاً في عقل الحكم حتى
مرض ومات في الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة ٢٠٦ (١)
بعد أن حكم ٢٦ سنة قمرية و ١٠ أشهر و ١١ يوماً

قال ابن خلدون (ناقلاً عن ابن الأثير مع تصرف) توفي الحكم
ابن هشام آخر سنة ست ومائتين لسبع وعشرين سنة من ولايته وهو
أول من جند بالاندلس الاجناد المرتزة وجمع الاسلحة والعدد واستكثر
من الحشم والحواشي وارتبط الخيول على بابيه واتخذ المماليك وكان يسميهم
الحرس لمعجمتهم وبلغت عدتهم خمسة آلاف وكان يباشر الامور بنفسه
وكانت له عيون يطالعونه باحوال الناس وكان يقرب الفقهاء والعلماء
والصالحين وهو الذي وطأ الملك لعقبه بالاندلس اهـ

❦ ٤ - عبد الرحمن الثاني ابن الحكم ❦

(من ٢٠٦ الى ٢٣٨)

قبض عبد الرحمن على دفعة حكومة اسبانيا في السنين الاخيرة من
حياة أبيه الحكم فلما مات هذا في الخامس والعشرين من ذي الحجة
سنة ٢٠٦ للهجرة انتقل لقب الامارة العامة الى ابنه وكان ابن احدى
وثلاثين سنة وثلاثة اشهر وستة ايام (٢)

١ في ابن الأثير انه مات لاربعم بقين من ذي الحجة سنة ٢٠٦
٢ كيندي وروى وفيه نظر يتبين مما يأتي أخيراً قال ابن الأثير ان عبد الرحمن
ولد بطليطة أيام كان أبوه الحكم يتولاها لابيهم هشام

يصفه بعض مؤرخيه بأنه كان اسمر اللون طويل القامة اقنى
الانف أكل العين عظيم اللحية حازما ماهرا شجاعا على الهمة أدبيا
شاعرا عالما بالشريعة والفلسفة وأنه أول من شاد القصور الجميلة
والمنتزهات ومهد الطرق واتى بالماء العذب الى قرطبة من الجبال وبنى
المدارس وشاد الجوامع وزاد في جامع قرطبة وكان محبا للعلماء والادباء ولم
يكن في زمانه دار ملك كدار ملكه ابهة ومجدا وزاد حرسه الف فارس
في أول ولايته ثار عليه عم أبيه عبد الله البلنسى ولم يطفىء برّد
لحيته نار طمعه في ملك اسبانيا فمهر من طنجة مجاز جبل طارق بقوة
عظيمة فاقصدا قرطبة مدّعيًا انه أمير اسبانيا ظانا أن أولاده يمدّون
اليه أيدي المساعدة وكانوا ثلاثة مرتقين الى مراتب سامية في الحكومة
وهم قاسم وأصبغ وعبيد الله فتقدم اليه عبد الرحمن وغلبه في عدة
معارك حتى الجاء الى الفرار الى مدينة بلنسية فجاءها الجيش الغالب
وحاصرها الى ان جاء ابن عبد الله قاسم وأصبغ الى المعسكر وطالبوا
العفو من الأمير عن أبيهما فعفا وصفح وتقابل عبد الرحمن وعبد الله
وزال الخلاف وولاه الأمير كورة تدمير مدة حياته وبعد سنتين مات
عبد الله سنة ٢٠٨ (٨٣٣) وكان شيخا كبيرا ولد في الشام قبل
دخول أبيه اسبانيا كذا يؤخذ من كندى ورومى وقال ابن الاثير
« لما ولي خرج عليه عم أبيه عبد الله البلنسى وطمع بموت الحكم وخرج
من بلنسية يريد قرطبة فتعجز له عبد الرحمن فلما بلغ ذلك عبد الله خاف

وضعت نفسه فرجع الى بلنسية ثم مات وقال ابن خلدون في هذا
الموضع « خرج عليه لاول ولايته عبدالله البلنسى عم أبيه وسار الى
تدمير يريد قرطبة فتجهز له عبد الرحمن فحام عن اللقاء ورجع
الى بلنسية ومات اثر ذلك » فيؤخذ من كلام هذين المؤرخين ان
عبد الله لم يخرج على الامير من طنجة بل من بلنسية وانه لم يحدث
معارك بين الفريقين وسبق ان الحكم اسكنه ضاحية بلنسية

وفي السنة التالية لسنة الولاية (٢٠٧) حدثت الواقعة المعروفة
بوقمة (بالس) (١) وسببها ان الحكم كان قد بلغه عن عمل البيرة
المسمى ربيعاً انه يظلم اهل الذمة وثبت الامر لديه فتبض على العامل
وصلبه ومات الحكم اثر ذلك فجاء المظلومون الى قرطبة يطالبون رد
الاموال التي ظلمهم فيها ربيع ظانين انها ترد اليهم ووقفوا بباب القصر
وشتبوا فبعث اليهم الامير عبد الرحمن من يسكنهم فلم يقبلوا بل دفعوا
من جاءهم فخرج اليهم الجند وأوقع بهم ونجا فاهم الى البيرة

في هذه الاثناء اغار كند (٢) برشلونة على بلاد المسلمين من
وراء الثغر (٣) فحربوا واحرقوا ونهبوا وعادوا مثقلين بالغنائم (٨٢٢)

١ يظهر انها سميت بذلك لانها وقعت امام القصر واسم القصر بقعة لافرنج
(بالس PALAIS)

٢ أو كوت ويجمعه ابن الاثير على كنود وهو لقب رتبة من رتب لافرنج
٣ الثغر اسم نهر في اسبانيا يخرج من فرنسا من شق سردينيا على جبال
البرانس ويصب في نهر ابرة

فجاء خبر ذلك الى عبد الرحمن عقب ان عقد الصالح مع عم أبيه في
بلنسية وكان يريد ان يطلق سراح الجنود فأمسك وأرسل فريقتهم
في المقدمة تحت قيادة عبد الكريم فقابل النصارى وهزمهم وحصرهم
في برشلونه حتى جاء الامير بقواته العظيمة وأحرق بالمدينة ووالى
المعجم عليها حتى فتحها (١) وأخلاها من العدو وأمر برم أسوارها
ثم سار الى ارغل URGEL فأصابها ما أصاب اختها ثم طارد
الأفرنج حتى ألجأهم الى قلاعهم المقامة على الجبال ثم عاد الى قرطبة
منصورا سنة ٢٠٧ للهجرة (٢) (٨٢٢)

وفي هذه السنة نشأت الفتنة في كورة مرسية بين اليمانية والمضرية
فاقتلوا بلورقة وكانت بينهم وقعة تعرف بوقعة (المصاراة) قتل فيها
نحو ثلاثة آلاف رجل وكان الامير عبد الرحمن يرسل القواد بالجيش
ليزيلوا الشقاق المستحكم بين الفريقين ويكفّوهم عن القتال فكانوا
اذا جاء قائد الامير يسكنون واذا رحل عنهم يهبون الى الخصام
وداموا على ذلك سبع سنين

وفي ربيع السنة التالية جاء من القسطنطينية الى قرطبة وفد من
قبيل قيصر الروم ميخائيل الى الامير عبد الرحمن بهدية ثمينة من الخيل
المطهّمة المجهزة بعُدّ فاخرة لم ير لها في اسبانيا نظير فاستقبل الامير

(١) يستبعد روى فتح عبد الرحمن برشلونه ويعدّه كفتح لويس طرطوشه

(٢) هذه السنة تبندى في فبراير سنة ٨٢٢ وتنتهى في فبراير سنة ٨٢٣

هذا الوفد بالحفاوة والاحلال وقبل الهدية و اضافهم في قصره فبلغوه
أن القيصر يرغب ان يكون له حليفا على حزب المأمون خليفة بغداد
وان هذا يسهل عليه تجديد ملك اجداده في الشرق فوعدهم الامير
خيرا وغمرهم بالهدايا الجزيلة وأرسل معهم يحيى الغزال (١) من كبار
أهل الدولة ومعه هدية برسم القيصر من أفراس الاندلس الرائعة
الكريمة ومن سيوفها البتارة المصنوعة في معاملها الموشاة بالخلي الجميلة
وكان يحيى فصيحاً شاعراً حكيماً ما سراً في فن الملاحاة

وفي السنة عيها (٢٠٨) أو في مبدأ السنة التالية جاء الى
عبد الرحمن في قرطبة وفد من النصارى والجليدين يدعونه الى التحالف
وهم من البشكنس وحماهم على هذا ما اشيع من ان الفرنج سيغيرون
على الجبلين (سكان جبال البرانس) مدعين ان عصيانهم يتجدد
دائماً وعلى اثر هذه الاشاعة اقسام النصارى على اهلاك هؤلاء القوم

١ كذا في التواريخ العربية ويسميه كندى (يحيى بن حكم الغزلى) وتبعه
رومى الا انه قال (ابن الحكم) ويؤخذ من تقييدات هذا انه سمي بالغزلى
لانه كان يقطن شعر الغزل وانظر هل هذا الشاعر هو المعنى فيما يرويه ابن
عذارى من « ان الغزال الشاعر دخل على الامير فقال الامير جاء الغزال بحسنه
وجاله فقال له الوزير أجز ما بدأ به الامير فقال

قال الامير مسدعاً بمثاله جاء الغزال بحسنه وجاله
أين الجمال من امرى أربى على متعدد السبعين من أحواله
فان صح ذلك يكون ما أبداء رومى من علة التسمية وهم

الجرمانيين الذين هم وان كانوا نصارى مثلهم الا انهم على الدوام يقاتلونهم اكثر من الأندلسيين المسلمين وعلى هذا دعوا هؤلاء لمساعدتهم على عدو الفريقين فأجاب عبد الرحمن دعوتهم وحالفهم . وما كانت هذه الاشاعة التي حملت الجلبليين على ان يحالفوا الاندلسيين بدون أساس ففي أواخر سنة ٨٢٣ أمر ملك اكيثانه ان يجتاز جيش قوى الجبال تحت امرة قائدين يسميان (ايلوس ELUS) و (أرناريوس ARNARIUS) . وقتئذ كان المقصد من اجتياز الجيش غير معلوم هل كان محاربة العرب أو الجلبامين أو النصارى أو الينيلونيين وقد علم بعد أن الجيش قصد بنبلونه فدخلها وقضى مأربه فيها ثم عاد فوقع في أيدي أعدائه

هنا لم يذكر المؤرخون السبب الذي اقتضى توجه جيش ملك الأكيثان الى بنبلونه وما هو المأرب الذي قضاه بها ويظهر ان الغرض كن اتخاذ المدينة مركزا حربيا للاستيلاء على الأقوام المجاورين فقال دون ذلك ان سمع الجيش بتواجد العرب والبشكنس نحو الحدود فعاد مسرعا تاركا المدينة على ما كانت عليه

ذكر المؤرخون الاندلسيون ان ولاية الحدود في سنة ٢٠٩ للهجرة (٨٢٤) قاتلوا فرنج الجبال في عدة معارك دموية وغلبوهم وقتلوا كثيرا منهم في مضائق جبال البرت ومن تلك المعارك معركة (برت شرز PORT-SCHAZAR) التي هي ثغر بنبلونه فان العرب مزقوا

الفرنج فيها كل ممزق واخذوا قاداتهم اسرى الى قرطبة وغنموا غنائم واسعة . يظهر ان هذه المعارك هي المعنية في التواريخ العربية بغزوة البة والقلاع قال ابن خلدون (نقلا عن ابن الاثير) « في سنة ثمان (٢٠٨) أغزى عبد الرحمن حاجبه عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث الى البة والقلاع فخرّب كثيرا من البلاد وانتسفها وفتح كثيرا من حصونها وصالح بعضها على الجزية واطلاق اسرى المسلمين وانصرف ظافرا » وقال ابن عذارى « وفي سنة ٢٠٨ كانت الغزاة المعروفة بغزاة البة والقلاع غزاها عبد الكريم بن عبد الواحد بالصائفة واخذ بالثغر وتوافت عليه عساكر الاسلام واختلفوا في الدخول على اى باب يكون الى دار الشرك ثم اجتمعوا على ان يكون من باب (البة) اذ كان ذلك الباب انكى للعدو وأحسم لدائه فافتحموا من فجّ يقال له جرنيق وكان وراءه بسيط للمدوّ فيه خزائنه وذخره فوقع اهل العسكر على تلك البسائط فاستصفوها وغلب ذخر تلك الخزائن فانتهبوها وانصرفوا غانمين ظافرين »

وفي سنة ٢٠٩ أرسل الامير عبد الرحمن الى حد (الجوف) (١)

١ يؤخذ من كندي ورومى ان (الجوف) في شمال اسبانيا لكن جاء في ياقوت الجوف أرض مطمئة أو خارجة في البحر في غرب الاندلس مشرفة على البحر المحيط والجوف أيضا من البليم (اكشونية) من الاندلس وقال أيضا (اكشونية) مدينة بالاندلس يتصل عملها ببل اشبونة وهي غربي قرطبة

عبيد الله بن عبد الله البائسي لان النصارى كانوا ابتداءوا هناك فى
شن الغارات وكان عبيد الله هذا قائد السيافه وقد أقامه الامير محافظا
على هذا الحد فقاتل (اذفنش) ورجح عليه حتى اضطره الى ان
يلتجئ الى جباله وحصونه وغاد هو الى قرطبة ومعه كثير من الاسرى
والغنائم فاستقبله الامير بالاجلال سنة ٢١٠ هـ

وبعد اشهر اعاده الامير الى قتال هؤلاء الاعداء أنفسهم فتوجه
يقود الجيوش مشاة وفرسانا وبقي هناك سنتين

ما كانت حروب عبد الرحمن العديدة عاتقة له عن تحسين قرطبة
واعلاء حضارتها وجلب الماء الصافى من الجبال اليها فى أنابيب الرصاص
وبناء الجسور على نهرها (١) وعن تشييد القصور والمدارس والجوامع
ذات النافورات المرمرية فى قرطبة وغيرها من المدن وعن ن بعيش
ملكاً منها فى قصره الباذخ مغموراً فى الترف والرفاهية يفيض
بأعطياته على مهندسى مبانیه وشعرائه ومغنيه وجواريه وكانت تلجئه
نفقات هذه الشؤون ونفقات الحروب الى فرض ضرائب باهظة على
الاهلين حتى سخطوا وتدمروا من ذلك — وكان لنصارى المدن
العظيمة ارتباط بأهل أوروبا فان كثيرا منهم كانت تدفعهم رغباتهم
فى التجارة الى السفر من اسبانيا الى بلاد الغال (فرنسا الآن)
وجرمانيا حتى الى جزيرة (برتون BRETON) فطنطنوا فى شكوايهم

من الامير الى الاورويين في سنة ٢١٣ (٨٢٨) جاء كتاب من
(لويس) ملك الفرنج الى أهل ماردة يحرضهم على الثورة على الامارة (١)
فصادف منهم صدورا حرجة من قسوة الشرطة في جبي الضرائب
التي كانوا يسمونها بالزكاة فرفعوا لواء العصيان تحت امره محمود بن
عبد الجبار الذي كان جاييا في عهد الحكم وفصل من وظيفته في مبدأ
حكم عبد الرحمن لانه شهر نفسه في حزب خصمه عبد الله وهجموا
على بيوت العمال ونهبوا وخرّبوا وفتكوا بهم وما نجا الوالى من القتل
الا بالحرب من المدينة - في هذه الاثناء كان الامير يتأهب للرحيل
الى الشمال الشرقى من اسبانيا ليغزو الفرنج ويردّ الى امارته حدودها
القديمة التي كانت تمتد الى جبال البرانس فلما جاءه نبأ ثورة الماردين
وقف عن السير وأمر والى طليطلة عبد الرؤوف بن عبد السلام
بالتوجه الى ماردة لاطفاء نار الثورة فيها فلما بلغت جنوده هدموا
أبنية ضواحيها ومنازل النزهة بها وأتلفوا بساكنيها فأغضب فعلهم هذا
الامير فكتب الى عبد الرؤوف يلومه وينهاه ان لا يزيد خسائر
الأهلين وأنه إذا فتح المدينة لا يعامل أهلها بالقسوة . هذا وقد استمر
حصار المدينة عدة أشهر ساءت فيها أحوال المحصورين وكان من
بينهم نحو أربعين الف رجل مسلحين كان يدفعهم تلّس
القوت الى نهب بيوت الغنى والتجارة فاجتمع رؤساء المسلمين المخلصين

(١) انظر نص الكتاب في تاريخ روى صحيفة ٤٤١ وما بعدها من الجزء الثالث

للإمارة وقرروا فيما بينهم ان يفتحوا أبواب المدينة لجيش الأمير فبعثوا
 بستة من شبانهم الى المعسكر ليعلموا القائد بالامر ويدعوه الى الدخول
 في ساعة معينة ليلا فدخل الجنود المدينة بدون معارض ولا أصبح
 الصباح تتبعوا العصاة في الشوارع وقتلوا منهم سبعة رجل وفرقوا
 شمل الباقين منهم ولم يؤذوا أحدا من الاهلين امثالاً لامر الأمير .
 وبعد أيام نادوا في المدينة بالامان سنة ٢١٣ (٨٢٨) وقد فر
 رؤساء الثورة ومن بينهم محمود بن عبد الجبار والتمجؤا الى جليقية .
 ما انتهت فتنة ماردة الا واعقبها ثورة طليطلة وكان يسكن هذه
 المدينة كثير من النصارى واليهود الاغنياء الذين هم وان كانوا خاضعين
 لحكومة الأمير الا انهم أعداء للمسلمين ويريدون ان يلقوا نير حكمهم
 عن عاتقهم فكانوا يحدثون الفتن والقلاقل لاضطراب الحكومة
 وزعزعة أركانها ويسرهم حلول المصائب بها فتأثروا وكان زعيم ثورتهم
 شاباً غنياً يهوى الانتقام يسمى هاشما كان يحرص الأهلين على
 القيام على الوالى ويعطى في سبيل ذلك كثيراً من المال الى الفقراء
 حتى استمال بذلك أحراس قصر الولاية وهجم عليه هو وشيعته وقتلوا
 عماله ونهبوا جميع الأسلحة وكان الوالى ميسرة الفتي غائباً في قلعة رباح
 فآخبر عبد الرحمن بما بلغه من أمر الثورة فأرسل الأمير ابنه أمية (١)
 ومعه فرقة من الفرسان لنجدة الوالى فلم ينالا غرضاً من هاشم بل

(١) وقيل أمية بن الحكم وسأى ان الوليد بن الحكم يحاصر طليطلة ايضا

استمر عصيانهم نحو تسع سنين

في هذا الوقت كانت مدينة ماردة هادئة لحسن ادارة واليها عبد الرؤوف فانه كان يشغل ذوى البطالة باعمال تكسبهم أرزاقهم ويطارد الشاردين و يقيم الشرطة والعسس لا تقاء شر اجتماع المفسدين الذين لا يروق لهم الصيد الا في الماء العكر وأحراساً تحفظ المدينة من الطواريء فبينما عبد الرؤوف يوطد دعائم السلام في المدينة اذ جاءه أمر الامير بالتوجه الى حصار طليطلة اذ قد مرت ثلاث سنين وقادة الامير لم يحلوا بطائل من تأثيرها الى أن جاءت سنة ٢١٧ (١٨٣٢) ففيها أمكن أمية ان يحدق بهم بواسطة كهين اكنه لهم على شواطىء نهر البرش وان يفتك بهم فتكا ذريعا حتى كاد يستأصلهم قتلا وأجلا من قدر الله نجاته منهم الى المدينة وفي السنة التالية حضر من ماردة عبد الرؤوف يقود قوة عظيمة فتتال ثوار طليطلة وانتصر عليهم الا أنه لم يحن ثمر انتصاره

بعد أن فارق عبد الرؤوف ماردة عاد الناقون من الحكومة الى الثورة ودعوا محمد بن عبد الجبار وشيعته الى المدينة فدخلوها وهجموا على الحرس ونهبوا مخازن الاسلحة وقتلوا قائدين ولما بلغ الامير أمرهم أمر قواد تلك الكورة أن يحشدوا الجنود ويذهبوا الى ماردة ثم حضر الامير نفسه وحرسه وقابل القواد والجنود المحشودة في مكان يسمى بعين الكبوش فأمر القواد بأن ينبهوا جنودهم الى ان من

يحاربونهم هم أناس من دينهم فمن يهرب منهم أو يخضع لا يُعَدُّ عدواً
فلا يُمَسَّ بأذى بل يكفي نزع سلاحه منه وأن القصاص لا يحل إلا
على زعماء الثورة الذين لجؤوا أهل المدينة إلى حمل السلاح

لما وصل الأمير وجنوده إلى ضاحية ماردة أراد أن لا يدخلها
سافكا الدماء فأمر كل جندي أن يأتق في سهمه رقعة يكتب فيها
« أن الأمير يعفو عن الثائرين إذا فتحو أبواب المدينة ماعدا زعماء
الثورة » وان يتقدموا بالسهم إلى المدينة ففعل الجنود ما أمروا به فلما
قرأ الثائرون والمخاصمون للأمير هذه الرقاع فتحو أبواب المدينة وقد فرّ
زعماء الثورة وفيهم محمود بن عبد الجبار فدخاها الأمير بحرسه وقابله
الأهلون بالفرح والسرور

وثقام أياماً أمر فيها وإلى الكورة المسمى عبد الله بن كليب
باصلاح القلاع والأسوار وقد أشار بعضهم على الأمير بهدمها لئلا
يعود السكان إلى العصيان فلم يكثر الأمير بإشارته ووضع في القلعة
الأصلية رقعة كتب فيها

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم هب بركتك ووقايتك أمة أطاعتك

بني هذه القلعة وأسوارها في عهد ما كان الأمير بن الحكم
(أيده الله) يحكم أمة تطيع الله عاملاً عبد الله بن كليب بن ثعلبة
وخادمه جعفر بن محسن رئيس البنائين في ربيع الثاني سنة ٢٢٠

(٨٣٥) (١) ومع هذا ما زالت نار الحرب مستعرة في طليطلة ثلاث سنين أخرى وحصارها شديد والثائرون يدافعون عنها بثبات غريب الى ان ألجأهم الجوع الى الخروج من المدينة لقتال جيوش ميسرة وعبد الرؤوف فسقط هاشم زعيم الثورة جريحاً فجيء به الى عبد الرؤوف فقتله في الحال ودخل المدينة سنة ٢٢٣ (٨٣٨) وأعلن الامان العام بناء على أمر جاءه من الامير وأخذ يصلح ما أفسدته أيدي الحداث ويوطد دعائم السلام وقد قتل الامير ولاية المدينة ودعا ميسرة الى قرطبة واتخذه وزيراً (٢)

روى المؤرخون حوادث ماردة وطليطلة بروايات مختلفة لا تخلو من التناقص

جاء في ابن الاثير في حوادث سنة ٢١٣ ان أهل ماردة قتلوا عامليهم فقاترت الفتنة عندهم فسير اليهم عبد الرحمن جيشاً فحصرهم وأفسد زرعهم واشجارهم فعاودوا الطاعة وأخذت رهائنهم وعاد الجيش بعد أن خرب سور المدينة ثم أرسل عبد الرحمن اليهم بنقل حجارة السور الى النهر لئلا يطعم أهلها في عمارته فلما رأوا ذلك عادوا الى العصيان واسروا العامل عليهم وجددوا بناء السور واتقنوه فلما دخلت سنة ٢١٤ سار الامير في جيوشه الى ماردة ومعه رهائن أهلها فلما بارزها راسله

(١) كندی وروی

(٢) كندی وروی

أهلها وافتكوا رهائنهم بالعامل الذي أسروه وغيره وحصرهم وأفسد
بلدهم ورحل عنهم ثم سار إليهم جيشاً سنة ٢١٧ فحصروها وضيقوا عليها
ودام الحصار ثم رحلوا عنها فلما دخلت سنة ٢١٨ سار إليها جيشاً
ففتحها وفارقها أهل الشر والفساد وكان منهم محمود بن عبد الجبار
فحصره عبد الرحمن في جمع كثير من العجند وصدقوه القتال فهزموه
وقتوا كثيراً من رجاله وتبعتهم الخليل في الجبل فأفترسهم قتلاً وأسرا
وتشرىداً ومضى محمود فيمن سلم معه من أصحابه إلى (منت سالوط)
فسار إليه عبد الرحمن جيشاً سنة ٢٢٠ فهرب فجدت سرية في طلبه
فهزمها وغنم مامعها ومضى لوجهته وقابلته سرية أخرى فنال منها ما نال
من سابقتها وسار حتى وصل إلى بلاد المشركين واستولى على قلعة
لهم فأقام بها خمسة أعوام حتى حصره أذ فونش ملك الفرنج (الجلالقة)
فملك الحصن وقتل محموداً ومن معه سنة ٢٢٥

وفي حوادث سنة ٢١٤ ان هاشماً الضراب خالف بمدينة طليطلة
وكان ممن خرج منها لما أوقع الحكم بأهلها فسار إلى قرطبة ثم عاد
فاجتمع إليه أهل الشر فأغار على البربر فاشتدت شوكتهم واجتمع له
جمع عظيم وأوقع بأهل سنترية وكان بينه وبين البربر وقعت كثيرة
فسار إليه عبد الرحمن جيشاً فقاتله فلم يستظهر أحد الفريقين على الآخر
فسار إليه عبد الرحمن جيشاً كثيفاً سنة ٢١٦ فلقينهم هاشم بالقرب من
حصن سمسطا فاشتدت الحرب بينهم ودامت عدة أيام ثم انهزم هاشم

وقتل هو وكثير ممن معه من أهل الطمع والشر وطالبي الفتن وكفى
الله الناس شرهم (واستمر أهل طليطلة على الخلاف)

وفي حوادث سنة ٢١٩ أن عبد الرحمن سیر جيشا مع امية بن
الحكم الى طليطلة فحصرها وكان أهلها قد خرجوا عن الطاعة فقطع
أشجارهم وأهلك زروعهم فلم يذعنوا الى الطاعة فرحل عنهم وانزل
بقلعة رباح جيشا عليهم ميسرة الفتي فلما أبعد خرج جمع كثير من
أهل طليطلة لعلهم يجدون غفلة من ميسرة فينالون منه ومن أصحابه
غرضا وكان ميسرة قد باغى الخبر فجعل السكين في مواضع فلما وصل
أهل طليطلة الى قاعة رباح للغارة خرج السكين عليهم من جوانبهم
ووضعوا السيف فيهم واكثروا القتل وعاد من سلم منهم منهزما الى
طليطلة وجمعت رؤس القتلى الي ميسرة فلما رأى كثرتها عظمت عليه
وارتاع لذلك ووجد في نفسه غما شديدا فمات بعد أيام يسيرة وفيها
أيضا كان بطليطلة فتنة كبيرة تعرف بمأجمة العراس قتل من أهلها كثير
وفي حوادث ٢٢٠ « سیر عبد الرحمن ملك الاندلس جيشا الى
طليطلة فقاتلوها فلم يظفروا بها »

وفي حوادث ٢٢٢ ان جماعة من أهل طليطلة خرجوا سنة ٢٢١
الى قلعة رباح وكان بها عسكر لعبد الرحمن فاجتمعوا كلهم على حصر
طليطلة وضيقوا عليها وعلى أهلها وقطعوا عنهم باقى مرافقهم الى ان
دخلت سنة ٢٢٢ فسیر عبد الرحمن اخاه الوليد فرأى أهلها وقد بلغ

بهم الجهد كل مبلغ واشتد عليهم طول الحصار وضعفوا عن القتال فافتتحها قهرا وعذوة يوم السبت لثمان خلون من رجب وأمر بتجديد القصر على باب الحصن الذي كان هدم أيام الحكم وأقام بها الى آخر شعبان سنة ٢٢٣ حتى استقرت قواعده أهلها وسكنوا

وجاء في دوزي ما ترجمته . كادت الثورات لا تنقطع في مدينة ماردة فان نصاراها كان بينهم وبين لويس ملك الفرنج مراسل واستمر عصيان طليطلة عدة سنين فان الطليطاليين بعد سنين قلائل منذ يوم الحفرة حصلوا على استقلالهم وهدموا قصر عمروس فاحتال الحكم على أخذ المدينة فأنظر انه يريد غزو قطالونيا فتوجه الى مرسية وخيم بها معسكره ولما أبلغته عيونهم أن الطليطاليين يظنون الآن أنهم بعيدون عن تهديد الأمير حتى أنهم يهبون إيراد أبواب المدينة ليلا نهض مسرعا اليها حتى جاءها ودخاها وهم غافلون فملكها بدون قتال وأحرق منازل القسم المرتفع منها وكان من بين هذه المنازل منزل شاب يسمى هاشما فجاء قرطبة وهو مدمم فاشتغل بالحدادة ثم عاد الي طليطلة وفؤاده مشتعل بحب الانتقام فكون له عصا به تمكن بها من طرد جند عبد الرحمن وشيخته (٨٢٩) وأخذ يحجب البلاد ينهب ويحرق قرى العرب والبربر حتى استنفحل أمره وقويت خصامته فأمر عبد الرحمن محمد بن بسيم محافظ الحد أن يجمع هؤلاء المفسدين فلم يحل بطائل منهم واستمر هاشم سنة كاملة يعشو في البلاد فسادا بدون أن يناله قصاص الى ان

جاء المدد الى محمد ولامه الامير على تراخيه فهاجم الاشرار وكان له
الغلب عليهم بعد معركة دامت أياما قتل فيها زعيمهم وتفرقوا ومع
هذا استمرت طليطلة على استقلالها الى ان جاءت سنة ٨٣٤ فأرسل
اليها عبدالرحمن ابنه أمية فحاصرها ولكن الطليطليين نجحوا في صد
هجماته على المدينة فاضطر الى رفع الحصار عنها والعود الى قرطبة فلما
رأى الطليطليون تباعد جيش العدو عنهم عزموا على ان يتحرشوا
به ولكن أمية ترك في قلعة رباح جيشا تحت أمرة ميسرة فلما علم
هذا بمقصد الطليطليين أكن لهم كميناً فلما جازوا أحدى بهم الكمين
واثنى فيهم حتى قتل منهم كثيراً وقدم العسكر رؤس القتلى الى قائدهم
فارتاع من رؤيتها وحزن على ابناء أمته ومات بعد أيام فأن مبسرة
هذا كان من الاسبان الذين ارتدوا عن النصرانية (كهاشم)

لما اتحدت كلمة الطليطليين امكنهم ان يحافظوا على استقلالهم
بضع سنين وان كان الامير في خلالها انزل بهم الكوارث فلما زال
الوفاق من بينهم سهل على الامير قنصهم . لا ندرى ما الذى حصل
في المدينة ولكن الحوادث التى طرأت فيما بعد حملتنا على الظن
بوقوع الخلف بين مسلميها الاسبان والنصارى فان رئيسا يسمى ابن
مهاجر (١) ترك المدينة هو وحزبه سنة ٨٣٦ قاصدين قلعة رباح
لينضموا الى قائدها ويساعدوه على فتح المدينة واتفقوا جميعاً على ان

يضيّقوا دائرة الحصار عليها ويمنعوا عنها الميرة فحاصرها الوليد بن الحكم سنة حتى أضرها الجوع وجاء أهلها رسول من قبل القائد ينصّحهم بأن يسلموا طوعاً ويغتنموا وقتاً يخوّل لهم وضع شروط للتسليم والّاّ عما قريب يسلمون كرها فرفضوا وعاد الرسول وأخبر الوليد بضعفهم وحالتهم السيئة وأعجله على الهجوم عليهم بشدة فهجم فسقطت المدينة في ١٦ يونيه سنة ٨٣٧ بعد أن استقلت نحو ثمانى سنين

يؤخذ من روى أنه بعد أخذ طليطله بقليل أخذ العرب يقاتلون نصارى الشمال فان هؤلاء آووا العاصى محمد بن عبد الجبار عند نكبته الاولى وربما مدّوا اليه يد المساعدة في ثورة ماردة الاخيرة فكان هذا سببا في الحرب فقد أغار جنود ماردة وبطايوس واشبونه (لسبونة) سنة ٨٣٨ على أرض جليقية وحاربوا ملكها أذفونش فكان الفوز لهم وقيل كان الفوز له (١) ومهما يكن من الامر فان محمد بن عبد الجبار فرّ من انتقام عبد الرحمن فأواه أذفونش واسكنه ورفقاه جليقية في أرض قريبة من مدينة (لوجو LUGO) فما كان من النزيل بعد اقامته ثمانى سنين الا ان رأى في استطاعته ان يشور على من اكرم مثواه ويؤسّس امارة مستقلة في جليقية وأما التحالف السرى الذى يتوهم حصوله بين عبد الرحمن وابن عبد الجبار على أذفونش فيجب

(١) فى كندى ان أهل ماردة وبطايوس واشبونه حاربوا مدائن جليقية وحاربوا ملكها أذفونش

أن يدرج في عداد الخرافات التاريخية التي كثرت في التواريخ
الاسبانية الجديدة . فابتدأ ابن عبد الجبار منازعاته بالاستيلاء على
قصر (سنت كريستين SAINTECHRISTINE) على بعد
فرسخين من لوغو وتحصن فيه وكان يأمل ان يكون حصنا يستطيع
منه ان يستولى على البلاد - هنا يغالى المؤرخون الاسبانيون في عدد
جيشه فيقولون انه يبلغ ٥٠ الفا ويقصون علينا مع العجب انتصار
أذفونش على هذا العدد الكثير والذي يظهر انه حقيقى (أن أذفونش
لما بلغه قيام ابن عبد الجبار جاءه وهاجمه وغلبه وقتله واستولى على حصنه)
وفي هذه الاثناء ابتدأت الحرب فى اقليم (قوطيه GOTHIE)
الشامل أرض سبانيا وكورة برشلونه وقد ساعدت الظروف جيش
الامير فانتصر وذلك انه فى سنة ٢٢٢ (٨٣٨) امر الامير عبدالرحمن
والى سرقسطه ان يجمع الجنود من اسبانيا الشرقية ويسرع بها الى
أرض الفرنج فشن عبيد الله بن عبد الله البلبسى (١) وابن عبد الكريم
الغارات على هذا الاقليم مدة سنتين بجيش جرارة وأغار موسى
والى تطيلة على سردينيا وأنزل بها النرائب وقامت سفن عربية من
طرجونه وأمدتها سفن أخرى خرجت من موانى جزائر (ميورقه)
واتجهت كلها الى شواطئ (مرسلية) ونهبّت ضواحيها واستولت

(١) يظهر ان ابن البلبسى كان والى سرقسطه

على كثير من خيراتها وأسرت كثيرا من أهلها (١) في هذا الوقت جاء قرطبة من القسطنطينية سفراء من قبل ملك الروم (تيوفيل THEOPHILE) يطلبون المساعدة على المعتصم خليفة الشرق فاستقبلهم الأمير بصدر رحيب واكرم مشواهم وكتب الى الملك يخبره انه متى خلاص من الحروب الداخلية يرسل اليه سفننه لتساعده ثم غمرهم بالعطايا وصرفهم

يذكر مؤرخو الافرنج ان وفدا جاء قبيل ذلك الزمن من قبل المأمون الى لويس ملك الفرنج بهدية من المنسوجات والعطور وفي سنة ٨٤٠ للميلاد مات لويس ملك الافرنج في المانيا وعقب موته انفجر الشجار بين ولديه (پين PEPIN) و (كرلوس CHARLES) ويظهر أن كونت برشلونه المسمى (برنار) دخل في حزب الاول سرًا وساعده على ان يستقل في امارته عن أخيه وقد علم هذا بذلك فدعا (الكونت) اليه بعد أن عقد الجمعية العمومية في (طلوشه) وقتله بيده (٢) فقام غليوم بن برنار لينتقم من قاتل والده وكان له حزب كبير فهجم أولا على (ألدرام ALDERAM) كونت برشلونه الذي عينه الملك خلف ابيه وليتحقق من نجاح ثورته

١ يظهر أن الغرض من هذه الحروب كان يرمى الى كسب الاموال اكثر من فتح البلاد فان الضرورة كانت تدفع العرب من وقت الى آخر في ظروف معينة الى ان يدسخوا النفقات لقتال اعدائهم المجاورين (٢) انظر روى صحيفة ٤٧٣ ج ٣

دعا أمير قرطبة الى مساعدته وكان يقاتل باسم (بين) المعزول فلبى
الامير دعوته وثارت (البشكنس) على كركوس أيضا فاتقدت نيران
الثورات بين برشلونه وبنبلونه (اى فى اقليم قطلونيا) فى السنة
الخامسة والاربعين من القرن التاسع الميلادى وجاءت جيوش الأمير
بناء على دعوة غلييم ودخلت فى غمار هذه الثورات التى استمرت
الى سنة ٨٤٧ فان الصلح عقد فى هذه السنة بين الملك كركوس
والامير عبد الرحمن واعقب ذلك خمود نار القتال ومع هذا قد استولى
غايوم على برشلونه وامبرياس سنة ٨٤٨ ولكن لم تدم مدة حكمه
فان احزاب (الدرام) قاموا فى السنة التالية على غايوم وقتلوه
واعادوا الولاية الى زعيمهم

قلنا ان جيوش الامير دخلت فى غمار الثورات فى قطلونيا
وزيادة البيان نقول - ان جيشين من المسلمين اجتازا نهر (ابره)
أحدهما تحت قيادة والى سرقسطة ابن البلنسى وقد أغار على الاقاليم
السفلى من جبال البرانس واستولى على قلاع كثيرة والآخر تحت أمره
عبد الكريم وقد اتجه نحو برشلونه وأحرق بها وكان بها كثير من
اليهود فساعدوا الجيش على تسليمها واقتفى الجيشان آثار أعدائهما فى
مضايق الجبال حتى ارض الفرنج قال رومى ما كان يتوقع ان تخرج
برشلونه من قبضة المسلمين بعد هذه المرة ولكن دل تاريخ الفرنج
فما بعد على انها عادت الى حكمهم واقول يظهر ان السياسة قضت

على الأمير عبد الرحمن بن يقبل مخالفة غليوم على أن يكون هذا وإلى
برشلونة تابعا لامارة الأندلس وأن المسلمين بعد أخذها هذه المرة
سلموا مقاليدها لحليفهم وأن الصلح بين العرب والفرنج عقد على
ذلك لكن كرونوس أوعز إلى حزب (الدرام) أن يقتلوا غليوم
ويستردوا المدينة ونشأ عن هذا فسخ عقد الصلح بين العرب والفرنج
سنة ٨٥٠ (٢٣٦) قال ابن الأثير في حوادث ٢٣٦ « غزا جيش
بالأندلس بلاد برشلونة فقتلوا من أهلها فأكثروا وأسروا جمعا نفيرا
وغنموا وعادوا سالمين » - وفي أثناء ما كانت رحى الحرب دائرة في
إقليم (قوطية) كان أسطول الأمير يحدد غاراته على ولاية (برقنسا
PROVENCE) (١) فنهب وأحرق ضواحي مرساليا الجنوبية
ويظهر أنه اكتفى بذلك بدون أن يحتل البلاد التي دخلها. أرتجفت
أوروبا من فوز جنود العرب في إقليم (قوطية) ومن نجاح أساطيلهم
في غاراتها على جزائر وشواطئ (الغال) الجنوبية وقد اتسمت دائرة
هذه الأساطيل في تلك الأيام وكثرة الخوف من اعتدائها فاخترق
بعضها غير مرة بحر الأدریاتيك وبحر الشام واجترأت إحدى سفائنهم
مرة على اجتياز رأس (كورونيه COROGNE) (٢) وشقت
عباب المحيط المظلم حتى دخلت جزيرة (أوية OYE) من برطانية

١ بروقنسا ولاية نميرية في الجنوب الغربي لفرنسا حاضرتها (أكس

AIX) (٢) في الشمال الغربي من إسبانيا

عند مصب نهر الاوار وهذا دلتها وما تدهقرت الا من فزع لا يعلم سببه
فينتج من ذلك ان مسامى الاندلس كان لهم السيادة على البحر
المتوسط (١)

ساقطنا حوادث العرب والفرنج الى سنة ٨٥٠ ولكن نرجع الى
الوراء لنذكر ما فاتنا من الحوادث الأخرى فنقول

في سنة ٢٢٩ (٨٤٣) جاء على شراطيء اشبونه اربع وخمسون
سفينة تقل كثيرا من اقوام متوحشين جاءوا من البلطيق وشواطئ
النروج يعرفون عند الاوروبيين بالنورمان NORMANS OU
NORMANDS OU NORTHMEN أى رجال الشمال ويعرفون
عند العرب بالماجوج (٢) وكتب التاريخ العربية في هذا الموضع تحرف
اللفظ الى (مجوس) (٣) فنهبوا البلاد وقتلوا العباد واحرقوا المدائن
فاجتمع المسلمون وحملوا السلاح وجاءوا ليدفعوا غائلتهم فرأوهم ركبوا
السفن بغنائهم واختفوا ثم نزلوا في شاطئ (الغرب) (ALGARVE)
ويظهر أنهم لما اجتمعوا عند مصب النهر الكبير انقسموا أقساما : قسم
توجه الى أفريقية وقسم تقدم الى قادس ثم الى شدونة والقسم
الثالث دخل النهر وصعد نحو اشبيلية في ٨ المحرم سنة ٢٣٠ (٢٥)

١ روي ص ٤٧٧ و ٤٧٨ ج ٣

٢ جاء في كتب التفسير ان بعض اخبار اليهود ذكر ان ياجوج ومأجوج
في منتهى الشمال حيث لا يستطيع احد غيرهم السكنى فيه ٣ يبعد ان يكون
المراد عبدة النار

سبتمبر سنة ٨٤٤) وكانوا ينهبون القرى التي على الشاطئين ويمؤون
سفنهم بالنهاب وقد ماؤا سكان الشواطئ رعبا حتى فروا من وجوههم
ولما وصلوا الى جزيرة قبيل (١) قابلتهم جنود العرب المجتمة هناك
وحاربهم فغلبوها ثم نهبوا اشبيلية وكان السكان قد اخلوها وفروا الى
قرمونة وتمحصنوا في طلياطة (٢) فلهذا جاء الما جوج اليهم شابهم مساهو
هذه المدينة وفي ثانی عشر هذا الشهر عادوا ان الامير ارسل خمس عشرة
سفينة تقل جيوشا نجمعانا لتصدّهم عن المرور في النهر فانسحبوا
واختفوا في المحيط وعادوا الى شواطئ المغرب وقد امر عبد الرحمن
جنود ماردة وشنترين وقلمرية بالتوجه لمراقبتهم والمحافظة على السواحل
ولكنهم كانوا فعلوا افاعيلهم قبل ان تجتمع هذه الجنود في هذه الاثناء
أخذ عبد الرحمن في السير وتحت أمرته فرسانه ليساعدوا اشبيلية فلما
حضر وشاهد ما تلفته أيدي هؤلاء البربر المتوحشين بدون ان يقابل
منهم أحدا حزن وأمر باصلاح الفاسد ورتق فتوق التلف (كذا يؤخذ
من كندی ورومی) وفي تاريخ ابن الاثير ان عسكر الامير قاتلوهم
وقتلوا منهم سبعين رجلا وهزموهم حتى دخلوا مراكبهم وسير الامير
جيشا آخر واتاه المدد من كل ناحية فخرج اليهم المجوس وقاتلوهم فكاد
المسلمون يهزمون ثم ثبتوا وهزموا مقاتليهم الى مراكبهم وقتلوا منهم

١ هكذا اللفظ في تاريخ ابن عذارى وفي التواريخ الفرنجية CABTAL

(٢) في معجم ياقوت طلياطة ناحية بالاندلس من اعمال استجة قريبة من قرطبة

خمسائة رجل واخذوا منهم أربعة مراكب واحرقوها بعد ان اخذوا ما فيها ثم خرج المجوس الى لبله فاصابوا سبيا ثم نزلوا جزيرة قوريس (قورة) وقسموا ما كان معهم من الخنيفة فحصى المسلمون ودخلوا اليهم في النهر وقتلوا منهم رجلاين ثم رحل المجوس فطرقوا شدونه فغنموا اطعمة وسبيا ثم وصلت مراكب عبد الرحمن الى اشبيلية فلما أحس بها المجوس لحقوا بلبله فاغاروا وسبوا ثم لحقوا باكشونية ثم مضوا الى باجه ثم انتقلوا الى اشبونه ثم ساروا وانتطع خبرهم عن البلاداه واتقاء لما يطرأ من قبيل هذه الحوادث أمر الأمير بإنشاء سفائن في قادس وقرطاجنه وطرجونه لتحفظ الشواطىء وناط ذلك بابنه يعقوب وأمر ان ينشأ في كل نقطة حربية محل للبريد يرأسه قائد ويتبعه فرسان ينقلون أوامر ومراسيم الحكومة بسرعة

وجاء في المقرئ وابن عذارى أن الأمير بعث في سنة ٣٣١ عساكره تحت امرة ابنه محمد الى جليقية فدوخواها وحاصروا مدينة ليون ورموها بالمجانيق فهرب اهلها فغنم المسلمون ما فيها وأحرقوها وارادوا هدم سورها فلم يقدرُوا لأن عرضه كان سبعة عشر ذراعا فثلّموا منه ثلثة ورجعوا

وجاء في المقرئ ان الأمير اغزى حاجبه عبد الكريم في العساكر الى بلاد برشلونه فعاث في نواحيها واجتاز الدروب التي تسمى البرت الى بلاد الفرنجة فدوخوا قتلًا واسرا وسبيا وحاصروا مدينتها العظمى

جرزدد وعاث في نواحيها وقفل (١)

وفي سنة ٢٣٢ اصاب الاندلس جندب عتَم أرضها عن انبات
القمح والشعير وأيبس الكروم والاشجار المثمرة واهلك الناس والدواب
ظلماً وفوق ذلك البلاء المبين حلت بأرضها جراد جردتها من الزرع
فاشتدت المجاعة حتى اضطرت عدداً عظيماً من الانداسيين أن يهاجروا
الى افريقية فان وسق (٢) الخنطة كان يباع في المغرب بثلاثة دراهم
ودام هذا الحال الى السنة التالية حتى اعفى الأمير الناس من العشور
التي كانوا يؤدونها كل سنة وفتح للفقراء أبواب العمل والكسب
ليقتاتوا من اجورهم فقد شغلهم ببناء مساجد ومدارس وقصور وحدائق
في مدائن اسبانيا وبناء رصيف النهر في قرطبة وبانشاء حياض ماء
مرمرية فوقه للسقاية وبعمل سقائف فوق الرصيف وبوضع انايب
رصاص ليجرى فيها الماء من الجبال الى المدن (٣) وغير ذلك من
الاعمال النافعة وقد بلغت قرطبة في عهد عبد الرحمن مبلغاً من الحضارة
والعظمة لم يعهد من قبل

وفي سنة ٢٣٤ وجه الأمير ثمانية سفينه تنقل الجنود الى غزو أهل
جزيرة ميورقة لنقضهم العهد واضرارهم بسفن المسلمين التي كانت تمر بهم

(١) هذه الغزوة هي عين الغزوة التي وقعت عقب دعوة غليوم للأمير عبد
الرحمن كما سبق فان سنة ٢٣١ توافق ٨٤٥ فكتبه « ٢ » الوسق حمل بعير
وقيل ستون صاعاً « ٣ » كندی

ففتحوا أكثر جزائرهم (١)

وفي سنة ٢٣٥ ورد إلى الأمير كتاب من أهل ميورقه ومنورقه
يذكرون ما نالهم من نكايه المسلمين فكُتب إليهم كتاباً منه (أما
بعد فقد بلغنا كتابكم تذكرون فيه أمركم واغارة المسلمين الذين
وجهناهم إليكم لجهادكم واصابتهم ما أصابوه منكم من أرزاقكم وأموالكم
والمبلغ الذي بلغوه فيكم وما أشقيتم عليه من الهلاك وسألتكم التدارك
لامركم وقبول الجزية منكم وتجديد عهدكم على الملازمة للطاعة والنصيحة
للمسلمين والكف عن مكروهمم والوفاء بما تحملونه عن أنفسكم
ورجونا أن يكون فيما عوقبتم به صلاحكم ويمنعكم عن العود إلى مثل
الذي كنتم عليه وقد أعطيناكم عهد الله وذمته . (٢)

وفي سنة ٨٥٠ للميلاد مات (رامير) (٣) ملك استوريا وخلفه
ابنه (أردن) ولم يحدث موته انقلاباً في سياسة الصلح الذي كان بين
المسلمين ونصارى الشمال .

وفي سنة ٢٣٧ ادعى النبوة رجل من المعلمين بشرق الأندلس
وتأول القرآن على غير تأويله فتبعه فريق من الغوغاء وكان من شرائعه
النهي عن قص الشعر وتقليم الأظافر فبعث إليه يحيى بن خالد عامل
ذلك البلد فأتى به وكان أول ما خاطبه به أن دعاه إلى اتباعه فأمره

(١) كندى (٢) كندى (٣) روى ويسميه ابن الأثير ردمير

العامل بالتوبة فامتنع فصلبه (١)

وفي سنة ٢٣٨ توفى الامير عبد الرحمن بن الحكم ليلة الخميس
لثلاث خلون من ربيع الآخر (٢) فتكون مدة حكمه احدى وثلاثين
سنة قمرية وثلاثة أشهر وستة أيام

مختصر ذنابات

الاولى - يصفه بعض المؤرخين بانه كان عالما بعلوم التريعة
والفلسفة وكانت أيامه أيام هدم وسكون وكثرت الاموال عنده واتخذ
القصور والمتنزهات وجلب الماء اليها وجعل له مصنعا اتخذه الناس
شريعة وزاد في جامع قرطبة رواقين ومات قبل ان يتمه فائمه ابنه
محمد بعده وبني بالاندلس جوامع كثيرة ورتب رسوم المملكة

(١) عن ابن الاثير وابن عذارى (٢) اتفق ابن الاثير وابن خلدون والمقرئ
وابن عذارى على ان وفاة عبد الرحمن بن الحكم في ربيع الآخر سنة ٢٣٨ وعين
الاخير ليلة اليفاة وزاد المقرئ ان مولده بظليظة في شعبان سنة ١٧٦ فعلى
هذا لم يتم السنة الثانية والستين ويقول كندى ورومى انه مات في آخر يوم من
صفر سنة ٢٣٨ (١٩) اغسطس سنة ٨٥٢ وانه عاش ٦٥ سنة وثلاثة أشهر
(يقول كندى ٣ أيام ورومى ٦ أيام) ويقول كندى ان مدة حكمه ٣١
سنة و٣ أشهر و٦ أيام ويقول رومى ان هذه المدة تتجاوز ٣١ سنة بقليل
وكلاهما هنا يلتئم مع ما سبق لهما من ان عبد الرحمن يوم التولية كان ابن
٣٩ سنة و٣ أشهر و٦ أيام كما لا يخفى على الحاسب

واحتجب عن العامة

الثانية - ذكر بعضهم ان وزراءه كانوا تسعة رزق كل واحد منهم ثمانمائة دينار كل شهر وقضاته احدى عشر وان عدد اولاده بنو ٥٠ من الذكور و ١٠٠ من الاناث وان مال الجباية انتهى في ايامه الى الف الف في السنة وكان قبل لا يزيد عن مائة الف (١) وكان يجتمع في مجلسه العلماء والشعراء ويفضل من بينهم عبد الله بن شعر ويحيى الغزال الذي سافر الى القسطنطينية واختلط بملوك الروم وعرف عاداتهم وآدابهم .

الثالثة - ممن كان له حظوة وجاه عند الامير عبد الرحمن الفقيه يحيى بن يحيى الليثي والمفتي على بن نافع الملقب بزرياب والاميرة طروب ونصر الخصى

فالفقيه يحيى رحل من الاندلس الى الشرق وروى الموطأ عن مالك بن انس يحكى انه بينما هو في مجلسه مع جماعة من اصحابه اذ قال قائل حضر الفيل فخرج اصحاب مالك كلهم ولم يخرج يحيى فقال له مالك مالك لم تخرج وليس الفيل في بلادك فقال انما جئت من الاندلس لا انظر اليك واتعلم من هديك وعلمك ولم أكن لأنظر الفيل فأعجب به مالك وقال هذا عاقل الاندلس - ولما عاد الى الاندلس نشر مذهب مالك في تلك الديار وكان مكينا عند

(١) هذا لا يخلو من نظر الخفي

السلطان مقبول القول في القضاة وكان لا يلي قاض في أقطار الاندلس
الا بمشورته واختياره على ان يحكي لم يل قضاء قط ولا أجاب اليه
وكان ذلك زيدا في جلالة وكان ممن اتهم بالتهيج في وقعة الربض
المشهورة ففر الى طليطلة ثم استأمن فكتب له الامير امانا وانصرف
الى قرطبة وعاش في زمن امارة عبد الرحمن الى ان مات سنة ٣٣٤
والمخني زرياب وفد على الاندلس من الشرق وكان تلميذا لاسحاق
الموصلى ببغداد ويحكي ان الرشيد طلب من اسحاق مغنيا غريبا مجيدا
للاصنعة فذكر له تلميذه هذا وقال انه مولى لكم وسمعت له نزعات
حسنة ونغمات رائعة ملتاطة بالنفس وأحدس ان يكون له شان فقال
الرشيد هذا طلبتي فأحضرنه فأحضره فلما كمله الرشيد أعرب عن
نفسه باحسن منطق وأوجز خطاب وسأله عن معرفته بالغناء فقال
نعم أحسن منه ما يحسنه الناس واكثر ما أحسنه لا يحسنونه مما
لا يحسن الا عندك ولا يدخر الا لك فان اذنت غنيتك ما لم تسمعه
اذن قبلك فأمره بالغناء فأخذ العود وغناه

يا ايها الملك الميمون طائر هارون راح اليك الناس وابتكروا
فأتم النوبة وطار الرشيد طربا وهاج اسحاق من داء الحسد
ما غلب على صبره فخا بزرياب بعد الانصراف من مجلس الخليفة
وقال يا على ان الحسد اقدم الادواء وادواها والدنيا فتانة والشركة
في الصناعة عداوة وقد مكرت بي فيما انطويت عليه من اجادتك وعلو

طبقتك وعن قليل تسقط منزلقى وترتقى انت فوقى وهذا مالا اصاحبك
عليه فتخير فى ثنتين لا بد لك منهما اما ان تذهب عنى فى الارض
العريضة لا اسمع لك خبرا وأنهمضك لذلك بما أردت من مال وغيره -
واما ان تقيم على كرهى ورغى مستهدفا الى فخذ الآن حذرك منى
فلست والله ابقى عليك ولا ادع اغتيالك باذلا فى ذلك بدنى ومالى
فاقض قضاءك - فاختر زرياب الرحيل واعانه اسحاق على ذلك
سريعا وراش جناحه فرحل ومضى الى المغرب - وامم امير الاندلس
الحكم وكتب اليه يسأله الاذن فى الوصول اليه ويعلمه بمكانه من
الصناعة فسر الحكم بكتابه وأرسل فى طلبه فسار زرياب نحوه بعياله
وركب بحر الزقاق الى الجزيرة الخضراء فلم يزل بها حتى توات عليه
الاخبار بوفاة الحكم فهم بالرجوع الى العدو فكان معه منصور
اليهودى المغنى رسول الحكم اليه فثناه عن ذلك ورغبه فى قصد
القائم مقام الحكم وهو عبد الرحمن ولده وكتب الى هذا بنحبر زرياب
فجاءه كتاب عبد الرحمن يذكّر تطاعه اليه والسرور بقدمه عليه
وكتب الى عمّاله على البلاد ان يحسنوا اليه ويوصلوه الى قرطبة
وامر خصيما من اكبر خصيمايه ان يتلقاه ببغال وآلات حسنة فدخل
هو وأهله البلد ليلا وانزله فى دار من احسن الدور وحمل اليها جميع
ما تحتاج اليه وبعد ثلاثة ايام استدعاه وكتب له فى كل شهر بمائتى
دينار راتبا وأن يجرى على بنيه الاربعة عشر دينارا لكل واحد

منهم كل شهر وأن يجرى على زرياب من المعروف العام ثلاثة آلاف دينار منها لكل عيد ألف دينار ولكل مهرجان ونوروز خمسمائة دينار وإن يقطع له من الطعام العام ثلثمائة مَدْي (١) ثلثاها شعير وثلثها قمح وأقطعه من دور قرطب وبساتينها وضياعها ما يقوم باربعين ألف دينار ثم استدعاه وسمع غناء فاستمرا و طرح كل غناء سواد وحبه حبا شديدا وقدمه على جميع المغنين وذاكره في أحوال الملوك وسير الخلفاء وتوادر العلماء فحرك منه بحرا زخر عاينه مدته فأعجب الأمير به وراقه ما أورده وكان زرياب عالما بالنجوم وتقويم البلدان حافظا لعشرة آلاف مقطوعة من الأغاني بالحانها

وقد جمع الى خصاله هذه كثيرا من ضروب الظروف وفنون الادب ولطف المعاشرة وحرى من آداب المجالسة ومايب المحادثة ومهارة الخدمة الملوكية ما لم يحوه احد من اهل صناعة حتى اتخذته ملوك الأندلس وخوابعهم قدوة فيما سنه لهم من آدابه واستحسنه من اطعمته فمن ذلك انه دخل الى الاندلس وجميع من فيها من رجل وامرأة يرسل جمته مفروقا وسط الجبين عاما للصدغين والحاجبين فلما عاينوا تحديقته هو وولده ونسائه لشعورهم وتقصيرها دون جباههم وتسويتها مع حواجبهم وتدويرها الى آذانهم واسدالها الى اصداعهم هوت اليه افئدتهم واستحسنوه . وهو أول من اجتنى بقلة الهاميون المسماة

١ المدي كقنبل مكياك به تسعة عشر صنفا وهو غير المد الذي هو ربع صاع

بلسانهم الاسفراج ASPERGE ولم يكن اهل الاندلس يعرفونها قبله
واخترع لهم بعض ألوان من الاطعمة لا تزال منسوبة اليه ومما أخذوه
عنه تفضيله آنية الزجاج الرفيع على آنية الذهب والفضة وإيثاره فرش
انطاع الاديم اللينة الناعمة على ملاحف الكتان واختياره سفر الاديم
لتقديم الطعام فيها على الموائد الخشبية اذ الوضر يزول عن الاديم
بأقل مسحة ولبسه كل صنف من الثياب في زمانه الذي يليق به وخلف
أولادا فخلفه كبيرهم في صناعته وحظوته

وأما الاميرة طروب فهي إحدى حظيات الامير وكان يحبها احبا جما
يحكى انه أغضبها فهجرتة ولزمت مقصورتها فاشتد قلقه لهجرها
وجهد ان يرضاها بكل وجه فاعياه ذلك فأمر بسد باب المقصورة
من خارجه ببدر المال وأقبل حتى وقف بالباب وكلما مسترضيا راغبا
في المراجعة على ان لها جميع ما سدد به الباب فاجابت وفتحت فأنهالت
البدر في بيتها واكبت على رجل الامير قبلها ودارت المال (١)

واما نصر الحصى فكان اسبانيا قائما بشؤون القصر (على ما يظهر)
يحكى أن طروب ارادت ان يخلص مُلك اسبانيا لابنها عبد الله بعد
أبيه الامير عبد الرحمن مع ان ابنه محمدا كان ولي عهده فأطلعت نصرا
على سرها فوعدها بما يشفي قوادها ويزى ان يسم الامير وولى عهده
وطلب من الطبيب ان يدس السم في دواء يطلبه الامير ويعطيه

الف دينار ففعل ولسكنه أوعز الى السلطان مع قهرمانة القصر الا
يشرب الدواء فان نصرا اكرهه على اذابة السم فيه وباكر نصر
القصر ودخل على سيده يستفهمه عن شرب الدواء فوجده بين يديه
وقال له ان نفسى قد بشعته فاشربه انت فوجم فأقسم عليه فلم تسعه
مخالفته فشر بهور كب مسرعا الى داره فهلك حينه (١) سنة ٢٣٦

❦ ٥ - محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ❦

من سنة ٢٣٨ الى ٢٧٣ (DE 852 A 886)

بعد وفاة عبد الرحمن الاوسط ابن الحكم خلفه ابنه محمد ابو
عبد الله . بويح يوم الخميس لاربع خلون من ربيع الآخر سنة ٢٣٨
للهجرة (٢) وكان ابن ثلاثين سنة واشهر وكان الناس يأملون في
حكمه مستقبلا سعيدا لما امتاز به من الخلال الحميدة فقد تحلى منذ
نشأته بالعدل والانسانية والشجاعة مع استعداد فائق وعلم واسع
مكتسب (٣) - في الاشهر الاولى من حكمه قام نزاع بين فقهاء قرطبة
والحافظ ابى عبد الرحمن بقى بن مخلد فانه كان تلقى في المشرق مذهب

١ ابن خلدون ٢ ابن عذارى ويؤيد هذا ما سبق من ان وفاة عبد الرحمن
ابن الحكم كانت ليلة الخميس لثلاث خلون من ربيع الآخر سنة ٢٣٨ ويقول
كندي وروى اعلنت امارته في قرطبة في اليوم السادس من ربيع الاول
٢٦ اغسطس سنة ٨٥٢ (٣) كندي

الامام احمد بن حنبل على أشهر علمائه ولما قدم الاندلس علم في جامع قرطبة مصنف ابى بكر بن ابى شيبة في أصول هذا المذهب فقام عليه مدرسو مذهب مالك الذي كان كثير الانتشار في اسبانيا وشكوا منه الى الامير فاستحضرهم واياه وتناظروا في حضرته فحكم بان الفروق في المذهب الحنبلي لا تخالف روح الشريعة ولا تغاير السنة بل ان فيه اصولا شريفة نافعة لها مساس بحوادث الانسان في ذلك الزمان ونهى الامير خصوم بقي عن أن يتعرضوا له واذن بتعليم مذهبه فمن ذلك الوقت أخذت تتسع دائرة مذهب احمد بن حنبل (١) في سنة ولا يته ثار عليه

١ كندى وروى وجاء في نفع الخليل (ج ٢ ص ٥٨٩) ما ملخصه
ارتحل من الاندلس الى المشرق بفي بن محمد أبو عبد الله القرطبي وأخذ العلم عن كبار العلماء وعنى بالاثر عنابة عظيمة لا مزيد عليها وكان اماما حافظا صادقا قليل المثل مجتهدا لا يقاد به بفتى بالامر قال ابن حزم انه لم يؤلف في الاسلام مثل تفسيره لا تفسير ابن جرير ولا غيره وكان محمد بن عبد الرحمن صاحب الاندلس محبا للعلوم عارفا بها فلما دخل في بن محمد الاندلس بمصنف ابن ابى شيبة وقرئ عليه انكر جماعة من أهل الراى ما فيه من الخلاف واستبشروه وقام جماعة من العامة عليه ومنعته من قراءته فاستحضره الامير وياهم وتصفح الكتاب جزءا جزءا حتى اتي على اخره ثم قال لحازن كتيبه هذا لا تسمنني عنه خزانة فانظر في نسخة لنا وقال لبقى انشر علمك وأرو ما عندك ونهاهم عن ان يتعرضوا له سولد بقي في رمضان سنة ٢٠١ وتوفي في جمادى الآخرة سنة ٢٧٦ هـ

أهل طليطلة وحبسوا العامل عندهم حتى اطاعت رهاثهم من قرطبة فاطلقوه
وفي السنة التالية (٢٣٩) بعث العساكر مع أخيه الحكم إلى قلعة رباح
وكان أهل طليطلة خربوا سورها وقتلوا كثيراً من أهلها فرم السور
وأصبح حال القلعة ورد إليها من هجرها وتقدم إلى طليطلة فعث
في نواحيها وسير الأمير جيشاً (١) آخر إلى طليطلة فلما قاربها خرجت
عليه الجنود من المكامن فانهزموا صيباً أكثر من فيه فسار الأمير بنفسه
في المحرم سنة ٢٤٠ في جيوشه إلى طليطلة فاستمد أهلها ملك جليقية
وملك البشكنس فأمداهم بجيوش كثيرة فلما بلغ الأمير ذلك وكان قد
قارب طليطلة أعمل الحيلة فآكن لهم الجيوش في وادي سايط وتقدم
إليهم في عدد قليل من الجند فأعلم أهل طليطلة الفرنج بقلة عدد
المسلمين فسارعوا إلى قتالهم وطعموا فيهم فلما تراءى الجمعان وانتشب
القتال خرج الكمناء من كل جانب وأوقعوا بأعدائهم حتى بلغ عدد
القتلى من الفرنج والطيطلين عشرين ألفاً وفي سنة ٢٤١ أكثر
الأمير من الرجال بقاعة رباح ليقفوا على أهل طليطلة (٢) وبعث
الجيوش مع موسى صاحب تطيلة (٣) فماتوا في نواحي البة والقلاع
وفتحوا بعض حصونها وعادوا (٤) وفي سنة ٢٤٢ بعث جيشاً إلى

١ يؤخذ من ابن عذاري أن قائدي هذا الجيش فاسم بن العباس وتام بن أبي
المطاف صاحب الخيل وقائد جيش طليطلة (سندلة) وأن هذه الواقعة كانت في شوال
٢ ابن الأثير وفي ابن عذاري أن الأمير شحن قلعة رباح وطليطلة بالحشم ورتب
فيها الفرسان وترك فيها عاملاً حرث بن يزيد ٣ ابن خلدون ٤ ابن الأثير

برشاونه فدخلها وحارب قلاعها وجازها الى ما وراء اعمالها فغنم كثيرا
 وفتح حصن طراجة وهو من آخر حصون برشاونه (١) وفي سنة ٢٤٣
 خرج اهل طليطلة بجمعهم الى طليطلة وعليها مسعود بن عبد الله
 العريف فقاتلهم حتى هزمهم وقتل اكثرهم وحمل الى قرطبة سبعائة
 رأس (٢) وفي سنة ٢٤٤ خرج الامير بنفسه الى طليطلة فكان
 للطليطالين واقعة دائلة على قنطرة نهر تاجه. إذ اجتمعوا عليها وكانت قد
 أخلت ولم يشعروا فسقطت بهم فغرقوا في النهر عن آخرهم (٣) وفي سنة
 ٢٤٥ دعا اهل طليطلة الامير الى الامان فمقده لهم (٤) كذا يؤخذ
 من التواريخ العربية

ويؤخذ من دوزي أن تمسك السلطان محمد بدينه كان يدفعه
 الى اضطهاد نصارى قرطبة وأنه لما بلغ أهل طليطلة نبأ هذا الاضطهاد (٥)
 تأهبوا للقتال تحت أمرة (شندله SINDOLA) وخوفهم على حياة

١ ابن الاثير وفي ابن عذري ان الامير كتب الى موسى بن موسى بحتشداثغور
 والدخول الي برشاونه فنزا اليها واحتل بها وافتتح حصن طراجة وهو من آخر
 احوز برشاونه « ٢ » ابن الاثير (٣) يقول دوزي. بسبب أن شغل السلطان
 القنطرة بجيوشه أخذ مهندسوه يخلون دعائمها بدون ان يراهم الطليطاليون فلما
 كاد المهندسون ينتهون من اعمالهم أمر عساكرهم أن يتفقدوا عنها فقتل آثارهم
 عساكر طليطلة فلما حلوا فوقها انهارت بهم في الخال فغرقوا في نهر تاجه « ٤ »
 ابن نذاري « ٥ » لم أر في التواريخ العربية ولا في كندي ولا في رومي أثر
 لاضطهاد الامير نصارى قرطبة فمن ابن جاء دوزي نبأ هذا الاضطهاد ومن التناقض
 مدح كندي الامير محمد وفم دوزي اياه

رهائنهم في قرطبة قبضوا على المحافظ واعلموا السلطان (انه اذا رغب في
الابقاء على حياة المحافظ فعليه أن يرد اليهم الرهائن) ففعل وهم
اطلقوا سبيل المحافظ ولكن شهرت الحرب وحمل الخوف من الطليطليين
حامية قلعة رباح على اخلائها فجاءوا اليها وهدموا أسوارها لكن السلطان
بعث بالجنود فرموا الاسوار (٨٥٣) ثم أمر بتسيير قائدين الى
طليطلة لكن الطليطليين بعد ان مروا من مضائق (جبال مرنة
SIERRA MARNA) للقاء عدوهم اسرعوا في الهجوم عليه بالقرب
من (اندوچر ANDUJAR) فهزموه واستولوا على معسكره - قرب
هذه الهزيمة من اندوچر هدد قرطبة فجمع الأمير جنوده وقادهم بنفسه
الى طليطلة في يونيو سنة ٨٥٤ فبعث شندله يستنجد بملك ليون
أردن الأول فأمدهم بمدد عظيم تحت امرة (غثون كند بيرزو
GATON CONTE DU BEIRZO) فنزع هذا المدد من تحت
أمل الفوز فآمن معظم جيشه خلف الصخور التي يجري بعينها نهر
سليط وسار الى المدينة في عدد قليل ووجه آلاته الحربية نحو جدرانها
فلما رأى الطليطليون قلة العدد الهاجم دعوا غثون (١) الى الخروج
فخرج مسرعا يقود جيشه وجيش الطليطليين وهجم على جند محمد
فاخذ الجند في الفرار جارا وراءه اعداءه نحو الكمين حتى ظهرت
عليهم الجنود الكامنة وأبادت معظمهم وقطعت من رؤوس القتلى

ثمانية آلاف ووضعها كرامة وصعدت عليها اه
ويؤخذ من رومي وكندي ان الامير محمدا كان ذا حمية عظيمة
في الدين لكنها ما كانت تطفى منه كل نور وكل تسامح وقد دفعته
هذه الحمية في صدر ملكه الى نشر الاسلام في حدود اسبانيا كي
يصد عن مملكته هجمات أهل الحدود فأمر ولاية ماردة (١) وسرقسطة
بجمع الجنود وغزو بلاد الفرنك ونصاري جليقية فاجتاز المسلمون
جبال البرانس الشرقية وتوغلوا في البلاد الى اقليم نربونة وغنموا غنائم
واسعة واسروا أسرى كثيرة وفرقوا شمل السكان شذر مذر لكنهم
لما حاربوا نصاري جليقية كانت الحرب سجالا بين الفريقين وآل
الأمر الى ان هزم ملك استوريا (اردن) الوالى موسى بن زياد ZEIAD
بالقرب من القلعة البيضاء حتى أخذها منه (٢) لما جاء نبأ هزيمة
المسلمين واستيلاء النصاري على القلعة البيضاء الى قرطبة كان له وقع
سيء لدى الدولة الأموية واتخذ اعداء موسى هزيمته فرصة للوشاية
فيه لدى الامير واتهامه بالارتشاء فحسره من ولاية سرقسطة (٣)

١ اعلمها لاردة فان هذه هي القرية من سرقسطة (٢) يقول رومي ان
موسى كان قوطيا واسلم طمعا في الترقى فقطع في طريقه شوطا بعيدا في عهد الامير
السابق فلذلك كثر اعداؤه ولما رأى واكدر الامير من سقوط القلعة اتهموا موسى
بالخيانة ووشوا به لديه قائلين فيه (ذى مغلوب ابن نصارى خدعه ملك النصاري
وحالته ورشاه) وكان العرب يطلقون اسم الذمى على كل من كان من أصل اجني
٣ يؤخذ من كندى ورومى ان موسى كان والى سرقسطة وان اسمه موسى
ابن زياد وان خلدون يقول انه كان والى تطيلة واسمه موسى بن موسى

وعزل ابنه لوبيا (١) من ولاية طليطلة

نشأ من هذا العزل أن حالف موسى وابنه نصارى استوريا أو جليقية ونصارى نقارة والبشكنس وكذا حالفوا بعض العرب على أن يحفظوا استقلالهم ورفعوا لواء المعصيان ودخلت المدائن سر قسطة وتطيله ووشقه وطليطلة في حوزتهما ومع هذا لم يدخل في محالفتهم ملوك الفرنك الذين هم خلف جبال البرانس فاخذ موسى يوج جيوشه لقتالهم فاجتازوا الجبال وأغاروا على اقاليم الغال واخذ ابنه (لوبيوس) يرتب معدات الدفاع عن طليطلة وقد احف عاينها الامير محمد مدبرا مكينة معروفة ولكنه نجح بها : أخفى جل جيشه في غابة كثيفة مظلمة ليست بعيدة عن طليطلة وأقبل على المدينة في قليل من الرجال والفرسان على مرأى من اهابها فعات في بريتها التي على نهر تاجة الايسر فوالها ماظن في القادمين الا طليعة جيش بعيد فاراد أن ينهمز الفرصة ويضرب بها ضربة تشل يد القوة المنتظرة فخرج اليها في جيش كاف لان يفتك بها فانهمزمت أمامه حتى قادته الى وادي سايطو وهو وادي الكمين فانقض فرسان قرطبة وهم تحت امره هشام بن عبدالعزيز حاجب الأمير على الطليطليين من كل جانب وفتكوا بهم حتى غطت أشلاء القتلى ميدان القتال وقد بلغ عددهم من النصارى ثمانية آلاف ومن المسلمين سبعة آلاف وما كانت عاقبة هذا الفوز ان خضعت طليطلة بل ان لوبيوس ومن

«١» كذا يسميه رودى هنا ويسميه في الاتى لوبيوس

امكنه الفرار دخلوا المدينة ورفضوا الصالح مع ان الأمير وعدمهم بالعفو اذا سلموا المدينة بدون شرط ولما رأى أن حصارها يطول عاد الى قرطبة سنة ٢٤٠ للهجرة وترك جيشا محاصرا تحت امره ابنه المنذر ولكونه شابا ترك معه قائدين وهما عبد الملك بن عبد الله ابو مروان وهشام ابن عبد العزيز وقد ابتداء حصار المدينة من آخر سنة ٢٥٢ واستمر الى السنة التالية

وفي سنة ٨٥٥ أرسل موسى جنودا كثيرة تعزز ابنه المحصور فبهذا صار الحصار غير ممكن الاستمرار فرفعه ابن الامير في الاشهر الأولى من هذه السنة وقسم جيشه الى ثلاثة أقسام توجهت الى قلعة رباح وطابيرة وزورته ZURITA مواضع قوية تكمنف طليطلة ومنها كانوا يناوشون المدينة ولكن لوپوس كان يدفع هجماتهم وقد اجتهد في استرضاء اردن فنجح وحالفه الا أن مساعدته اياه لم تغن شيئا فقد اضطر ان يسلم المدينة سنة ٨٥٩ وقد حضر الامير محمد نفسه واما موسى فقد استنحل امره وامتدت سلطته على ارض واسعة تتكون من هضبة اسبانيا المتوسطة ومن وادي الغداری وريوثة RIOJA وارجون ARGON وكانت تتاخم من الشرق لاملاك الفرنك في جبال البرانس ومن الجنوب والغرب لاملاك المسلمين الباقين على طاعة الامير الاموى ومن الشمال لاودية النقرين والبشكنس ولينزيد في اتساع ملكه رغب ان يتحد مع النقرين

فزوج ابنته لمن يعدونه رئيسا عليهم وكان يسمى (غرسينوس) أو
(غرسية بلغة اسبانيا الجديدة) فاحتدم ملك استوريا غيظا من هذا
الاتحاد الذي كان عقب ان شقوا عصا طاعته واعلنوا استقلالهم فوجه
جيشه الي مقاتلتهم فقتل منهم عشرة آلاف من بينهم (غرسية)
وهزم الباقين وجرح موسى ثلاث مرات ولكنه لم يمت بل فرّ الى
اسبانيا الشرقية حيث يرأس ولده اسماعيل سرقسطة وولده (فرتون)
تطيّلة وحفظ استقلاله بدون تظاهر الى سنة ٨٧٠ فقد مات فيها حين
حاصر المنذر سرقسطة كما سيأتى - من مقارنة الحوادث المذكورة في
التواريخ العربية في هذا الموضع مما يقابلها في التواريخ الافرنجية نرى
مغايرة بينهما فمن الاولى لا يؤخذ ان موسى خرج عن طاعة الدولة
الأموية كما ذكر في الثانية بل ان حروبه نحو الشمال والشرق كانت
بأمر الامير محمد ولا يؤخذ منها أيضا ان والى طليطلة كان ابن موسى
كما في كندى ورومى

بينما الامير محمد يطفىء نار الثورة (٢٤٥ هـ) في طليطلة ويخضعها
لسلطان قرطبة اذا الماجوج (المجوس) اعادوا الكرة على شواطئ
اسبانيا فاغاروا أولا على سواحل جليقية GALICE (١) ثم مضوا
في ستين مركبا (٢) الى شواطئ الاندلس فنزلوها وعاثوا في كوررية

وقرطمة CARTAMA وماتقة ورندة وما اجتروا على التوغل في داخل البلاد ولكنهم احرقوا المدائن المجاورة للبحر وهدموا كثيرا من المباني التي اقامها الامراء المتأخرون على الشواطىء لاسيما القلاع التي كانت معدة لمراقبة الطواريء الخارجية وخربوا جامع الجزيرة الخضراء الذي كان يسمى مسجد الرايات (لان طارقا جمع فيه زمن الفتح رايات القوم للرأى)

فأرسل الامير فرسانه ليدفعوا غائلة الماجوج فلما رأوهم أقبلوا ومضوا الى شواطىء أفريقية فأغاروا على مدينة ناشور NACHOR (١) ثم عادوا الى ساحل تدمير وانتهوا الى حصن اوريوله (٢) ثم رحلوا الى جزائر ميورقة ومنورقة وقرمنترة FORMENTERA فخرّبوها (٣) ثم ساروا الى سواحل افرنجة فشتوا بها وعاثوا فيها واصابوا الذراري والاموال (٤) وبلغوا بنبلونة وأسروا صاحبها غرسيه وفدى نفسه بسبعين الف دينار ثم انصرفوا فلقبهم مراكب الامير فقَاتلُوهم وغنموا مركبين واستشهد جماعة من المسلمين (٥) ثم أخذوا طريق العودة الى

— وجدوا البحر محروسا ومراكب المسلمين معدة تجرى من حائط افرنجة الى حائط جليقية في الشرب وان هذه تلاقى بمركبين من مراكب المجوس في بعض كورباجه فأخذتها بما قيمها من الذهب والنضة والسبي والمدة

١ رومي (٢) ابن عذارى (٣) رومي (٤) ابن عذارى (٥) ابن خلدون وقوله « واسروا صاحبها غرسيه » لا يلتئم مع ما سبق من ان غرسيه قتل في قتال الاستوريين فلهذا المراد انهم اسروا ابن غرسيه فقد نشر الابناء باسم الاب

اسكندناوة ومراكبهم مثقلة بالغنائم الواسعة سنة ٨٦٠ (٢٤٦ للهجرة) (١) يقول ابن عذارى انهم فقدوا من مراكبهم اكثر من اربعين وان مراكب الامير اصاب منها مركبين بريف شذونة فيهما أموال عظيمة

ان انتصار اردن على موسى جرّاه على الهجوم على المسلمين في جنوب نهر دويره فهزم والى الحدود زيد بن قاسم واستولى على عدة مدن وحصون منها كوريا وسلمنقة (٢٤٦) وقتل رجال هاتين المدينتين ولم يبق الا على النساء والاطفال وقد ساقهم الى استوريا فزع الامير محمد من اخذ كوريا وسلمنقة فبعث ابنه المنذر يقود جيشاً عرمرماً ليرد هاتين المدينتين فسار على شواطئ النهر (٢) حتى التقى باعدائه وقهرهم وقتل منهم عدداً عظيماً وفرّق شمل الباقيين وردّ المدن والحصون المسلوبة ثم حوّل جيشه الى الشمال الشرقى فعبّر نهر الابرة ودخل نقارة حتى بلغ أرض بنبلونة فأتلف ثمارها وحاصلاتها وافتتح ثلاثة حصون منها حصن قشتيل وأصاب فيه بطلا صنديداً يسمى فرتون بن غرسية (٣) فساقه الى قرطبة فمكث فيها اسيراً ٢٠

« ١ » كندى ورومى (٢) يقول كندى ورومى ان المنذر قسم جيشه الى خمسة أقسام - المقدمة والجناحين (الميمنة واليسرة) والقلب والساقة اى المؤخرة ولذا يعبر عن مثل هذا الجيش بالحميس (٣) في هامش روى ما نصه « يقرأ في مورف ان محمداً في سنة ٢٤٧ (٨٦١) أغار على أرض بنبلونة فاخضع قسماً عظيماً من البلاد وأخذ عدة قلاع وحبس فرتون أخا الملك (اى ملك) وبقي هذا أسيراً في قرطبة نحو ٢٠ سنة

سنة ثم أطلقه الأمير ليرحل الى بلده فأقام مختاراً في قرطبة الى ان بلغ ١٢٦ سنة (١)

وفي سنة ٢٤٩ (٨٦٣ - ٨٦٤) أغار نصارى جليقية على بلاد المسلمين فمهبوها وأتلفوا مزارعها وأسروا رجالها فأمر محمد قواده وولاته بجمع الجيوش للجهاد فخرج بهم وانضم اليهم فرسان ماردة وأتجه الى جليقية ودخل مدينة (سنكتياك أوسنت ياقيب SANCTIAC) (٢) فما استطاع الجلائقة ان يثبتوا على مقاومته بل تقهقروا والتجؤوا الى القلاع القائمة على الصخور المنيعة فرجع الأمير من طريق (طلبيرة) (٣) وأرسل فرسان ماردة من طريق سلمنقة وواصل سيره مع فرسان قرطبة متجهاً الى طليطلة (٤)

وعلى حدود الفرنك في بلاد ارجون العليا قامت ثورة هائلة يقود زمامها شقي يعرف بحفصون (٥) نشأ هذا الشقي في إقليم ريّة من بلاد الاندلس وكان يعيش من كسب يديه ولما أعياه الفقر هجر

(١) رومي

(٢) في هامش رومي ان هذه اللفظة منحوتة من سنكتوس يعقوبوس

ومن ذلك أخذ الاسبانيون (سنتياغو) وفي معجم ياقوت سنت ياقيب بضم القاف قلعة حصينة بالاندلس اه وربما مدوا حركة القاف فقالوا ياقوب كما في نزهة المشتاق (٣) رومي - وفي كندي من طريق سموره (٤) بعض المؤرخين يذكر هذه الحادثة في حوادث سنة ٢٤٧ « ٨٦١ - ٨٦٢ » وبعضهم يذكرها في سنة ٢٤٩ « ٨٦٣ - ٨٦٤ » (٥) رومي - في كندي انه يسمى عمر بن حفص ويعرف بابن حفصون

أقايمة ورحل الى ترجيلة (١) TORDJIELLA مؤملاً ان يصادف
متسماً من الرزق فلم يجد طريقاً لكسب الا أن اختلط هو وفئة من الاشرار
وعاثوا في الارض فساداً وجعلوا مهنتهم السرقة وقطع الطريق وكثيراً ما
قاوموا الكشاف الذين كانوا يقتفون آثارهم ليطشوا بهم حتى شهر أمرهم
واستولوا على قلعة بيشتر ومع هذا في سنة ٢٥٠ (١٨٦٤) طرد حفصون
وعصابتة من الاندلس ففروا الى حدود الفرنك في الاودية المتوسطة
بين جبال البرانس وكان يسكنها افارقة اغلبهم يهود فانزلوه في حصن
من حصونهم يعرف بروطة اليهود (٢) وكان هذا الحصن عبارة عن
قصر منيع على قمة جبل صخري يكتنفه نهر - ولما بلغ نصارى هذه
الجبال شهرة حفصون ونجاحه في سطواته استرضوه وعاهدوه على شق
عصا طاعة الامير

انقضّ جموع حفصون من الجبال كالسيول الجارفة مغيرين على
بلاد اسبانيا حتى بلغوا برّيشتر (٣) BARBASTER ووشقة وفراجة

١ يقول ياقوت انها مدينة بالاندلس من اعمال ماردة بينها وبين قرطبة
سنة ايام غربا وبينها وبين سمورة من بلاد الفرنج ستة ايام ملكها الفرنج
سنة ٥٦٠

٢ روى . قال ياقوت (روطه حصن من اعمال سرقسطة بالاندلس وهو
حصن جدا على وادي شاون

٣ قال ياقوت بريشتر مدينة عظيمة في شرقي الاندلس من اعمال بريطانيا
وقد صارت لاروم في صدر سنة ٤٥٢ وبربطانية مدينة كبيرة بالاندلس ايضا
يتصل عملها بعمل لاردة وهي في شرقي الاندلس

مفسدين المزارع مستغزين الاهلين على نبطاعة ولاتهم مخر بين مدائن
وقرى من يابى الانضمام اليهم محتلين قلاع البلاد الى ان وصلوا مقاطعة لاردة
فانضم اليهم قائدها المسمى عبد الملك وسلمها اليهم وتبعه قادة القلاع
الأخرى وغيرهم من المسلمين واليهود والنصارى الناقمين من الامير
وامتد لطيب الثورة فى زمن قريب على شاطئ نهر ابرة الايسر

كان فى استطاعة والى سرقسطة ان يرد هجمات العصاة ولكن عزله
الامير وقتئذ وبقي منتظرا من يخفه فاغضى عنهم وتركهم يعيشون فى
الارض كى يعظم الخطر

لما استفدح الامير محمد امرهم كتب الى ولاته يأمرهم بحشد الجنود
وذهب بنفسه الى طليطلة يقود جيشا كثيفا وعهد الى ابنه المنذر
بمراقبة حدود جليقية وفى الوقت عينه اجتمع جنود بلنسية ومرسية
وتوجهوا تحت قيادة زيد بن قاسم حفيد الامير الى نهر ابرة ليحتمعوا
هم وجيش قرطبة على شاطئ النهر ويتجهوا الى مقر حفصون ويستردوا
منه الحصون التى استولى عليها

تحقق حفصون انه لا يقوى على دفع قوى الامير العظيمة وانها
ستكون الضربة القاضية عليه لانه لا محالة فعمد الى المكر والخداع وارسل
اليه رسالة يظهر فيها خضوعه ويقسم بآله السموات والأرضين ان كل
ما فعله لم يكن الا خديعة للمشركين حتى يلتبس عليهم الامر اذا رد
جيوشه نحوهم وانه اذا ساعده الامير بجيوش بلنسية ومرسية المتجهة

لقتله فاجأ بلاد الفرنج التي في جنوب نهر شيقر SEGRE ودمرها وانه
لم يزل مساماً صادقاً مخلصاً

خضع الأمير واعتقد صدق رسالة حفصون وماهى الا زور وبهتان
ووعده بحكومة ولايتى وشقة وسرقسطة اذا أخضع هذه البلاد لسلطان
قرطبة وعندئذ أرسل جيشه الى جليقية لينضم الى جيش ابنه المنذر
وأمر حفيده أن يقود جنوده ويساعد حفصون على قتال الفرنج وعاد
هو الى قرطبة

اجتمع جيش زيد وجيش حفصون في ودى « الكنت » (١)
وقابل الثانى الأول بالحفاوة والاحلال كأنهما صديقان ولكن لما خيم
الظلام ومالت عساكر بلنسية ومرسية الى الراحة ولم يأخذوا حذرهم
انقض عليهم عساكر حفصون وعبد الملك والى لاردة وفتكوا باغلبيهم
ولم ينج الا القليل وقد قتل زيد بعد ان دافع دفاع الابطال وكان شاباً
يبلغ ثمانى عشرة سنة « ٥٢٢ هـ ٨٦٦ م »

لما بلغ الأمير نبأ هذه الكارثة هلع هلعاً شديداً ودعا قواده في
الحال الى حرب مأمسة (٢) ينتقم فيها من العاصى الخائن حفصون
واستقدم ابنه المنذر من حدود جليقية ليأخذ بقياد هذه الحرب فقاد
عساكره وانضم اليه غيرهم وقلوب الكل تغلى كالمراجل ماؤها الغيظ
وحب الانتقام الى أودية العصاة بين صخور روضة اليهود فرجال

حفصون وعبد الملك قاوموا بشجاعة هجوم عساكر المنذر لكن لم تغن مقاومتهم ولا مناعة حصونهم شيئاً فقد انتصر جيش قرطبة عليهم واجأ في اليوم الاول عبد الملك مجروحاً ومائة رجل من شجعانه الى هذه الروطة المنيعه وفي اليوم الثاني أحرق المنذر بها من جميع الجهات هو وجنوده وقد أحرق صدورهم غليل الانتقام حتى قهروا قلاعها وجاسوا خلالها وقد دافع عبد الملك دفاع المستميت الى أن سقط مغطى بدمائه فقطع المنذر رأسه وارسله الى قرطبة

وقد أدى سقوط روطه اليهود الى خضوع لارده وحصون أخرى والتجأ حفصون الى ركن منيع من اركان جبال البرانس بعد أن فرق امواله على احبابه ووعدهم بالعودة اليهم اذا جاد الزمان وعاد المنذر الى قرطبة فاستقبل فيها استقبالاً باهراً ومنح الامير شبان الجيش عطايا فاخرة من الاسلحة والملابس والخيول وكان اليوم يوم عيد عند الأهلين
سنة ٨٦٦ (٢٥٢)

في السنة التي انتصر فيها محمد على حفصون (٨٦٦) مات (اردن) بعد أن حكم ماينيف عن ١٦ سنة وخلفه ابنه (اذفنش) وهو ابن ١٨ سنة فحكم ٤٥ سنة كذا في رومي وفي ابن الاثير في حوادث سنة ٢٥٤ ان اردن بن ردمير صاحب جليقية مات وولى مكانه اذفونش وهو ابن اثنتي عشرة سنة ولا يخفى ما في الروايتين من المغايرة في تاريخ الوفاة وفي عمر الملك الجديد وفي ابن الاثير في حوادث هذه

السنة أيضا أن اهل ماردة عاودوا الخلاف على محمد صاحب الاندلس
فسار اليهم وحصرهم وضيق عليهم فانقادوا فنقلهم وأموالهم الى قرطبة
وهزم سور ماردة وفي تاريخ ابن عذارى انه نقل فرسانهم عبد الرحمن
ابن مروان وابن شاكر ومكحول وغيرهم بعيالهم الى قرطبة وولى عليها
سعيد بن عباس القرشي وأمر بهدم سورها

وفي سنة ٨٦٨ حاصر بنبلونة عاصمة نفارة سرية من المسلمين
يقودها اسحاق بن ابراهيم العقيلي وزيد بن رستم حتى استولت على
بعض ابراجها لكنها لما رأت اقبال كثير من جنود الفرنك لا تقاها
اضطرت الى تركها والانسحاب الى نهر ابرة وكان الحامل على
ارسال السرية لحصار بنبلونة حب الانتقام من واليها ابن غرسية
صهر موسى فانه كان يساعد رؤساء اسبانيا الشرقية الخارجين عن
طاعة الامير

وفي سنة ٨٦٩ جمع الامير محمد جنود الاندلس ووجهها تحت
قيادة ابنه المنذر الى سرقسطة فان واليها موسى كان يحفظها مستقلة عن
قرطبة فلما جاءها المنذر وقد اغلق الوالى ابوابها حاصرها ٣٥ يوماً
وحرصاً على الوقت من أن يضيع سدى دخل نفارة ونهب ارضها
وكسح قطعاً بها وعاذ الى حصار سرقسطة وبقي في اسبانيا الشرقية الى
سنة ٢٥٧ (٨٧٠) وفيها مات موسى فألقت المدينة مقاليدها الى
المنذر - ومع موت موسى وفتح سرقسطة لم تخشع طليطلة بل ثارت في

هذه السنة وانتخبت عبد الله بن لب بن موسى والياً عليها وكان قد
فارقها منذ سقوطها سنة ٨٥٩ واستوطن استوريا وكان قائداً شجاعاً
خبيراً بتصاريف الحروب - لما علم محمد بعصيان طليطلة جمع جنود
الاندلس وقادهم اليها وكان أهلها متأهبين للمقاومة والدفاع عن
انفسهم وهم فيها ولكن رئيسهم لما علم كثرة جنود قرطبة لم يرد أن
يجعل المدينة عرضة للخطر بالبقاء بين حياطها فأمر قواده بالخروج
الى ضاحية المدينة ثم بعث رسلاً الى أهلها يشيرون عليهم بالخضوع
الى الامير فما كان من العامة إلا أن أرادوا الفتك بالمبعوثين لكنهم
تشاوروا في الامر واتفقوا أخيراً أن يسلموا المدينة على شرط أن
يتجاوز الامير عن الماضي ولا يبحث فيه (٨٧١) - بعد ان أقام
الامير بعض ايام في طليطلة يوطد دعائم السلام فيها عاد الى قرطبة
فقبل بفرح عظيم

وفي سنة ٢٥٩ (من نوفمبر سنة ٨٧٢ الى اكتوبر سنة ٨٧٣)
أغار المنذر على أرض جليقية وقتل أهلها والذهر تارة له وطوراً عليه
فعلى ممر نهر سهجون المتجه الى نهر دويره كانت بينهما وقعة دموية
قتل فيها كثير من فرسانه الابطال ومع ذلك كانت خسارة الجلالة
فادحة جداً حتى أنهم قضوا اكثر من احد عشر يوماً في دفن جثث
موتاهم - وبقي المنذر على الحدود طول سنته يأتي بأعمال حربية
غريبة غير مفتر في أغلب أيامه عن مناوشة اعدائه الشجعان الذين

كانوا يصدون هجماته العنيفة - وفي آخر هذه السنة رجع الى لوزيتانيا
وفي سنة ٢٦٠ (٨٧٤) حلّ بأرض اسبانيا جذب شديد ولم يكن
قاصراً عليها بل عمّ أفريقية ومصر والشام وجزيرة العرب حتى ان مكة
أم القرى هاجر منها أهلها ولم يبق خادم في الكعبة فأغلقت (١) :
جفت المنابع والغدران فلم تأت الأرض بشراستها فعمت المجاعة
وانتشرت الامراض وكثر الموت وكان هذا الجذب أفظع من جذب
سنة ٢٤٤

وفي سنة ٢٦١ جمع ابن مروان رجاله وهرب بهم من قرطبة
وقصد قلعة الحنش في جنوب ماردة فلكمها وامتنع بها فغزاه السلطان
محمد وحصره ثلاثة اشهر حتى اضطر الى أن يأكل لحم الخيل ويطلب
الامان ويسلم المدينة فأمنه السلطان وأباح له أن يسكن بطاليوس
فاستوطنها . ولم يرجع عن عصيانه فقد ضمّ عصابته الى عصابة اخرى
يقود زمامها من يسمى (سعدون) ودعا الى جيشه كل من كان على
شاكلته من مولدى ماردة وغيرها ودعا مواطنيه الى دين جديد وسَط
بين الاسلام والنصرانية وحالف أذفونش الثالث ملك (ليون) (٢)
وهو بالطبع حليف كل من يشور على السلطان وأخذ يعيث في البلاد (٣)
فأرسل اليه السلطان جيشا تحت قيادة وزيره هاشم سنة ٢٦٢

فلما سمع الجانبى خبر هذا الجيش أرسل سعدون الى حليفه اذ فونش يطلب منه مددا ولم ينتظر فى بطليوس بل توجه الى حصن (كركى) (١) وانضم اليه أهل ماردة فجاء هاشم وعسكر بالقرب من هذا الحصن واحتل أحد ضباطه حصن منت شلوط وكان سعدون قد اقترب منه بالمدد واشاع انه فى قلة فكتب الضابط الى هاشم يخبره بقلة المدد بناء على الاشاعة الكاذبة فقد كان غرض سعدون منها التفرير فرأى هاشم أن قد سنحت الفرصة فى سعدون فبادر بالخروج فى خيل قليلة لمقابلته فتركه سعدون يوغل فى البلاد حتى دخل مضيقا كان فيه أعداؤه مختبئين خلف الصخور فهاجموا على غرة وكانت ملحمة هائلة أصيب فيها هاشم بعدة جروح وقتل كثير من فرسانه واسر وسبق الى ابن مروان فاكرمه وأحسن اليه وأرسله الى ملك ليون سنة ٢٦٣ فطلب فيه فدية عظيمة - وبعد سنتين اطلق سبيله وقد دفع السلطان عنه بعض الفدية وترك هاشم أخويه وابنه وابن أخيه رهائن على باقى الفدية كذا يؤخذ من دوزى وابن عذارى

لما علم السلطان بأسر وزيره هاشم أغزى ابنه المنذر جنيقية سنة ٢٦٣ (٨٧٦ — ٨٧٧) وجعل طريقه على ماردة فاحتل قائده الوليد

١ يقول بعض المؤرخين (كركر) والصحيح الاول قال ياقوت «كركى» بالتحريك اسم حصن من اعمال (أوريط) بالاندلس له ولاية وقرى - راجع هامش دوزى ج ٢ ص ٨٥

ابن غانم بطليوس بعد أن أجلى عنها ابن مروان والجهاء الى بلاد العدو
وغنم المنذر غنائم واسعة واسر كثيرا من اعدائه عقب قتال صعب
المراس فقد فيه كثيرا من جنوده منهم يحيى بن الحجاج وكان فارسا
شجاعا مشهورا بسياحاته الى الشرق كذا يؤخذ من ابن عذارى وكندى
ويؤخذ من رومى أن اذفونش فى هذه السنة صد هجمات المنذر واستولى
على حصون ومدن اجلى عنها المسلمين واسكنها قومه النصارى وأنه
مازال يصد هجماته حتى الجاه الى حدود لوزيتانيا الجنوبية

قال ابن خلدون انتقض على الامير محمد عبد الرحمن بن مروان
الجليقى فيمن معه من المولدين وساروا الى التخم ووصل يده باذفونش
ملك جليقة فسار اليه الوزير هاشم فى عساكر الاندلس سنة ٢٦٣
فهزمه عبد الرحمن وحصل هاشم فى اسره ثم وقعت المراودة فى الصالح
على أن ينزل عبد الرحمن بطليوس ويطلق الوزير هاشم فتم ذلك سنة
٢٦٥ ونزل عبد الرحمن بطليوس وكانت خربة فشيدها واطلق هاشم
بعد سنتين ونصف من أسره ثم تغير اذفونش لابن مروان ففارقه وخرج
من دار الحرب بعد أن قاتله ونزل مدينة انطانية بجبهات ماردة وهى
خراب فحسنها وملك ماوليا من بلاد (ليون) وغيرها من بلاد
الجلالقة واستضافها الى بطليوس اه

فى هذه الاثناء ثار الخائن عمر بن حفصون المستظل فى حماية
نصارى الفرنك وبمساعدهم استولى على عدة قلاع منيعة على نهر

شيقر SEGRE (كذا يؤخذ من كندى ورومى)

وفى سنة ٢٦٤ بعث الامير محمد ابنه المنذر ثانياً الى بلد بنبلونة
فمر بسر قسطة وقاتل أهلها ثم تقدم الى تطيلة وعاث في نواحيها وخرّب
بلاد بنى موسى ثم مضى لوجهه الى بنبلونة فدوخها ورجع . كذا فى
تاريخ ابن خلدون نقلاً عن ابن الاثير

عاد المنذر الى جليقية وصرف سنة ٢٦٥ كلها (من سبتمبر سنة ٨٧٨
الى اغسطس سنة ٨٧٩ فى الحدود بين نهر دويرة والجبال ومعه
جيوش ماردة وطليطلة وحاصر مدينة (سمورة) التى كان اخذها اذفونش
فى احدى الغزوات السابقة - كادت المدينة تسقط فى يد المنذر
لولا انه علم بمجيء اذفونش يقود جيشاً كثيفاً لانقاذها فأسرع
يتأهب لمحاربتة

فى هذا الموضع تختلف روايات المؤرخين فى حوادث المنذر واذفونش
والذى يفهم من مجموعها

ان جيشى المنذر واذفونش بقيا على الحدود الى سنة ٢٦٧ يصدّ
كلاهما هجمات الآخر وانه فى شوال هذه السنة (مايو سنة ٨٨١)
زلزلات الارض زلزالاً هائلاً هدم المنازل والقصور الجميلة ودك الجبال
وحطّم الصخور وانشقت الارض وابتلعت قرى وروابي وجذّر البحر
من شاطئ ومدّ من آخر وازدردت المياه الجزر وطغت على الاعالى
وفرّ الناس من المدن الى الصحارى وانسات الطيور من أوكارها الى

السماء وهبت الوحوش مذعورة من أرباضها الى الخلاء.

هذا الزلزال سبقه خسوف القمر في سنة ٢٦٦ او في التي قبلها وكانت هذه الحوادث تؤثر في عقول العامة وتفزعهم وتجعاهم يتطرون من حكومة الامير محمد حتى أن عساكر المندر كانوا يمتنعون من القتال وهذا كان يقشع عن عقولهم سحب هذه الاوهام ويقنعهم بأن الخسوف والزلزال من حوادث الطبيعة التي لا علاقة لها بعمل الانسان وليست خاصة بالمسلمين بل تعم النصراري وتشمل الانسان والحيوان عقب الزلزة كانت مهادنة بين الفريقين ثلاث سنين. يؤخذ من رومى (ان مجيئ اذفونش صرف المندرسنة ٢٦٥ عن حصار (سمورة) وانه وقعت بينهما واقعة في مكان يسمى (پلفر رياريا POLYORARIA) على نهر (أربيكوس URBICUS) وانه عقب هذه الواقعة كانت الهدنة بين المسلمين والنصارى ثلاث سنين وكان الوسطة فيها القائد أبا الوليد وانه عند فراغ الهدنة يوم ٢٢ شوال سنة ٢٦٥ (كذا) (٢٥ مايو سنة ٨٨١) زلزلت الارض زلزالها - وأقول من الحساب يتبين أن مايو سنة ٨٨١ يقابل شوال سنة ٢٦٧ فيظهر أن رقم ٥ في كلام رومى محرف عن ٧ في السنة العربية وبهذا التصحيح يتحد كندى ورومى والتواريخ العربية في ان حادثة الزلزة وقعت سنة ٢٦٧ للهجرة - ويذكر كندى المهادنة بعد الزلزة لا قبلها وانها كانت بناء على رضا الملك محمد وأن الملك اذفونش ارسل سفراء الى قرطبة

يصحبهم فرسان من جيش المنذر لاجل عقد الهدنة

وفي تواريخ ابن الاثير وابن خلدون وابن عذارى ان الامير محمداً
امر في سنة ٢٦٦ بانشاء مراكب في نهر قرطبة ليدخل بها الى البحر
المحيط ويأتى جليقية من ورائها فلما فرغت وكملت برجائها وعدتها
توجه بها الى البحر الرعيطى المعروف بابن مغيث فأصابها الريح
وتقطعت فلم يسلم منها الا القليل

وفي هذا دلالة على انه لم يكن مهادنة في السنة التي تلها سنة
الزلزلة كما يقول رومى

وفي سنة ٢٦٧ ثار عمر بن حفصون بحمص ببشائر من جبال مالقة
فزحف اليه عامر عامل تلك الناحية لكنه انهزم واسلم قبته فاخذها
ابن حفصون وقوى أمره وهو أول روق ضربه فستكن اليه أهل
الشر وعزل الامير عامرا من كورة رية وولاهها عبد العزيز بن عباس
فصالحه عمر فطالب العامل كل من له أثر في مساعدة ابن حفصون
فأهلكه وفيهم من أبعد فاستقام امر الناحية

يؤخذ من تواريخ ابن الاثير وابن خلدون وابن عذارى أن
هذه الثورة أول خلاف عمر بن حفصون الى امارة الاندلس ولم يذكرها
عصيانا لابي حفصون مع ان رومى وكندى ينسبان الى حفصون تارة
والى عمر بن حفصون تارة اخرى ثورات قبل سنة ٢٦٧ في اقليم (رية)
وفي شمال نهر (ابره) - راجع ما سبق في حوادث سنة ٢٤٩ وما بعدها

ويؤخذ من دوزى انه كان يوجد فى دسكرة قرية من حصن (أوت)
(يقال له اليوم زناتة IZNATE) على شمال مائة الشرقى زراع
يسمى حفصاً من سلالة شريفة فان جده الخامس المسمى (اذفوانش)
القوطى كان يلقب ب (الكونت) - قد الجأت تقلبات الدهر جده
حفصاً فى عهد الحكم الى أن يهاجر من (رنده) ويستوطن بالقرب
من الحصن المذكور وأن يظهر الاسلام ويخفى فى قلبه النصرانية
دين اسلافه - جمع حفص ثروة من كسبه واقتصاده وكان جيرانه الاقل
منه غنى يحترمونه وييجلونه حتى كانوا يسمونه حفصون بزيادة واو
ونون على اسمه علامة على تشريفهم اياه ولم يكن ما يكدر صفو عيشه
الا سوء سلوك ابنه عمر حتى ان هذا فى يوم شاجر احد الجيران بدون
سبب معقول ورماه على الارض قتيلاً فاضطر حفصون ان يهاجر بابنه
من الدسكرة خوفاً عليه من القتل ويستوطن جبال رنده فى سفح
جبل (بُبَشْتَر) - أثرت المعيشة بين الجبال والغابات والمضايق غير
المطروقة فى طباع الشاب عمر فدفعه شقاء العيش الى أن صار لصاً
قاطع طريق وأوقعه اعتداؤه بين أيدي الحكومة فجده والى المتناطمة
ولما يئس والده من تثقيفه وأعيتته الحيل فى امره طرده من منزله - ولما
لم يجد عمر ما يعيش به فى اسبانيا جاز البحر قاصداً أفريقيا حتى
وصل (تاهرت) ودخل صانعاً عند خياط يعرفه قليلاً لانه ولد فى
كورة رية - دخل شيخ هرم دكان الخياط وأوحى الى عمر ان يترك

الابرة ويأخذ السيف ويرجع الى بلده فانه سيكون خصما لدودا
للامويين وسيحكم أمة عظيمة . وقع كلام الشيخ الهرم في قواد
الشاب عمر كوحى الهى فرجع فى الحال الى اسبانيا ولم يجرأ على مقابلة
أبيه بل قابل عمه وقص عليه حديث هرم تاهرت فشجعه على أن يشور
ووعده ان يساعده بما يستطيع : جمع اربعين شابا من رستاقه وعرض
عليهم أن يكونوا حزب لابن اخيه ونحت امره فقبلوا جميعا فاسكنهم
عمر معه في جبل بدشتر سنة ٨٨٠ أو سنة ٨٨١ وأخذوا يقطعون
الطريق ويخطفون البهايم ويفرضون ضرائب فادحة على المزارع
المفردة - استفحل أمر عصاة عمر وتفاقم شرها وكانت تهاجم
المدن فهاجمها والى ربة بكل جنوده ولكنه كسر وانهزم وترك
خيمته العظيمة للعصاة فلنسب السلطان هذه الكسرة الى عدم أهلية
الوالى فعزله وولى مكانه غيره فهاذن والى الجديد حامية بدشتر
وبعد سنتين أو ثلاث استنزلها هاشم أول الوزراء من حصنها
وقادها الى قرطبة فلما رأى السلطان فى ابن حفصهون ضابطا شهما
وفى رجاله جنودا أبطالا رغب بهم وعرض عليهم ان ينتظموا فى
جيشه فلم يسمعهم الا القبول

وفى صيف سنة ٨٨٣ لما توجه هاشم لقتل محمد بن لب رئيس
بنى موسى واذفونش ملك ايون رافقه عمر وقام بأعمال استمالته اليه
ودعته الى شكره ولكن لما عاد عمر الى قرطبة اشتكى من ابن غانم

محافظة المدينة فان هذا كان يكره هاشما ولذا أساء معاملة عمر فهرب
ورجاله الى حصنهم المنيع سنة ٨٨٤

لما عقدت الهدنة بين المنذر واذفونش سنة ٢٦٧ خاف ابن
حفصون من أن يهاجمه المنذر فطلب من الفرنك ومن سكان جبال
(البرقات) أن يمدّوه بما استطاعوا من الجنود فاجتمع لديه أقوام
لا يحصون عددا فآخذوا يتدفقون كالسيول من الجبال الى البلاد حتي
بلغوا شواطئ نهر (ابرة) فقابلهم واليا سرقسطة ووشقة عند تطيلة
فانهزما وطلبوا المساعدة من قرطبة فجمع الملك محمد قواه من نرسان
ورجلان ورتب جيشا عظيما جعل في مقدمته ابنه المنذر وفي الميمنة
ابن عبد الرؤوف وفي الميسرة ابن رستم وفي الساقة ابنه أبازيد والى
شدونة وجعل نفسه في القاب^(١) ولما اكتملت معدات القتال جد
هذا الخميس في المسير نحو الاعداء وهؤلاء لما رأوا تلك القوة الكبيرة
قد اقتربت منهم فزعوا وتقهقروا مسرعين الى حصونهم ولكن
حمية المسلمين سهلت لهم اقتحام الجبال فكانت لديهم كالسهول في
المسير فاقتفوا آثار أعدائهم عاقدين النية على القتال مهما كانت
الصعوبات . ففي صباح يوم اكتشف المنذر معسكر الفرنك على
مقربة منه وهؤلاء وجدوا ان لاسبيل الى النجاة ولا مناص من
العراك فالتقى الجمعان واقتتلا قتال الهاالكين وحفظ كلاهما مركزه

معظم اليوم لكن امكن جيش قوطبة ان يهزم جيش النصارى وقد
قتل ملكهم غرسية^(١) وفرسانه وجرح عمر بن حفصون جروحا
بليغة وغطت اشلاء قتلاهم الدامية ساحة الوغى وكانت هذه المعركة
في صيف سنة ٢٦٩ وتعرف بمعركة (ايبار Aybar) لانها كانت
في واد يعرف بذلك على بعض فراسخ من بلبونة . بقي الامير المنذر
على الحدود الى فصل الشتاء وعاد الملك محمد الى قرطبه وكان يوم
دخوله فيها يوم عيد عند الالهين كذا يؤخذ من كندى ورومي .

لم تكن واقعة (ايبار) حاسمة الخلاف في اسبانيا الشرقية
فان ابن حفصون وان انسحب من المعركة الى طود الجنوب مصابا
بجروح بليغة تؤدي الى هلاكه^(٢) لكن حزبه مازال باقيا وبنى
موسى يحكمون على شواطئ نهر (ابرة) فاسماعيل بن موسى في
سرقسطة وأخوه فرتون بن موسى في تطيلة وكانا صديقين لاذفونش
ملك استوريا . لهذا بقي المنذر في الحدود يتعقب العصاة ويحمد
نيران ثوراتهم فحاصر سرقسطه وتطيلة وصالح حفيد موسى المسمى
محمد بن اب بن موسى وكان هذا على غير وفاق مع عمه اسماعيل
وفرتون وبهذه المصالحة تمكن المنذر من أن يهاجم بلاد استوريا من
جنوبها الشرقي فان ابن اب ساعده بالخييل والرجال وقد عاد الجيش

(١) ابن بنت موسى وكان قتله في السنة الثانية من ملكه

(٢) قيل انه مات في سنة ٨٨٣ لكن سيأتي ان عمر بن حفصون بموت في عهد اناصر

الاسلامي الى قرطبة في سبتمبر وكان قد غادرها في مارث سنة ٨٨٢
كذا يفهم من رومي^(١)

ويؤخذ من ابن الاثير وابن خلدون وابن عذاري ان الأمير
محمد بعث ابنه المنذر سنة ٢٦٨ لقتال أهل الخلاف فقصد سرقسطة
وحاصرها وعاث في نواحيها وفتح حصن روطة وأخذ منه عبد الواحد
الروطي وكان أشجع أهل زمانه ثم تقدم الى دير بروج^(٢) وفيه محمد
ابن لب بن موسى وقصد مدينة لاردة وقرطاجنة وكان فيها اسماعيل
ابن موسى فخار به فاذعن اسماعيل بالطاعة وأعطى رهاثته ثم تقدم الى
آلبه والقلع وفتح حصونا ورجع

هذه الغزوة هي التي كان فيها واقعة (ايبار) لكن يظهر أنها
بدئت سنة ٢٦٨ وانتهت في سنة ٣٠٩ للهجرة وكانت كلها في سنة
٨٨٢ للميلاد ولا يخفى ما في الروايتين الافرنجية والعربية من المغايرة
فالاولى تذكر أن محمد سار بنفسه في هذه الغزوة وان اسماعيل بن
موسى كان في سرقسطة وأخاه فرتون بن موسى في تطيلة وان المنذر

(١) ولم يعين رومي مدينة ابن لب السكنه قال عند افتتاحه سرقسطه أخذ عمه اسماعيل
ابن موسى وابن عمه اسماعيل بن فرتون أسيرين في مركة في موضع حبي على خمسة
أميال من المدينة وقادها الى حصن (بكاريا Beccaria) المختص به وانظر أن
هذا الحصن

(٢) كذا في ابن خلدون بالباء الموحدة وفي ابن الاثير بالتاء لثلاثة فوق واصل
الاولى قصد (بروج) على شمال نهر (ارة) والثاني (ترجوة) على البحر المتوسط فحرر

حاصرها بدون كبير جدوى — ولا تُعَيَّن مدينة ابن لب
والثانية تذكر أن محمداً سيرا بنه المنذر فيها وان اسماعيل كان
في قرطاجنة وأنه أذعن بالطاعة للمنذر وأعطاه رهاثته وان ابن لب كان
في دير (تروجة) أو (بروجة)^(١)

والذي يستخلص من الروايتين مع مراعاة وضع البلاد الجغرافي
ان المنذر سار في سنة ٨٨٢ الى الثغر الاعلى لاختضاع أهل الخلاف
فأخضع بنى موسى على شواطىء نهر (ابرة) ثم حارب النصارى
وكسرهم بعد أن قتل ملكهم (غرسية) ابن بنت موسى وجرح عمر
ابن حفصون ثم هاجم بلاد استوريا من هذه الجهة وقد ساعده
حليفه محمد بن لب بن موسى بخيله ورجله . ثم عاد الى قرطبة في
سبتمبر سنة ٨٨٢

و يؤخذ من روى أن ابن لب بعد أن فتح سرقسطة وتطيلة
في شتاء سنة ٨٨٢ وأخذها من عمته رأى نفسه أميراً على امارة عظيمة
على نهر (ابرة) الأعلى فحدثته نفسه بالاستقلال فجاهر بعصيان قرطبة
وبذلك عادى ملك استوريا وملك قرطبة معا فبالأول أمر بعض
قاداته أن يقاتلوه فكان بينه وبينهم وقعت اذته الى طلب الصالح

(١) تروجة أو برجة — انظر الهامش السابق والرواية الآتية عن غالب
ابن حفصون والظاهر ان كلمة (قرطاجنة) مقحمة فانها ليست من الثغر الاقصى الذي
كانت فيه الغزوة بل هي في الشرق نحو الجنوب كما يرى ذلك في المصور (الخريطة)
وأن ابن الاثير يقصد أن اسماعيل كان في لاردة

من اذفونش — وفي ربيع ٨٨٣ حاصر جيش المنذر وابى الوليد
سرقسطه ففتحها بعد يومين وعاث فيها وفي ضواحيها وفي جميع بلاد
بنى غازي أي بنى موسى بن زياد ثم جاس خلال استوريا حتى دخل
حدود (ليون Léon) في شهر أغسطس سنة ٨٨٣ وفعل في البلاد
ما فعله في المرة السابقة ولكنه اضطر أخيرا الي مغادرتها راجعا الي
(قسيلية Castille) وهناك بقي القائد أبو الوليد يخبر ملك استوريا
في الصلح حتى أن هذا أرسل في شهر سبتمبر سنة ٨٨٣ الي ملك
قرطبة رسولا اسمه (دلقديوس Duleidius) وكان قسّ كنيسة
طليطلة ليخبره في شروط الصلح ويظهر انه ماتم الاتفاق عليها الا
في ديسمبر هذه السنة وان من هذه الشروط ان يكون الفاصل بين
المملكتين نهر دورو وبهذا دخلت المدن التي على شماله ومنها مدينة
(سبورة) في مملكة استوريا وقد استمر الصلح بين الامتين زمنا فلم
يقع بينهما حرب في المدة الباقية من حكم محمد وهي نحو سنتين ونصف
ولا في مدة حكم ابنه المنذر وعبد الله وقد حكم الاول نحو سنتين
والثاني الي سنة ٩١٢

وفي سنة ٢٧٠ (٨٨٣) أي السنة التي تم فيها الصلح دعا الملك
محمد أمراء أسرته ووزراءه وبطانته وولاة الاقاليم الي قرطبة
وأعلن في مجلسهم ولاية العهد لابنه المنذر وانه هو الذي يحمل تاج
الملك بعد وفاته وقد حلفوا له جميعا يمين الطاعة

بروي ان عمر بن حفصون مات من جروحه في سنة ٨٨٣
فجدد ابنه غالب Calib عهد أبيه مع سكان جبال الفرنك وقد حرّكهم
حبّ الانتقام الى الأخذ بالثار فنزلوا معه من الجبال التي خلف
(جاقّة) حيث كانت أمتع حصن لابن حفصون الى أرض
(برجة Borja) وهناك شنّوا الغارة على شاطي نهر ابرة منادين بأن
غالب بن حفصون هو ملك هذه البلاد . لما بلغ قرطبة نبأ هذا
العاصي وأتباعه أمر الأمير المنذر الوليد بن عبد الحميد بجمع فرسان
طليطلة وقادهم الى مثار العصيان متخذاً طريق (بلنسية) لان لهيب
الثورة امتد على طول شاطي نهر ابرة كله . لما علم العصاة بمجيء
الامير لجؤوا الى جبالهم . عسكر الامير في طرطوشة وجعلها مركز
أعماله الحربية وسير ابن عبد الحميد ليدافع عن التخوم ويراقب
حركات الثائرين فقاتلهم اثناء هذه السنة والسنة التالية ٢٧١
(٨٨٤ — ٨٨٥) وفاز عليهم واسترد منهم الحصون التي على نهر
شيقر ونهر (سنقه) والتي على الانهار المتجهة نحو نهر ابرة لكنه في
آخر سنة ٤٧٣ (مايو أو يونيه سنة ٨٨٦) اثناء ما كان يقتفي أثر عصابات
مهمزومة من نصارى الفرنك لم يأخذ الحيلة فوقع في كمين وأصبح
جيش المسلمين محصوراً في وادضيق عند حصن (شيرس Xeriz)^(١)

(١) قال ياقوت شيرس حصن حصين ومقل مكنين من أعمال ناكرونا لكن
سياق الكلام يدل على أن هذا الحصن في الشمال فحذر

وقد جرح القائد ووقع هو وكثير من رجاله أسرى في أيدي
العدو والباقيون من الجيش انهزموا والتجأوا الى المدن المجاورة
لما بلغ المندر نبأ هذه الواقعة حزن كثيرا وأرسل رسلا يفدون
ابن عبد الحميد ففدوه بمال كثير كذا يؤخذ من كندى ورومى
في التواريخ العربية السابقة ان عمر بن حفصون لم يمت الا في
سنة ٣٠٦ في عهد عبد الرحمن الناصر ولم يذكر فيها ابنه غالب ولا
الوليد بن عبد الحميد وأسرهم عند حصن شيرس ويؤخذ منها ان هاشم
ابن عبد العزيز غزا سنة ٢٧٠ كورة (رية) واستنزل عمر بن حفصون
من جبل (ببشتر)^(١) وقدم به الى قرطبة فأكراه الامام وأن
هاشم بن عبد العزيز سار سنة ٢٧١ الى سرقسطة وفيها محمد بن لب
ابن موسى فملكها وأخرج منها محمدا فصالحه وأطاع وكان في عسكره
عمر بن حفصون فلما عادوا الى قرطبة هرب عمر وقصده ببشتر مخالفا
وفي سنة ٢٧٢ سار هاشم الى ابن مروان الجليقي وحاصره
بحصن منت مواس^(٢) ثم رجع عنه فاغار ابن مروان على اشبيلية ثم
نزل منت شلوط أو سليط Salud فامتنع فيه وصالح عليه الأمير

(١) قال ياقوت ببشتر حصن منفرد بالامتناع من أعمال (رية) بالاندلس
بينه وبين قرطبة ثلاثون فرسخا وربما اشبعوا الباء الثانية فقالوا ببشتر

(٢) قال ياقوت (مولس) بالسين المهملة في آخره حصن من إقليم من أعمال
طليطلة وفي ابن خلدون مولن بالنون في آخره ويظهر انه محرف عن مواس

واستقام علي طاعته الى أن مات ^(١) وفي يونيو سنة ٨٨٦ سار المنذر
ليهاجم صاحب الحامة فانه كان قد حالف ابن حفصون فاسرع هذا
الى مساعدة حليفه فحصرهما المنذر في الحامة مدة شهرين الى ان
كادت تنفذ أقوات المدينة فعزم المحصورون على الخروج من المدينة
واقترحوا جيش قرطبة فنالت عمر جراح وشلت يده وبعد أن فقد
كثيرا من رجاله التجأ الى حصنه . بينما المنذر . مسرورا بانتصاره اذ
جاءه نبا وفاة والده ليلة الخميس الثامن والعشرين من صفر سنة
٢٧٣ ^(٢) (٤ أغسطس سنة ٨٨٦) ^(٣) لمحو خمس وثلاثين سنة
من امارته فاسرع المنذر في العودة الى قرطبة . قال ابن عذاري كان
الأمير محمد فصيحاً بليغاً عظيم الأناة يؤثر الحق وأهله لا يسمع من
ياغ ولا يلتفت الى قول زائع وكان عاقلاً على أخلاق جميلة ومكارم
حميدة وذا بديهة وروية وكان أعلم الناس بالحساب وفيما لمواليه في
أنفسهم وفي أعقابهم لا يكدر عنده كادح في شيء عن أحدهم فيسمع
أو يسمعه وكان محبوباً في جميع البلدان وكان محمد بن أفلح صاحب
تاهرت لا يقدم ولا يؤخر في أموره ومعضلاته الا عن رأيه وأمره
وكذلك بنو مدرار بسجلماسة وكان فرداند ملك افرنجية يسترجع
عقله فيهاديه

(١) ابن خلدون (٢) صدر هذه السنة ٢٩ يوما فقط (٣) يقول ابن
عذاري أنه كان مع المنذر في هذه الغزاة القائد محمد بن جهوروان صاحب الحامة
هو حارث بن حمدون من بني رفاعة

☆ (٦ - المنذر بن محمد) ☆

٢٧٣ — ٢٧٥ هـ

ولى اماره الاندلس بعد وفاة أبيه محمد وكان ابن أربع وأربعين سنة فقد ولدته أمه (أيل) ^(١) سنة ٢٢٩ للهجرة (٨٤٤ للميلاد) وبايعوه يوم الأحد لليلتين ^(٢) خلافا من ربيع الاول سنة ٢٧٣ (٧ أغسطس سنة ٨٨٦) وكنوه بأبي الحكم ولم تطل مدته بل أقام في الملك نحو سنين فيهما قتل وزير أبيه هاشم بن عبد العزيز في شوال سنة ٢٧٣ وقاتل ابن حفصون وأشياعه ومات وهو محاصره في صفر سنة ٢٧٥ وقد اختلف المؤرخون في حوادث المنذر فمنهم من قال ان قتاله لابن حفصون وأشياعه كان في الجنوب وان هذا خدعه وأخذ منه مائة بغل في أول حصاره لقلعته وان المنذر مات اثناء حصاره الاخير لهذه القاعة وهي حصن بيشتر ومنهم من قال ان القتال كان في الشمال وأن ابن حفصون خدع هاشما وهو يحاصره في طليطلة وأخذ منه البغال وان المنذر قتل وهو يقاتل أحزاب ابن حفصون في قلاعهم على شواطئ نهر التاجرة وأخوه عبد الله يحاصر طليطلة

(١) كذا ذكر ابن عذارى اسم امه وأيل كسيد الوعل أو الأروى ج أيايل

(٢) قال ابن الاثير بويع له بعد موت أبيه بثلاث ليال اه أى ليلة الجمعة من

صفر وليبقى السبت والاحد من ربيع الاول

والتفصيل هذا الاجمال نستخلص من كلام المؤرخين ما يأتي :
قال ابن خلدون ولي بعد محمد ابنه المنذر فقتل لاول ولايته
هاشم بن عبد العزيز وزير أبيه وسار في العساكر لحصار بن
حفصون فحاصره بمحصن بُدَشْتَر سنة أربع وسبعين وافتتح جميع قلاع
وحصونه وكان منها رية وهي مالقة وقبض على واليها من قبله عيشون
فقتله وناشد الحصار على ابن حفصون سأل الصليح فاجابه وأفرج
عنه فنكث فرجع لحصاره وصالح ثم نكث مرتين فاقام المنذر على
حصاره وهلك سنة ٢٧٥ استقن من امارته فولى مكانه أخوه عبد الله
وقفل بالامساك الى قرطبة وقد اضطربت نواحي الاندلس باشوار
قتل الخراج لامتناع أهل النواحي من الاداء وكان خراج الاندلس
قبله ثلثمائة الف دينار مائة الف منها للمجيوش ومائة الف للنفقة في
النواشب وما يعرض ومائة الف ذخيرة ووفرا فانفقوا الوفرا في تلك
السنين

ويؤخذ من ابن عذاري ان أهل قرطبة كانوا يسمون في هاشم
لدى المنذر ويؤولون كلامه للايقاع به حتى انه لما أنشد عند موادة
الامير محمد

أعزّي يا محمد عنك نفسي أمين الله ذا المن الجسام
فهل مات قوم لم يموتوا ودفع عنك لي كأس الخمام
نأوتوا أنه يريد بقوله « قوم لم يموتوا » المنذر وما زلت تدب

بينهما عقارب السعاية حتى أمر المنذر بسجن هاشم وكتب هذا الى جاريته وهو في السجن

وانى عدانى أن أزورك مُطبق
فان تسجى يا عاج مما أصابنى
ترك رشاد الامر اذ كنت قادرا
وكم قائل قال انج ويحك سالما
فقلت له ان الفرر مذلة
سأرضى بحكم الله فيما ينوبنى
فمن يك أمسى شامتا بى فانه
ثم بعث فيه الامير ليلا فقتله ونهب ماله وسجن اولاده وألزمهم

غرم مائتي الف دينار فلم يزالوا في السجن والغرم الى موت المنذر
وولاية أخيه عبد الله فاطلقهم ورد اليهم ضياعهم

وفي سنة ٢٧٣ كانت الواقعة على أهل طليطلة وكانوا قد جيشوا
البربر المنفيين من ترجيلة فقتل منهم ألوف

وفي سنة ٢٧٤ خرج الامير المنذر بجيوشه الى عمر بن حنصون
فافتح حصونه بريّة وحاصر أَرْجُندونة الى أن نبذوا
طاعة رئيسهم عيشون واسلموه الى الامير المنذر فدخلها وافتتح حصون
بنى مطروح بجبل باغه وأسر منهم اثنين وعشرين رجلا وأرسل
الاسرى الى قرطبة فصلبوا جميعا وصاب مع عيشون في الخشبة خنزير

وكاب لانه كان يقول اذا ظفر بي فليصابني وليصاب عن يميني خنزيرا
وعن يساري كبا ثم حاصر المنذر ابن حفصون وأخذ بمخنقه وسد
افواه طرقة فأعمل الفكر في الخديعة والمكر وأظهر الانابة الى طاعة
الامير على أن يكون عنده من خاصّة جنده وقطّان قرطبة بأهله وولده
وان يلحق ابناؤه بمواليه فأجابه الامير الى ما طلب فسأله
مائة بزل يجعل عليها جملة متاعه وعياله فأمر الامير أن تقاد اليه البغال
ومعها عشرة عرفاء ومائة وخمسون فارسا اكراما فأرسلها ابن حفصون
الى بيشتر السكن لما انفضّ جمع ذلك المعسكر ودخل الليل هرب عمر
ابن حفصون الى قلعة فلقى العرفاء فناصرهم القتال وأخذ منهم البغال
وعاد الى سببرته الاولى فاقسم الامير المنذر أن يقصده ويحلّ عليه
ولا يقبل منه أو يلقي بيده اليه فجمع جنوده واحرق بقاعة بيشتر
ثلاثة وأربعين يوما حتى يئس ابن حفصون السكن أصابت المنذر
علة اكذبت نفسه وكذرت أنسه فبعث الى أخيه عبد الله لينوب
منابه فلما حصره أسلم روحه الي بارتّه وعاد عبده الله بالاعساكر الى
قرطبة ومعهم جمل بحمل المنذر فدفن مع أجداده وكانت وفاته
منتصف شهر صفر من سنة ٢٧٥ وهو ابن ست وأربعين سنة وملك
نحو سنتين

و يؤخذ من دوزي مائريه مع تصرف أن المنذر بعد أن عاد
من الحامة الى قرطبة لوفاة أبيه محمد اغتتم عمر بن حفصون من هذه

الحديثة توسيع سلطانه فدعا أصحاب الحصون (التي بينه وبين الساحل) الى أن يتبعوه فأطاعوه ورضوا به جميعا أن يكون ملكا عليهم ومن ذلك الحين صار الملك الحقيقي للجنوب ومع هذا وجد في السلطان التواعد على كرسى الملك قرنا شهما يحول بينه وبين ما يشتهي يقول عنه الامويون لو عاش سنة زائدة لاضطر عصاة الجنوب الى القاء السلاح فتدقارمت جنوده العصاة مقاومة شديدة حتى أن أقام قبرة وإليرة وجيان صارت ميادين حروب دامية يتعاقب فيها النصر والخذلان ففي ربيع سنة ٨٨٨ للميلاد سار المنذر بنفسه نحو الثأرين واستولى على بعض الحصون وعاث في ضواحي بيشتر وحاصر أرشدونة ^(١) وفيها عيشون وكان شديد البأس يثق بشجاعته في القتال لا يقوى أحد على منزاله حتي كان يقول اذا ظفر بي السلطان فليصلبني وليصاب على يميني خنزيرا وعلى يساري كلبا — فانه ان السلطان عنده وسيلة للقبض عليه أقوى من قوة السلاح فقد دس اليه بعض أهل المدينة بأن يحنالوا في أخذه فوعده بان يسلموه اليه حيثافي يوم دخل عيشون مسكن أحدهم وهو أعزل فكباوه بالخشديد وسلموه الي السلطان فصلبه بالطريقة التي رسمها لنفسه وبعدئذ سلمت أرشدونة ثم ظفر السلطان ببني مطروح

(١) وفي ابن عذارى أرجذونة قال ياقوت أرشدونة مدينة بالاندراس مدونة في اعمال ربة قبلى قرطبة بينهما عشرون فرسخا وقال أرجذونة مدينة بالاندراس قال ابن حوقل ربة كورة عظيمة مدينتها أرجذونة فيها كان عمرو بن حفصون الخارج على بني أمية اه فكلها مدينتان أو مدينة واحدة تسمى أرجذونة أو أرشدونة

الثلاثة وفتح حصونهم بجبل باغة وأسر معهم تسعة عشر من عمالهم
وصلب الاثنين والعشرين في قرطبة وبعد ذلك حاصر ببشتر حتى
ضاق ابن حفصون ذرعا من الحصار ولم يجد وسيلة إلى الخلاص إلا
الخداع فعرض الصالح على المنذر قائلا له أسكن قرطبة أنا وأهلي
وأكون أحد قواد جيشك وأبنائي مواليك . غرّ المنذر هذا الكلام
وأحضر من قرطبة القاضي والعماء ليحرروا عقد الصالح كما عرض ابن
حفصون ففعلوا — وبعدئذ حضر ابن حفصون إلى السلطان والخمس
منه أن يبعث إلى ببشتر بمائة بغل ليحمل عليها أثقاله إلى قرطبة فأرسل
إلى قلعته ما طلب ومائة وخمسين فارسا وعشرة حراس من الضباط
ورحل الجيش المحاصر إلى قرطبة لكن ابن حفصون ترقب جنان
الظلام وغفلة الحراس وفرّ إلى حصنه وتبعه جنده وهجم على
الحراس وانتزع البغال منهم — كاد المنذر يتميز من الغيظ من فعلة
ابن حفصون فاقسم أن يعود إلى حصار قلعه وياخذ بخناقه ولكن
حال الموت دون أن يبرّ بقسمه فقد اختطفته يد المنون أثناء الحصار
في ٢٩ يونيو سنة ٨٨٨ (منتصف صفر سنة ٢٧٥)

ويؤخذ من رومي وكندي ما تعرييه مع تصرف أن المنذر لما
جاء من المريّة إلى قرطبة لأخذ البيعة دخل بملايس السفر في البهو
المعد للاحتفال بجماعة أبيه فقام الحاجب هاشم بن عبد العزيز وأخذ
يقرأ كتاب تولية المنذر كالعادة حتى وصل إلى ذكر محمد فحزن عليه

وفاضت عبراته وعلا نحيبه وعقد لسانه وكاد الحضور لا يسمعون صوته حتي اضطروه الى اعادة ماقرأ وقد نظر المنذر الى ذلك بعين الغضب والسخط ولما جيء بالنعش الى القبر هلع هاشم هلما غير مألوف حتى خلع ردائه ونزع عمامته وصاح يندب محمدا قائلا « واحمداه ليتني كنت معك فاني سأسقى كأس الحمام من أجلاك » فأحفظ هذا الأمير الجديد ومع ذلك بقي هاشم في حجابته ولكنه يئس من سعادة مستقبله

في هذه الاثناء استولى غالب بن حفصون على اسبانيا الشرقية وآلت اليه سرقسطة وشقة وبواسطة الجباليين امتدت سلطته على جميع الارضين التي يسقيها نهر (ابرة) من الشاطئين ماعدا طرطوشة وعندئذ جمع عشرة آلاف فارس فوق ماعنده من المشاة وسار بهم الى طليطلة حتي دخلها وقد ساعده نصاراها ونادوا به ملكا عليهم ثم ملك قلاع نهر التاجه وأقام حراسا عليها يهددون سلطان الأمير فارس المنذر جيشا تحت امره هاشم (الذي يكرهه باطنا من جرائم ما ذكرناه سابقا) فامر ع الخطى حتي بلغ تخوم طليطلة وحاصرها بشدة

رأى غالب أنه لا يقوى على الجيش المحاصر فطالب مددا من حلفائه ولاجل ان يوجد زمنا كافيا لمجيء المدد اليه عهد الى الخديعة فعرض على هاشم الصالح بأنه يسلمه المدينة وينسحب الى أسبانيا الشرقية غير انه يحتاج الى بغال ليحمل عليها جرحاه واقواته التي في

مخازن طليطلة وأنه ماجأها الا مخدوعا من نصاراها وأشرار مسلميها
فاعتقد هاشم صدق هذا القول وتوسط لدى المنذر في أن يمنح ابن
حفصون ما طلب ناظرا الى أن في هذا الاتفاق حسم حرب أهلية
دموية طويلة مرتاب في عاقبتها — فرد عليه ^(١) الملك يحذره خداع
الغلب الماكر غالب بن حفصون — ومع هذا التحذير لازال هاشم
ظاناً صدق غالب فكتب الى الملك ينبئه أن ليس في الأمر كبير خطر
وأن الثأرا إذا أخذ البغال وحملها وأبي تسليم المدينة حاربناه وإذا
سلمها أمنا شر حرب خسائرها فادحة وان كتب لنا النصر —
وبعدئذ أعطى هاشم غالبا دوابّ الحمل التي طلبها فاخرج قسما عظيما
من جيشه من طليطلة وأخفى باقي الجيش فيها — وحمل البغال بالجرحي
والدخائر موهما أنه وأتباعه تاركون المدينة حسب الاتفاق وقد
احتلها في الحال بعض جنود الاندلس تحت امرة وال مخلص
للأمويين — حينئذ عاد هاشم وجيشه الى قرطبة وهنا الأمير بماتم
وما درى ان هذا ما كان الا خداعا من ابن حفصون فانه بمجرد
ما علم برحيل عساكر قرطبة وبقرب مجيء النجدة من حلفائه الجبليين
أشعل نار الحرب وتمكن من دخول طليطلة بواسطة أهلها وجنوده
المتحبيين وآل الأمر الى أن استولى بسهولة على القلاع التي على شاطئ
نهر التاجة الايسر وبذلك امتدت سلطته على اسبانيا الوسطى

(١) من كلام كندی وهو يعبر عن امرأ بن أمية في الاندلس بالملوك

(١٤ - تاريخ العرب في اسبانيا)

جاءت الرسائل تنبيء الملك بحركات ابن حفصون هذه فآخذها هاشم من حاملها وكان خارجا من منزله مع ابنه عمر وفضها وقرأها لما علم المنذر بالأمر امتلا غضبا وسخطا على هاشم وأرسل اليه كوكبة من الخيل تجي به فدخل رسول اليه في قصره ورأى أناسا قد اقتربوا منه للسلام عليه فمنعهم قائلا لهم « أنتم مخططون ليس هذا الشخص الجدير بالاحترام » أدرك هاشم الأمر المرسل اليه من الملك فلم يفه بينت شفة بل أركب حصانا صعب القياد سريع الخطى وسارت الكوكبة حتى بلغت باب المدينة فجعل الحصان وأقي بصاحبه على الارض مغشيا عليه زمنا ولما حضر مجلس المنذر صاح فيه قائلا « أنت الذي أشرت على بهذه المارقة أنت الذي ساعدت العاصي على خيانتة لا بد من قتلك اليوم حتى تكون عبرة لغيرك » وقطع رأسه في ساحة القصر في ٢٦ شوال سنة ٤٧٣ (٢٥ مارث سنة ٨٨٧) وقيل حبسه أياما قبل قتله وعزل ولديه عمر وأحمد من ولايتي جيان وأبدة^(١) Ubéda وسجنهما وصادرهما في مالهما

وعقب ذلك أمر قواد الاندلس وماردة بجمع الرايات والالحاق به نحو طليطلة - وفي اليوم الثاني توجه مع جنود حرسه وأخيه عبد الله. علم أحزاب ابن حفصون بتوجه المنذر اليهم فلم يجرأوا على مقابله بل بقي بعضهم في طليطلة وبعضهم في قلاع اقليمها فكلف الأمير

(١) قال ياقوت ابدة بالفهم ثم الفتح والتشديد مدينة بالاندلس من كورة جيان.

أخاه عبد الله بحصار المدينة وأخذ هو يتعقب العصاة ومساعدتهم
وقاتلهم حتى تمكن من طرد بعضهم من القلاع التي كانوا يحتلونها
على نهر التاجا وأحرق بعض القرى التي تحصن فيها النصاري واستمر
القتال أكثر من سنة حتى دخلت سنة ٢٧٥ فكان المنذر يجتهد
في إيجاد معركة تكون حاسمة يئد أن ابن حفصون كان يتجنب
بمخدق مقابلة جنود الأندلس . ففي يوم اكتشف المنذر وهو في
عدد قليل من الفرسان جيشا كثيفا من العصاة معسكرا على
رربة قريبة من حصن وبدي^(١) Webda فدفعته شجاعته وحميته
أن يلقي بنفسه وفتته القليلة بين أعدائه الكثيرين غير مبال بكثرة
عددهم ولا منعة موقعهم فتقهقروا أولا ثم ارتدوا وأحدقوا بفرسان
الأندلس فقاتلوا بشجاعة فائقة حتى قتل كثير منهم وأصيب المنذر
بعدة رماح فسقط صريعا في ميدان القتال وذاع الخبر بان الأُمير
قتل فظنّ جيش غالب أن المقتول قائدهم ففروا من ساحة الوغى
ولم يمكن بقية جيش قرطبة أن تتبعهم اقلّة العدد ودخول الليل
وكان موت المنذر في صفر سنة ٢٧٥ (يوليوسنة ٨٨٨) لنحو
سنتين من حكمه

لما علم عبد الله بموت أخيه رجع الى قرطبة حيث تمت له البيعة

(١) قال ياقوت وبدي مدينة بالأندلس قرب طليطلة

﴿ ٧ — عبد الله بن محمد ﴾

من سنة ٢٧٥ الى سنة ٣٠٠ للهجرة

ولى عبد الله بن محمد اماره الاندلس وعمره نحو ٤٥^(١) سنة فقد ولدته أمه^(٢) سنة ٢٣٠^(٣) وبويع يوم السبت منتصف شهر صفر سنة ٢٧٥^(٤) وكان يوم وفاة أخيه المنذر عند حصار بيشتر أو طليطلة كما تبين قبل صعد على كرسى الامارة ودعائها تكاد أن تنقض فقد كثر في أنحائها قيام الثوار وتغلبوا على الكور والمدن وامتنعوا من أداء الخراج^(٥) لكن انقطع قتال الفرنج والجلالة ولولا ذلك لساءت العقبى وتقلص ظل مملكة الامويين في أسبانيا

من الاطلاع على مقاله المؤرخون في حياة الامير عبد الله نرى أن ليس في أقوالها تطابق بل اختلاف كثير يدل على تناقض

(١) يقول ابن الاثير انه بويع وعمره ٤٢

(٢) يقول ابن الاثير انها أم ولد واسمها عشار ويقول ابن عذارى أن أمه

كانت تسمى بهار أو عشار ويكتب كندى اسم الام Athara

(٣) كذا في كندى ويقول رومى أنه ولد سنة ٢٣٨ ويقول ابن عذارى أنه ولد

في نصف ربيع الآخر سنة ٢٢٩ ويخطئ رومى كندى في أن الولادة كانت سنة

٢٥٠ مع أن الذى قاله كندى سنة ٢٣٠ كما ذكرنا (٤) قال ابن خلدون كان خراج

الاندلس قبله ثلثمائة ألف دينار مائة ألف منها للجيوش ومائة ألف للنفقة والذوايب

وما يمرض ومائة ألف ذخيرة ووفرنا فأنفقوا الوفر في تلك السنين

الحوادث وزيادة بعضها في موضع ونقصها في آخر وذلك لا يؤدي
الى الحقيقة الا على وجه مجمل فيؤخذ من كندى وروى
١ — ان عبد الله في مبدأ حكمه غزا ابن حفصون في كورة طليطالة
على نهر التاجية

٢ — وان له ولدين محمدا وعبد الرحمن المظفر وان الاول كان
والى اشبيلية وعصى اياه والثاني جاءه ليرده عن عصيانه فاني فخاربه
وأسره وأكرمه وعنى بجروحه وحبسه في قلعة في اشبيلية وأن محمدا
مات في محبسه من الجروح ولم يمّت مسموما
٣ — وأن عبد الله غزا سوارا وأسره في كورة البيرة وقطع
رأسه وأرسله الى قرطبة

ويؤخذ من ابن خلدون وابن عذارى ودوزى ما يخالف ذلك
فلم يجي فيها غزو طليطالة في مبدأ حكم عبد الله بل جاء فيها غزوة
(بلى) وان ولدى عبد الله هما محمد والمطرف (لا المظفر) وأن
الاول ذهب مغاضبا من قرطبة الى ابن حفصون فاسترضاه والده
فعاد الى قرطبة وحبس في القصر حتى قتله أخوه وان الذي قتل
سوارا هو جعد وحجى بالجثة الى مدينة البيرة فقطعت
هذا بعض ما اختلفوا فيه ولييان ذلك مفصلا نقول يستخلص من
كندى وروى ما يأتي

بعد موت المنذر أمر أخوه عبد الله الذي كان يتولى حصار

طليطلة قواده ان يستمرّوا على الحصار وتوجّه الى قرطبة ومعه كوكبة من الفرسان المخلصين له فبلغها في الوقت الذي اجتمع فيه مجلس الشوري إثر ورود النبأ بموت أخيه المنذر لينظر في الأمر فحضر عبد الله المجلس فقام أعضاؤه لمنظره وأعلنوا امارته وحلفوا له يمين الطاعة فأول عمل بدأ به أن أمر بنقل جثة أخيه الى قرطبة وإقامة الشعائر اللائقة بمجنازته وكفّ أخاه يعقوب بآتمام ذلك

كان عبد الله جميل الصورة أزرق العينين معتدل القامة فطنا ذا علم وشجاعة

في أول يوم من حكمه أطلق سراح ابني هاشم بن عبد العزيز وسراح معلمهما جابر بن غيث اللبلي وكان من مشاهير علماء ذلك العصر وردّ اليهم أموالهم - جذبت هذه المكارم أهل قرطبة الى محبته فان ابني هاشم كانا محبوبين كثيرا عندهم وفوق ذلك ولي الأمير عبد الله عمر بن هاشم ولاية جيان التي كانت مع أبيه وأقام أحمد ابن هاشم رئيس حرسه - هذه المكارم وان أرضت أهل قرطبة لكنّها أغضبت أسرة الأمير ولا سيما ابنه محمد والى اشبيلية وقد أدّى ذلك الى ثورة شغلت الأمير عن الاستمرار في قتال ابن حفصون وإلى ان ابنه محمدا وأخويه الأصمغ والقاسم والي شريش وشذونة شقوا عصا الطاعة في جنوب الاندلس وانضم اليهم ولاية وقواد آخرون وثاروا على والي جيان عمر بن هاشم الذي استولى

على كورسى الولاية منذ أيام

صار الأمير عبد الله مهدداً من ابنه من جهة ومن ابن حفصون من أخرى فكان واقفاً بين نارين فقسم قواه الى قسمين أرسل قسماً الى اشبيلية تحت امره ابنه الطائع عبد الرحمن المظفر كي يرد أخاه عن غيبته وتوجه الأمير نفسه بالقسم الآخر الى طليطلة لكن في هذه الاثناء جاءه نبأ ثورتين احدهما من والى اشبونة والاخرى من قاضى ماردة فالأول قام على الولاية المحافظين على نهر دوزيرة فأمر الأمير عبد الله وزيره أبا عثمان عبيد الله بن أبي عبدة معلم ابنه المظفر أن يأخذ القوة البحرية المجهزة في ولبة واكشونية^(١) وينقض بها على والى الثائر - والثانى سليمان بن أنس بن الباجية أثار أهل ماردة على واليها حتى طردوه واستقل هو بولايتها فعرج الأمير (اثناء توجهه الى حصار طليطلة) على ماردة ودخلها فجأة بجيوشه الجرارة فتضرع اليه القاضي الثائر ملتمساً العفو فعفا عنه لشبابه واستعداده وصفح عن شركائه أيضاً ثم عاد الأمير الى متابعة سيره نحو طليطلة التي كانت في يد ابن حفصون حتى فاجأه في سهل على نهر التاجية فاقتتل الفريقان وانتصر فرسان قرطبة وانهزم أعداؤهم وسقط كثير

(١) في نزهة المشتاق ولبة مدينة مطية على جزيرة شلطيى وقال ياقوت اكشونية

مدينة بالاندلس تصل عملها بعمل اشبونة وهى غربى قرطبة وهى مدينة كثيرة الخيرات برية بحرية قد يلقى بحرهما على ساحلها العنبر

منهم في النهر ففرقوا وحال دون القتال دخول الليل - استمرت
المعارك في اسبانيا الوسطى ولكن بدون نتائج حاسمة للنزاع -
حينئذ جاء الامير عبد الله كتاب من ابنه المظفر ينبئه أن
المفاوضات بينه وبين أخيه محمد لم تنجح وأنه تهيئه قوى من الثائرين
وأنه يخشى أن محمدا يجعل وجهته قرطبة وأن كورة جيان مشتعلة فيها
نار الهيجان من تعدى شركاء أخيه وأنه يرى أن يترك حصار طليطلة
لقواده ويرجع سريعا الى قرطبة - لهذا عاد الامير الى قرطبة لينظر
بنفسه في اخضاع ابنه العاصي وقد آلمه ترك قتال ابن حفصون وأخذه
في محاربة ابنه ولكن لطف آلامه أن جاءه من أبي عثمان ما ينبئ
بانتصاره في لوزيتانيا واخماده نار الثورة فيها وقتله والى اشبونة
الثائرون من تبعه من الولاة الآخرين .

في تلك الآونة ارتبكت أحوال الاندلس ارتبا كاشديدا اذا أصبح
ميدانا للمعارك وهازعات القبائل الفاتحة وغيرها فان رؤساء الكور
الاندلسية اتخذوا سريان الفتن والشفاق بين الاسرة المالكة وسيلة لنيل
غرضهم وهو التفرد بما في أيديهم من المدن والاقاليم ولم يقفوا
عند هذا الحد بل اعتدوا على الكور الخاصة بقرطبة ووجهوا عنايتهم
الى استئصال الدولة الاموية من اسبانيا

في ذلك الوقت كان غالب بن حفصون^(١) يعلم اضطراب

(١) كذا يقول رومي واما كسندي فيقول هنا (حفصون بن أريوس)

المملكة وقيام القلاقل في أنحاء لاندلس فقويت آماله فوجه عبد الله بن أمية لينهب كورة جيان وهذا ضمّ قواه الى قوى سوار^(١) ابن حمدون القيسي وكانت سبعة آلاف رجل واستولوا معا على مواقع من اقليم جيان ونهبوها ثم انضم اليهم أتباع يحيى بن صقاله أمير العرب وكذا انضم اليهم جيش حزب المواليين وكان ستة آلاف رجل من العرب والنصارى استأجرهم رؤسائهم الاغنياء وهذه الجيوش استولت على بعض القلاع وزحفت الى الامام في البرارى التى فى جنوب النهر الكبير فسير الملك اليهم جعد بن عبد الغافر والى جيان^(٢) فخار بهم لكنه انهزم وخسر سبعة آلاف من رجاله ووقع هو وكثير من قواد جيشه أسرى في أيدي الاعداء فقادوهم الى برجالة أى القلاع الجديدة غرناطة فى غربى مدينة البيرة^(٣) وقد قوى هذا النصر اطماع العصاة فانتشروا فى جميع الكور وأخذوا وشقة وجيان وريّة وارشدونة واقليم البيرة الى قلعة رباح وكانت هذه الواقعة فى نهاية سنة ٢٧٦ (ابريل سنة ٨٩٠)

(١) كان سوار أحد رؤساء القبائل الاقوياء فى شرقى لاندلس وكان عدو الدود السوربيين فى قرطبة فان الامويين منهم اختصوا بالرياسة دون غيرهم وقد أنشأوا كبر عدة مدن فى جنوب وغرب نهر شنيل مثل الحمراء ورياسة ووادي آش — والقلاع التى بناها هو والرؤساء النازرون فى جنوب غرناطة كانت تسمى برجالة Bordjêla أى القصور المتحدة (للمهاجرين) وحرف الاسبانىون هذه الكلمة وقالوا البجراس Alpujarras

(٢) كذا فى كندى ورومى فلاحظه وقابله بما يأتى

(٣) يقول رومى ربما كانت هذه المبادئ الحقيقية لمدينة غرناطة

لما بلغ الملك عبد الله خبر تلك الحوادث المحزنة أقسم أنه لا يعود إلى عاصمته إلا بعد أن يبيد هذه العصابات فجمع جنود الاندلس وفرسان حرسه وسلم قيادة المشاة والرماة إلى عبد الرحمن ابن بدر وكان قائدا ضاريا بالحروب في الجبال — وطىء الملك بجيشه أرض جيان فقابلته فئات من العصاة فبدا شملهم وانهمزموا واقتفى آثارهم نحو الجنوب حتى أدرك سوارا عند سفح برجالة ومعه قومه العرب وأقوام من البيرة والحراء وغرناطة فدارت رحى الحرب وجرح سوار وأسر وسبق أمام الملك فامر بقطع رأسه فقطع وأرسل إلى قرطبة وكان ذلك في أوائل سنة ٢٧٧ (يولية أو يولية سنة ٨٩٠) وقد أكد ابن حيان أنه قتل في هذه الواقعة المسماة بواقعة مدينة البيرة اثنا عشر ألفا منهم يحيى بن صقاله أمير العرب اليمانيين

بعد قتل سوار بن حمدون أقام العصاة رئيسا عليهم سوريّا قنّسريّا يسمى سعيد بن جودي — كان على جانب عظيم من الشجاعة والجرأة لكن يعوزه الحزم — وثق بشجاعة أتباعه فالتقى بهم إلى سهول غرناطة ولوشة وقاتلوا جيش الملك فدهشوا وولّوا الفرار وجرح رئيسهم وأسر وسملت عيناه بالحديد المحمي وقطع رأسه في ثالث يوم^(١)

(١) كذا في كندي وفيه نظر فان سعيد بن سليمان بن جودي سيأتي ذكر قتله في سنة ٢٨٤ فيحتمل أن قتله في هذه الواقعة غير صحيح أو أن سعيدا هنا غير سعيد هناك ولذا قال رومي أن الرئيس المختار هنا أخو سعيد بن سليمان بن جودي لدى رتا سورا وفي قوله نظر أيضا لأنه كيف يكون سعيد بن جودي أخا سعيد بن سليمان بن جودي؟

وأرسل الى قرطبة

بعد ذلك اجتمع الباقون من جيش العصاة في البيرة وانتخبوا رئيسا عليهم محمد بن أضحى الفارسي صاحب حصن الحامة ^(١) لكنه كان أقل جراءة من سابقه فالتجأ برجاله الى جبال انقيرة وغرناطة ورندة فاخترأ فيها متجنباً قتال جنود عبد الله — حينئذ أشار الوالي عبد الرحمن بن بدر على الملك أن يترك هؤلاء قطاع الطرق ويعود الى قرطبة عاصمة مملكته فعاد اليها بعد أن ترك قوة اعتقدها كافية لسكرج بجراح الثوار ^(٢) بعد أن عاد عبد الله الى قرطبة أرسل قوة عظيمة من الفرسان الى ابنه المظفر كي يرد أخاه محمداً الى الطاعة فبهذه القوة تمكن أن ينزع من أخيه مدينتي أشبيلية وقرمونة وأخذ يقتني أثره حتى أدركه في إقليم الشرف غرب أشبيلية وكان بينهما واقعة هائلة احتدم قتلها بين الفريقين فقد كان في فريق محمد شجيمان شريش وأركش وشدونة وفي فريق المظفر شجيمان قرطبة واستحجة وقرمونة وأشبيلية لكن آل العراك الى نصرة جيش قرطبة وقتل حصان محمد وأصابته بجروح مؤلمة منعه من أن ينهض فحمل الى أخيه فاصر بالاعتناء به وتضميد جراحه وقد حلّ مثل ذلك بالقاسم أخى

(يكون الاول عم الثاني لأخاه)

(١) في هامش رومي مدينة الحمامات La ville des bains

(٢) يقول ابن عذاري (ص ١٣٩ ج ٢) أن ابن أضحى تولى أمر العرب بجانب

البيرة مطيعاً للأمير عبد الله فحارب ابن حفصون فأسرهم هذا ففداه العرب بمال جسيم

عبد الله فأخذ مغطى بالجروح وجيء به الى ابن أخيه فاعتنى بشأنه وجيء بالمجروحين الى اشبيلية وحبسوا في قلعة مات فيها محمد بعد أيام قلائل من جراحه ومن حزنه من أن يرى مقهورا — يزعم بعضهم أنه مات مسموما ولذا كانوا يلقبونه بالمقتول لكن هذا غير الواقع فقد أكد الكتّابون أنه مات الا من جروحه في ١٠ اشوال سنة ٢٨٢ (٣ ديسمبر سنة ٨٩٥) وكان ابن ثمان وعشرين سنة ^(١) وترك ولدا عمره اربع سنين يسمى عبد الرحمن وكانوا يلقبونه بابن المقتول وقد جعل الله له شأنًا عظيمًا كما سيجي

عقب هذه الواقعة ولى عبد الله ولاية في شريش واسطبة وشذونة . في السنة عينها أي سنة ٢٨٢ قام شقاق بين الوزير عبد الملك ^(٢) والوالى عمر بن هاشم أدى الى مبارزتهما وقتل الاول الثانى — بعد أيام قلائل اقتص المطرف بن الملك محمد ^(٣) لعمر بن هاشم فقتل عبد الملك على مسافة ميلين من اشبيلية وولى مكانه احمد بن هاشم أخا عمر المقتول وولى الملك عمل عبد الملك ابنه مروان — في رمضان هذه السنة قتل المطرف غيلة ليلا في الطريق وكان ابن أربع وعشرين

(١) كذا يقول كندى ويقول رومى انه كان ابن سبع وعشرين سنة

(٢) يقول كندى أن عبد الملك كان وزيراً وقائداً وان عمر كان والياً ويقول رومى

ان الاول كان والى قرمونة والثانى والى جيان ويقولان ان الاول ابن عبد الله ويقول غيرهما أنه ابن أمية (٣) يقول كندى ورومى ان المطرف كان ابن الملك محمد ويقول

غيرهما انه كان ابن الامير عبد الله وانه هو الذى كان يخاصم محمدا لا «المظفر»

سنة وكانت خصاله الحميدة تجعله في منزلة عالية فوق أقرانه الشبان
توجهت الظنون الى أن القاتل مروان بن عبد الملك للعداوة
المعروفة بينهما فسيق الى القضاء ويظهر أنه قام ما ثبتت التهمة عليه
ولم يستطع ان يبرئ نفسه فحكم عليه بالسجن فسجن الى ان مات
سنة ٢٨٤ . (رجع الى ما بعد واقعة البيرة)

بعد أن قتل سوار بن حمدون رثاه سعيد بن سليمان بن جودي
بقصيدة منها ما معناه

(في جبال البيرة تكسر سيف سوار السيف الذي البس نساء
قرطبة ثياب الحداد السيف الذي سقى الاعداء كؤوس المنون)

و بعد ذلك انضم سعيد الى غالب بن حفصون فان سعيدا هذا
كان من حزب المولدين وكان يقال انه جمع من صفات الاشراف
عشر صفات الكرم والشجاعة والفراصة والدفو والشعر والفصاحة
والقوة والمهارة في الطعن بالرمح والضرب بالسيف والرمي بالقوس .

لا يعلم السبب الذي أدى في ذلك الوقت الى وقوع خلف بينه
وبين ابن حفصون حتى أن الاول دعا الثاني الى المبارزة فامتنع
لكن سعيدا فاجأه يوما في الميدان فاوقعه عن قربوسه وكاد يقتله
لولا أن أدركه أتباعه ^(١) نشأ عن الخلاف بينهما أن عاد سعيد الى
طاعة الملك عبد الله فولاه كورة البيرة ولكن قتله اغتيالاً بعض

(١) رومي ص ٧٤ وما بعدها ج ٤

أتباعه في شهر ذي القعدة سنة ٢٨٤ (١)

وفي سنة ٢٨٥ أجذبت الأرض فلم تنبت فنجم عن أجسادها
مجاعة عمت أسبانيا وأفريقية وأضررت بالناس ولا سيما الفقراء وأعقبها
وباء فتك بالخلق فتسكا ذريعا حتي أنهم كانوا يدفنون جملة من
جثث الموتى في قبر واحد ولا يستطيعون أن يحفروا حفرا كافية بقدر
عدد الاموات وكانوا يدفنونهم بدون غسل وكان المشرفون على الموت
يذهبون بانفسهم الى المقابر

كانت تقع هذه الحوادث والسلم ضارب أطنايه بين اذفوناش
الثالث وعبد الله ولم يقطع روابط المودة بينهما الا حادثة غريبة وهي
انه كان في حزب غالب بن حفصون أمير مولد ذو قرني من بني أمية
يسمى أحمد بن معاوية ويكنى بابي القاسم أخذ من ابن حفصون
السلطة العليا على اقليم طليطلة وطلبيرة ووجه عزيمة الى أن يأخذ من
النصارى سمورة ويلجئهم الي شمال نهر دويرة فجمع نحو ستين الفا
من المشاة والفرسان منهم بربر مستأجرون وهجم على مدن الحدود
بدون تفرقة بين مدن النصارى ومدن المسلمين ونهبها وألجأ النصارى
الى مدينة سمورة فتحصنوا بها مستصرخين بني دينهم فحاصروهم بها
وأخبر قواد الحدود الملكين عبد الله واذفونش بإغارة هذا الثائر
فجاء اذفونش بجيشه الي برارى سمورة والتقى الجمعان واقتتل الفريقان

نحو أربعة أيام وفي اليوم الرابع ترك فرسان البربر ميدان القتال لكن
مسلمى أسبانيا الشرقية وأقليم طليطلة ثبتوا حتى أن قائدهم أحمد
قتل في المعركة ففرقوا بدون نظام وقتل منهم النصارى كثيرا
وقطعوا رؤوسهم وعلقوها على أبواب سمورة وكانت هذه الواقعة
سنة ٢٨٨ (٩٠١)

قد حررت هذه الواقعة نفوس المسلمين ورغبوا أن يشاروا النصارى
بأخوانهم وأشاروا على عبد الله بذلك ولكنه خالفهم وأرسل القائد
عبيد الله الغمري والى أشبونة الى أذفونش ليجدد التحالف فنجح -
هذا كله أغضب كثيرا من المسلمين من الملك عبد الله حتى أن خطباء
الجوامع أسقطوا اسمه من خطبهم وشاع ذلك فى اشبيلية بتحريض القاسم
أخى عبد الله وخطبوا باسم الخليفة العباسى المعتضد بالله وكان القاسم يأمر
الاشبيليين أن لا يدفعوا الزكاة الى أخيه لأنه (كما يقول) مسلم ملحد
لما باغ الملك ذلك وحققه أمر بالقبض على القاسم وسجنه وقتل
فى السجن مسموما سنة ٢٩٠ (٩٠٣) وأمر الملك بنفى كثير من العلماء
بسبب ذلك

هـ كان ابن حفصون يسمى فى هدم دولة بني أمية فى الأندلس
واقامة دولة يكون هو صاحب صولجائها - لهذا كان دائما يشعل نيران
الثورات ويحدث الاقلاق والاضطرابات فى حكومة الملك عبد الله -
من ذلك أنه فى سنة ٢٩٣ كان يوجد متكرا فى بلى وفى قرطبة وبينهما

عشرون ميلا لاحداث مؤامرة من أشياعه في العاصمة كي يسقط
الملك من عرشه وليهبي النفوس لما دبّر حرك السنة كثيرين بدم عبد
الله وقد ضبط شعر فيه هجوّه وبحت عن قائله حتى قبض عليه فظهر
انه سليمان بن الباجة الذي كان قاضي ماردة واغتصب ولايتها وعفا عنه
الملك - لما مثل بين يديه استنكر منه مقابلة الاحسان بالاساءة فاضطرب
وقبل قدمي الملك وسأله العفو وأنبأه بأن الحامل له على الهجو هو ابن
حفصون المختبي الآن في قرطبة وأفشي للملك أسرار مؤامره وانه
على وشك دق ناقوس الثورة - عندئذ حبس سليمان خشية أن يطلع
شركاءه على جلية الأمر - وبحت عن ابن حفصون في المدينة فلم يرله
أثر فيها فانه كان قد تزيا بزى سائل وفرّ من قرطبة وقد قبض على
كثير من شيعته وعذبوا ليخبروا بأمره - لما هرب ابن حفصون من
قرطبة توجه الى كورة طليطلة حيث يقيم جيشه وأخذ يغير على اقليم
قاعة رباح ولكن هزمه الوزير ابو عثمان عبيد الله الغمري في عدة
مناوشات واستولى على عدة قلاع كان يحتلها جيشه - وفي سنة ٢٩٦
كان بينهما واقعة منتظمة قضى فيها أبو عثمان على فرسان غالب
ومشاته والجاه الى بعض حصون طليطلة حيث لم تقم له قائمة نحو
ثلاث سنين

في هذه الاثناء سكن المظفر اضطراب جنوب الاندلس فتوجهت
عزيمته لأن يخضع طليطلة - لهذا الغرض التمس من والده أن يوليّه

حكومة ولاية ماردة بدلا من أبي عثمان فانه قد بلغ من الكبر عتيا
وينبغي له ان يصرف بقية عمره في حياة هادئة فكره الملك ان يعزل
هذا الشيخ الذي خدمه باخلاص مرضاة لابنه لكن بلغ ذلك أبا
عثمان فاستقال وجاء قرطبة فولاه الملك رياسة حرسه وكان مؤلفا من
جنود صقلية ذوي شجاعة واخلاص لملكهم

لما أخذ المظفر بزمام ولاية ماردة وبقيادة الجيش أعدت المعدات
بحمية زائدة لقتال أشياع غالب بن حفصون فلم يجرؤوا على ان يظهروا
في ميدان الوغى لان المظفر كان شديد البأس محافظا على النظام
الحربي حتى كان يخشاه عسكره وعدوه وكان نصيب الاسرى لديه
اما ضرب الرقاب بالسيوف واسا طعن الصدور بالرماح

وفي صفر سنة ٢٩٩ (سبتمبر سنة ٩١١) ماتت الملكة أم الملك
عبد الله فبكاهم بكاء شديدا لانه كان يحبها حبا جما واحتفل بمجزةها
احتفالا شائعا ودفنت في قبر فخيم وزين بالتوش الجميلة بناء لها ابنها في
بساتين الرصافة — وقد أثر فيه حزنها عليها — لما كان يفكر الافي
اللاحاق بها فبنى لنفسه قبرا بجانب قبرها . رأى نفسه سائرا في طريق
الموت فجمع الاسراء والوزراء والولاة وأوصى بولاية عهد له الملكة
لخفياءه عبد الرحمن بن محمد لان رأى أن القلوب قد اجتمعت على حبه
وان في ذلك حسنا لا نزاع به . وقد أوصى ابنه المظفر بمحمد بن أخيه
(٥٥ - تاريخ العرب في اسبانيا)

وتعضيده فقبل وعمل بالوصاية^(١)

وفي غرة ربيع الاول سنة ٣٠٠ (١١٥ أكتوبر سنة ٩١٢) مات
الملك عبد الله بعد أن حكم خمسا وعشرين سنة ونصف^(٢) شهر وعمره
نحو سبعين سنة^(٣)

انتهى ما استخلصناه من كندى ورومي ويستخلص من غيرها
ما يأتي :

حوادث البيرة

إلبيرة^(٤) مدينة في الجنوب الشرقي من الاندلس عند جبال
(إقادة) وقد نزل كورتها جند دمشق عقب الفتح الاسلامي .
قيل كانت البيرة هي المدينة قبل غرناطة فلما بنى الصنهاجي مدينة
غرناطة وقصبتها وأسوارها انتقل الاس إليها ونهرها نهر شنيل وفي
قيلتها جبل شلير لا يفارقه الثلج صيفا ولا شتاء^(٥) وقال ياقوت إلبيرة
كورة كبيرة بالاندلس ومدينة متصلة باراضي كورة قبرة بين القبلة
والشرق من قرطبة بينهما تسعون ميلا وأرضها كثيرة الانهار والاشجار
وفيه عدة مدن منها قسطيلية وغرناطة^(٦)

(١) من هذا يظهر أن الظاهر غير المطرف الذي سبق قتله (٢) يقول ابن الاثير
كانت ولايته خمسا وعشرين سنة واحد عشر شهرا (٣) يقول كندى انه كان ابن اثنتين
وسبعين سنة وكأنه نسي قوله في المبدأ انه ولد سنة ٢٣٠ (٤) همزتها همزة قطع فان «ال»
في أولها ليست للتعريف فهي على وزن اخريطة أو كبريتة
(٥) المقري (٦) يقول دوزي في البحان (ص ٣٣ ج ١) مدينة البيرة كانت تسمى
قدما قسطيلية

ويؤخذ من دوزى ما تعريبه :

ان دين النصرانية كان له سلطان كبير على قلوب أهل البيرة
فان تعاليم قسوس رومة انتشرت فيها أوّلاً أثناء ما كانت مدن
اسبانيا الاخرى تائهة في ظلمات عبادة الاوثان وكان يكثر في البيرة
عدد النصارى والكنايس ويقل عدد المسلمين وكان بها جامع كبير
رمى أساسه بعد الفتح حش الصنعاني أحد رفقاء موسى وكل بناؤه
في عهد الامير محمد وكذا كان يكثر في البيرة الاسبانيون والمولدون
ويكثر في كورتها العرب فانهم كانوا لا يميلون ان يجسوا أنفسهم
بين جدران المدينة ولا أن يفتروا مساكن قطن فيها أسلافهم عساكر
دمشق وأيضاً لم يكن في البيرة ما يستهوى نفوسهم الى سكناها فانها
كانت مؤسسة على صخور مجدبة لا تنبت زهرة في الصيف ولا تسقط
عليها قطعة ثلج في الشتاء — ومع هذا كانوا يجيئونها يوم الجمعة لتأدية
الصلاة في جامعها متباهين بنحيولهم الجميلة المزينة بالسروج واللحم
ذات القيمة وكان لا يفوتهم ان يحتقروا الاسبانيين ويزدروهم وكانوا
يسمونهم (المدينة السافلة) وكانت طبقة الاشراف في البيرة وكورتها
من العرب

في مبدأ حكم عبدالله اشتبك الاسبانيون والعرب في حرب مهلكة
حتى اضطر هؤلاء الى أن يتركوا ضياعهم ويلتجئوا الى حصن منت
شيقر Monte Xicar في شمال غرناطة الشرقي ويخربوا ضواحيه

وكان رئيسهم يحيى بن صقالة من قبيلة قيس فجاء الاسبانيون والمولدون تحت أمرة نابل وحصروهم وقتلوا كثيرا منهم واستولوا على الحصن فاضطر جيش العرب لضعفه الى نزع السلاح وعقد اتفاق مع أعدائه ومع هذا بعد مضي عدة أيام في المدينة هجم الاسبانيون على العرب في ربيع سنة ٨٨٩ (أواخر ٢٧٥ أو أوائل ٢٧٦) وذبحوهم ورموا جثثهم في بئر وقد فرح الاسبانيون بذلك فرحا عظيما حتى قال شاعرهم الأبل^(١) مامعناه

(قد كسرنا نصال أعدائنا وخفضنا كبرياءهم - كانوا يسموننا المدينة السافلة لكن قد هددنا قواهم وهل بعد زمن تنتظر رمهم لتي ألقيناها في البئر من يثار بها ؟) وكان يحيى رئيس العرب من المقتولين عقب ذلك عمت الفوضى عرب الأقاليم وبدا الخصام بين المعتدين والمنيبين ففي إقليم البيرة اختلفوا أولا فيمن يكون رئيسا عليهم واسكنهم لما رأوا الضرر في انشقاق اتفقوا أخيرا على اختيار سوار^(٢) القيسي بدل يحيى بن صقالة فكان هذا سببا للنزاع حتى قيل « لو لم يرزق الله العرب سوارا لا تقرضوا »

كان سوار شيخا أشيب قتل ابنه الاسبانيون فعقد نيته على ان

(١) نسبة الى أبله وهي قرية من وادي آش وسمه عبدالرحمن بن أحمد

(٢) استوائن هنيئة جده الرابع مرشانة Maracena من إقليم الدوطة

في شمال غرناطة كذا في هامش دوزي ج ٢ ص ٢١٤ ويقول بانوت مرشانة مدينة من عمال قرمونة بالاندلس

يثار الاسبانيين بانه وبالعرب المقتولين فجمع ما أمكنه من العرب تحت رايته وتوجه بهم أولا الى قلعة منت شيقر ليجعلها مركز أعماله الحربية واستولى عليها وقتل حاميتها وكانت ستة آلاف جندي وهاجم حصونا أخرى وأخذها وقد جرّ هذا الى قتل كثير من الاسبانيين حتى انقرضت سلالات منهم باجمعها ولم يكن لتركاتها وارث . فرزع اسبانيو البيرة الى والى اقليمها جعد^(١) واستمدوا معونته واعدين آياه بالطاعة فأجاب سؤلهم وزحف على سوار بجنوده خاصة وبالاسبانيين فقاتلهم شيخ العرب بقدم ثابتة وكان القتال صعب المراس من الجانبين ولكن كانت العاقبة نصر العرب واقتفوا آثار أعدائهم الفارين الى أبواب البيرة وقتلوا منهم سبعة آلاف وأخذوا رئيسهم جعدا أسيرا — فرح العرب بالنصر وبأنهم قربوا كثيرا من الضحايا قربانا الى روح يحيى بعد أن انتصر سوار انتصروا مشهورا حالف عرب رية وجيان وقلعة رباح ثم عاد الى نهب الاسبانيين والفتك بهم فلم يجدوا لهم سبيلا الى السلام الا الاتعاج الى السلطان والتماس حمايته فاجاب سؤلهم وخاطب سوارا في أن يعود الى طاعته ويترك الاسبانيين في سلام وهو يقلّده ادارة قسم واسع من الاقليم فاجاب سوار الي مادعاه اليه السلطان وصالح خصومه وأقسموا أيمان السلم ولكن لم يكن ذلك الا سكونا كاذبا فان النفوس

(١) سبق في كلام كندی ورومي ان جعدا كان والي حيان

لا زالت منظوية على ما انطوت عليه من الاضغان . لما لم يجد سوار بجواره من الاعداء من يحاربه هاجم حلفاء وأتباع ابن حفصون وبلغ أسماع أهل البيرة أصوات آلام بنى جلدتهم من سسطوات سوار وشدائده فحسب شعورهم الوطني وهبوا جميعا وتبعهم سكان كورتهم وأخذوا عُدَّتْهم وهاجموا العرب وضر بهم حتى أُلْجِئُوهم إلى الحمراء^(١) Alhambra بعد سبعة أيام رأوا الجيش لاسباني المؤلف من عشرين ألف رجل متأهباً للهجوم من الشرق واضعاً آلاته الحربية على أكمة حينئذ رأى سوار أن في بقاء عساكره الشجعان في القلعة خطر عليهم فخرج بهم إلى مقابلة العدو واشتبك القتال بين الفريقين وفي أثناء ذلك توجه بدون أن يراه العدو إلى الأكمة وانقض على حاميتها انقضاض الصاعقة فبدد شملها — لما رأى ذلك الاسبانيون الذين يقاتلون في السهل ظنوا أن العرب جاءهم مدد فامتلات قلوبهم رعباً وانهزموا إلى البيرة وقتل منهم اثنا عشر ألفاً وقليل سبعة آلاف وتسمى هذه الوقعة وقعة المدينة

بعد هذه الوقعة المدمرة لم يبق للاسبانيين عون يرجونه لشدتهم ويخضفون لرياسته إلا أحد أبناء جلدتهم عمر بن حفصون فاستنجدوا به فجاء البيرة ودخلها بجنده ونظم شؤونها العسكرية وجمع تحت رايته حاميات الحصون المجاورة وأخذ في المسير نحو سوار ولكن هذا قد

(١) قال ياقوت الحمراء اسم مدينة لبلة بالأندلس وهي مدينة قديمة فيها آثار عجيبة

ضم اليه عرب جيتان ورتية فصار تحت امرته جيش عرمرم مملأه
أملأ في أن يقهر ابن حفصون وقد تحقق أمله فان ابن حفصون خرج
وفقد جملة من خيرة عساكره واضطر الى ان يتقهقر وقد غضب
غضبا شديدا من هذه الصدمة وأخذ يلوم أهل البيرة على سوء سلوكهم
اثناء المعركة وفرض عليهم خراجا فادحا يؤدونه في مقابلة نفقات هذه
الحرب التي لم تكن الا لمنفعتهم ثم عاد الى يدشر بعد أن أقام على
البيرة حفص بن المر Moro ايدافع عنها

بعد رحيل ابن حفصون استرسل سوار في الهجوم فوقع في كمين
من أهل البيرة فقتلوه ونقلوا جثته الى المدينة فعلت من النساء صيحات
الفرح حين رأين من حرمن من اخوتهن وأزواجهن وأولادهن
مقتولا وليطفئن أوار الانتقام قطعن الجثة قطعاً وابتلعنها^(١)

بعد سوار أمر العرب عليهم سعيد بن جودي سنة ٨٩٠ فدخل
البيرة وأخضعها . مدحه الأبلق الشاعر بأبيات فاجازه عليها فلما ذهب
نبه عسبي سعيدا الى أن هذا الشاعر هو أكبر محرّض اقومه على
العرب وهو القائل « هل بعد زمن تنتظر رممهم التي ألقيناها في البئر
من يثاربها » فأمر الأمير قريبا ليحيى بن صقالة أن يقتل الشاعر ويلقى
جثته في البئر ففعل ما أمر به في الحال

(١) سبق في كندى ورومى ان سوارا أسرو سيق أمام الملك فأمر بقطع رأسه فقطع
وأرسل الى قرطبة في أوائل سنة ٢٧٧

كان جسد سعيد قاضي البيرة ثم ضابط قرطبة في عهد الحكم
الاول وكان مثال الفروسية العربية وكان معاصروه ينسبون اليه عشر
صفات لا يحوزها الا سيد فاضل (وقد سبق ذكرها)

حوادث اشبيلية

اشبيلية مدينة عظيمة بالانداس على ضفة النهر الكبير في الجنوب
الغربي لقرطبة نزل كورتها جند حصص كما نزل كورة البيرة جند دمشق -
ومن أقاليمها اقليم الشرف وهو على جبل (قيل) انه كريم التربة
دائم الخضرة فرسخ في فرسخ طولاً وعرضاً لا تكاد الشمس فيه بقعة
لا تنفاد زيتونه (وقيل) أن ترابه أحمر طوله من الشمال الى الجنوب
أربعون ميلاً وعرضه من المشرق الى المغرب اثنا عشر ميلاً يشتمل
على مائتين وعشرين قرية قد التحفت بأشجار الزيتون واشتملت
وقال ياقوت يطل على اشبيلية جبل الشرف وهو جبل كثير الشجر
والزيتون وسائر الفواكه ومما فاقت به على غيرها من نواحي الاندلس
زراعة القطن ويتصل عملها بعمل لبنة وهي غربي قرطبة بينهما ثلاثون
فرسخاً - وفي المقرئ « ان باشبيلية أسواقاً قائمة وتجاراً رابحة وأهلها
ذوو أموال عظيمة وأكثر متاجرهم الزيت » وفي شرقي اشبيلية على مسافة
سبعة فراسخ مدينة قرمونة

ويؤخذ من دوزي ان اشبيلية كانت مركز علم وعمد الرومان

ومقر أسرار الأشراف والأغنياء . لم يغيّر الفتح العربي شيئاً من نظامها الاجتماعي فقد سكنها قليل من العرب الفاتحين وأغلبهم فضل سكنى أقاليمها ولا زالت سلالات الرومان والقوط هي أكثر السكان عدداً فيها وكانوا ذوي ثروات واسعة واشتغلوا بالزراعة والتجارة والملاحة . كان كثير من السفن يردّها ليحمل منها القطن والزيتون والتين من محصول بعض أقاليمها

جحد أغلب الأشبيليين النصرانية وأسلموا وبنوا لهم جامعا كبيرا في عهد عبد الرحمن الثاني لكنهم لم يغيروا طباع وعادات أسلافهم الأسبانيين وقد تخلقوا بأخلاقهم من خالطهم من العرب وساروا في طريق تمدنهم فلا كانوا ينزعون إلى محاربة قبيلة أو جنس فكان مولدوهم على العموم هادئين مسالمين للسلطان يعتبرونه السند الطبيعي للنظام ومع هذا كانوا يخشون عرب الأقاليم لمخافتهم على طباعهم الأصلية وأوهامهم القديمة ونفورهم من غير بني جنسهم ونمساكهم بانساب أسلافهم الأقدمين وعدم اختلاطهم إلى السكينة . لهذا كان هؤلاء العرب يتربصون بالفرص أو دعوة من أشرافهم للفتك بالأشبيليين ونهب أموالهم وكان الأشبيليون يتوقعون منهم ذلك فكانوا يحتاطون خشية أن يأخذوهم على غرة

كان يوجد بين سلالات العرب الساكنين في إقليم اشبيلية سلالتان ترأسان السلالات الأخرى وهما سلالة بني حجاج وسلالة بني خلدون

فالسلالة الأولى وان كانت عربية إلا أنها كانت من نسل غيطشة ملك القوط قبل رذريق فان حفيدة هذا الملك المسماة سارة Sara تزوجت عميرا Omais من قبيلة لخم اليمنية فولدت له أربعة أولاد كانوا أصولا لسلالات عظيمة منها سلالة بنى حجاج . وأما سلالة بنى خلدون فأصلها من حضرموت اليمن وأملا كما كانت في إقليم الشرف وكان من هذين البيتين زُراع وتجار وملاحون وأجنك وكانوا يسكنون أولا قصورهم في الرساتيق ثم سكنوا المدينة وبنوا فيها القصور الشاخنة اهـ

في مبدأ حكم الأمير عبد الله بعث ابنه محمدا على اشبيلية سنة ٢٧٦ قهر به رؤساؤها وهم أمية بن عبد الغافر (وكان جدّه أبو عبد الله عاملا عليها من قبل عبد الرحمن الداخل) وكرىب من بنى خلدون وأخوه خالد وعبد الله من بنى حجاج وحصره في القصر واضطروه الى العودة الى قرطبة فعاد في شهر جمادى الثانية من هذه السنة ثم استبدت أمية بولايتها ودس على عبد الله بن حجاج من قتله فقام أخوه ابراهيم مقامه وظاهر بنى خلدون على قتل أمية فقتلوه وكتبوا الى الأمير انهم ماقتلوه الا لنبيه طاعته فارسل اليهم عمه هشام بن عبد الرحمن الثاني واليا على اشبيلية فحبسوه وقتلوا ابنه وتغلب كرىب على الولاية^(١)

(١) انظر توثق اراشيلية في الجزء الرابع من تاريخ ابن خلدون ومقدمة دوزى لتاريخ ابن عذارى ص ٥٣ ولا يخفى ما في هذا من المغايرة لما سبق في تاريخ كندى ورومى

وفي سنة ٢٨٢^(١) أرسل الأمير عبد الله جيشا الى اشبيلية تحت امره ابنه المطرف ووزيره القائد عبد الملك بن أمية وكان هذا وزير محمد الاول وابنه المنذر وهو الذي حرّضه على قتل وزيره هاشم بن عبد العزيز وكان المطرف يبغيض القائد لانه كان يشير على أبيه أن لا يقلّده ولاية العهد بعد قتله أخاه محمدا - فلما قرب الجيش من اشبيلية حبس المطرف على ابن أمية وقتله وقدم على قيادة العسكر أحمد ابن هاشم ونشب أهل اشبيلية الحرب فانهزموا وقتل كثيرا منهم وقبض المطرف على خالد بن حجاج وابراهيم بن خلدون وكبلهما بالحديد ثم سار الى شذونة وكتب أمانا لأهلها فدانت له وقبض على واليها سليمان بن محمد بن عبد الملك وكبله بالحديد وضمه الى ابن خلدون وابن حجاج وبعث بالثلاثة الى قرطبة فسجنوا رهائن على أداء الخراج ففي السنة عينها أتت جباية اشبيلية وشذونة وأطلق سراح المسجونين ولكن ترك ابن حجاج ابنه عبد الرحمن رهينة في قرطبة

اقتسم ولاية اشبيلية ابراهيم بن حجاج وكريب بن خلدون وبقيا كذلك أعواما وكان الثاني مستبدّا عسوفاً فنفر منه الناس ومالوا الى الاول لانه كان رفيقا بهم - انتهز ابن حجاج فرصة ميل الناس اليه ونفورهم من قرينه فدس الى الأمير عبد الله يطلب الولاية ليشتدّ

(١) كذا في ابن عذاري وفي ابن خلدون ٢٨٣

بكتابه على ابن خلدون فكتب له بذلك عهده فظهره للامة فثاروا
جميعا بكريب فقتلوه وأخاه خالدا سنة ٢٧٦ .

فاستقم لابراهيم الامر وحده في اشبيلية والى كور الملاصقة لها
وحصن مدينة قرمونة وجعلها مرتبط خيله - ولما قوى سلطانه وعظم
شأنه طلب من الامير اطلاق ولده الرهين فلم يسعفه فنبذ الطاعة
وظاهر ابن حفصون - ولم يزل ابراهيم يرسل من يشير على الامير
باطلاق ولده حتى أجاب وأطلقه وأعظم الاحسان اليه فعاد ابراهيم
الى الطاعة - قال حيّان بن خلف لما ملك ابراهيم اشبيلية وقرمونة وما
والاهما ارتفع ذكره وبعد صيته واتخذ لنفسه جندا ورتب لهم
الارزاق فكل في مصافه خمسمائة فارس وكان له قاض يقوم بالحكم
وصاحب مدينة يقيم الحدود وجرى في ذلك كله مجرى السلطان
وفي قرمونة كانت مرابط خيله وكان يكثر التردد بينها وبين
اشبيلية ومن ذلك قول الشاعر أحمد بن عبد ربه في قصيدة طويلة
يمدحه

واشبيلة الزهراء تزهو بوجهه وقرمونة الغراء ذات الفضائل
اذما تجلّت تلك من نور وجهه غدت هذه للناس في زي عاقل
وان حلّ هذى فهو يوحش هذه فتهدى برسل نحوه ورسائل

وقد اختطفته المنون سنة ٢٨٨ وولى بعده ابنه عبد الرحمن الى
أن مات سنة ٣٠١ وكان أخوه محمد بن ابراهيم صاحب قرمونة في

حياة أبيه و بعد موته وكانت دولته بقرمونة أضخم من دولة أخيه باشبيلية
وتوفي سنة ٣٠٢ (١)

مقتل ابني عبد الله محمد والمطرف وغيرهما

قال ابن خلدون قد أكثر المطرف من السعاية في أخيه محمد عند
أبيهما حتى اذا تمكنت سعايته وظهر سخطه على ابنه محمد لحق حينئذ
بيلد ابن حفصون ثم استأمن ورجع وبالع المطرف في السعاية الى ان
حبسه أبوه ببعض حُجَر القصر وخرج لبعض غزواته واستخلف ابنه
المطرف على قصره فقتل أخاه في محبسه مفتاتاً بذلك على أبيه وحزن
الأمير عبد الله على ابنه محمد وضمَّ ابنه عبد الرحمن الى قصره وهو
ابن يوم فرَّج مع والده ثم بعث الأمير عبد الله ابنه المطرف بالصائفة
سنة ٦٨٣ وبعثه الوزير عبد الملك بن أمية فقتل المطرف بالوزير امدادوة
بينهما وسطا به أبوه الأمير عبد الله وقتله شر قتلة ثأر فيها منه بأخيه
محمد وبالوزير وبعث ابن الوزير لابنه (٢) مروان فترفع على الوزراء
فقتلوه وسمعوا فيه عند الأمير بأنه بايع جماعة من سماسرة الشر لأخيه
هشام بن محمد ولقت بذلك شهادات ائمة القاضى حينئذ قبولها فممت

(١) انظر ابن عذاري ص ٦٣٠ وما بعدها

(٢) يقول ابن خلدون لابنه «أمية» ويقول غيره ان ابنه (مروان) لا أمية

والظاهر صحة الآخر

الحيلة وقتل مروان وهشام سنة ٢٨٤

ويؤخذ من مقدمة دوزي لتاريخ ابن عذارى
ان المطرف كان يحسد أخاه البكر محمدا على ولاية العهد لهذا
كان يكثر السعاية فيه عند أبيهما فتأججت نار العداوة بين الاخوين
حتى أن محمدا قابل يوما فارسا من فرسان أخيه فأنقض عليه وقتله
فخشي من قصاص أبيه فحوّل على الفرار فكسر أبواب السجن وفك
أسر السجناء وكانوا من المولدين والنصارى وفرّ بهم الى بلبشتر عند
ابن حفصون شيخ المولدين الذي كان يظهر الاسلام ويبطن النصرانية
ليجمع تحت رايته جميع العرب والبربر الناقمين ويكون مملكة نصرانية
في الاندلس فبذل الأمير مافي وسعه في أن ينزع ابنه من حزب
المولدين فخاطبه أن يعود الى قرطبة وهو يعفو ويصفح فعاد محمدا لكن
أخاه مازال يسعى فيه لدي الأمير ويتهمة حقا أو بهتاناً بأنه يفاوض
ابن حفصون ويؤامره الى ان حبسه وقتله أخوه في ١٣ شوال سنة ٢٧٧
(١٤ يناير سنة ٨٩١)

١- عاد المطرف الى قرطبة قتله أبوه في ١٠ رمضان سنة ٢٨٢
(٣ نوفمبر سنة ٨٩٥) وكان ابن سبع وعشرين سنة كأخيه محمدا
حين قتله

وعهد الأمير عبد الله بأعمال وزيره المقتول الى ابنه مروان
فكبر على بطانة الأمير فاتهموه بالسعى في خله وتولية أخيه هشام

الذى كان والى جيّان وقائد ميمنة الجيش فعهد الأمير بتحقيق هذه التهمة الى القاضى فخوفاً من أن يجي دور اتهامه حكم بصحتها وقد جرّت في ذيلها أحمد بن هشام حفيد عبد الرحمن الثانى وغيره فأمر الأمير بتنفيذ حكم القاضى فنفذ على المتهمين يوم السبت ٢١ شوال سنة ٢٨٤ (ابن الأبار)

حوادث رية

رية كورة كبيرة مخصبة بالانداس قبلى قرطبة متصلة بالجزيرة الخضراء لها مدن وحصون ورستاق واسع^(١) كانت عاصمتها أرشدونة^(٢) ومن أعمالها مالقة^(٣) وببشتر

أما مالقة فهي مدينة قديمة عامرة على ساحل البحر بين الجزيرة الخضراء والمرية وبالنظر لوضعها المناسب كثر قصد المراكب والتجار اليها فتضاعفت عمارتها حتى فاقت أرشدونة وصارت هذه كورستاق لها^(٤)

وأما ببشتر فهي حصن منيع على قمة جبل شامخ على فرسخ من غربى التقيمة ازاء نهر —^(٥) بين الحصن وقرطبة ثلاثون فرسخاً^(٦)

(١) ياقوت (٢) ابحاث دوزي ج ١ ص ٣١٩ (٣) يخفاى دوزي ابن خلدون في أنربة اسم مالقه القديم — راجع ابحاثه ج ١ ص ٣١٩ (٤) ياقوت (٥) ابحاث دوزي (٦) ياقوت

كان هذا الحصن ملاذ ابن حفصون من الدولة الاموية
بعد موت المنذر وهو يحاصر ببشتر ورجوع الامير عبد الله الى
قرطبة (كما ذكرناه آنفا) استفحل أمر ابن حفصون والثوار وتوالت
عليه الفزوات والحصار وكاتب ابن الاغلب صاحب أفريقية وهاداه
وأظهر دعوة العباسيين بالاندلس فتناقل على اجابته فأمسك وأكثر
الاجلاب على قرطبة وبنى حصن (بلالية) قريبا منها وغزاه عبد الله
حتى فتح هذا الحصن واستنجة وقصده في حصنه فحاصره أياما وانصرف
عنه فاتبعه ابن حفصون فكرر عليه الأمير وهزمه وأخذ فيه وافتتح
البيرة من أعماله ووالى الحصار عليه في كل سنة ٠٠٠٠ سار اليه الوزير
أحمد ابن أبي عبدة فحاصره فاستنجد براهيم بن حجاج الثائر
باشبيلية وانياه فهزمهما وراجع ابن حجاج الطاعة وعقد له الأمير عبد
الله على أشبيلية ٠٠٠٠٠ ثم راجع ابن حفصون طاعة بنى أمية عند
ما هيأ الله للناصر ما هيأه من استفحال الملك واستنزال الثوار واستقام
الى أن هلك سنة ٣٠٦ سبعم وثلاثين من ثورته كذا يؤخذ من ابن
خلدون وهو كلام مجمل يفصله ما يأتي

يؤخذ من ابن عذارى أن عبد الله لما ولي الخلافة رأى ابن
حفصون أن يدخل في طاعته فأرسل ابنه منفضا الى قرطبة مع جماعة
من أصحابه على أن يعقدوا مع الأمير صلحا على أن يستقر ابن حفصون
في ببشتر على الطاعة فقبل الأمير وأصدر ابنه ورسله مخدوفين بالكرامة

والرعاية ووجه مهم عبد الوهاب بن عبد الرؤوف واليا على كورة
رّية ومشارك لابن حفصون فمكثا شريكين في الأمر والنهي الى أن
غلب ابن حفصون على عبد الوهاب وأخرجه من الكورة وتعدى
على أهل البلاد وسلب أموالهم حتى همّ اناس بالجلاء من قراهم ولم
يبق بالقبائلية قرية الا غشيتها الخيل وعمتها الذلة والويل وملاك ابن
حفصون استجّة وارجذونة - فلما رأى الأمير ما أحاط بقرطبة أمر
باخراج السراشق الى فخص الرّض بشقنّدة فلما شدّت أطنا به ومدّت
حبائله وأسبابه بعث ابن حفصون خيالا لعلها تأخذ السراشق السلطاني
فخرج اليها الفرسان فردّوها ووصلوا الى ابن حفصون فدفعوه من
الجهة فأوى الى حصن (بلى) بقبرة فجمع له الأمير أهل قرطبة وسار
اليه في نحو أربعة عشر الفا وحشد ابن حفصون نحو ثلاثين الفا
فصدّه الأمير بمن معه فمثر عقده وفرّق جمعه فعملت السيوف في رقابهم
حتى رويت الأرض من دمائهم ودخل الأمير عبدالله القلاع الثائرة
وملكها ولما رجع ابن حفصون الى بيشتر حشد أعوانه وخرج بجمعه
الى البيرة فتغاب عليها وقبض على عاملها فاخرج اليه الأمير العسكر
مع ابن أبي عبدة فلما أدانى الفريقان هجمت خيل قرطبة على
خيل العدو فبددت شمله وأثقل ابن حفصون بالجراح وآب الى
حصن بيشتر

ونار سوار بن حمدون بمحصر منى شقند^(١) فقام الى جمع
عامل البيرة وهزم جمعه وأخذه أسيرا ثم أطلقه وسار سوار الى غرناطة
وأغار على حصون ابن حفصون فاجتمع أهل البيرة في نحو ثلاثة
وعشرين الفا فلقبهم سوار في عدد قليل فانهزموا وقتل منهم نحو عشرة
آلاف وذلك في سنة ٢٧٦

وكان جمع الثائر بالبيرة متفقا مع ابن حفصون فأعمل جمع الحيلة
في الغدر بسوار فأغار على جهته في نفر يسير وقد أكن له كميناً فبرز
اليه سوار واقتفى آثاره فوقع في السكين وأحدقت به الخيل وقطع
رأسه وانهزم عسكره وأرسل جمع رأس سوار الى ابن حفصون ونار
سعيد بن جودي بالعرب وعارض ابن حفصون حتى ضايقه فعهد هذا
الى الحيلة حتى أسره وأقام عنده شهوراً في ببشتر حتى فدى بمال
كثير فاطقه من وثاقه فخالف على الأمير عبد الله الى أن مكر به وقتل في
دار عشيقه له يهودية

وتولى أمر العرب بجانب البيرة محمد بن أضحى فخارب ابن حفصون
لكن هذا أسره حتى فداه العرب بمال جسيم وأطاع الأمير
ونار سعيد بن مستنة بكورة باغة^(٢) واقتعد حصونها فاستفحل
أمره وشره وعم أذاه واصطافى من حصونها أربعة ذات حصانة ومنعة

(١) يؤخذ من غيره أنه حصن منى شقند

(٢) قال ياقوت باغة مدينة بالاندلس من كورة البيرة بين المغرب والقبلة منها وفي
قبلى قرطبة منحرفتها يسيرا بينهما ٥٠ ميلا

وفي سنة ٢٨٤ وما بعدها دخل ابن حفصون استجة الدخلة
الثانية فاخرجه منها ابان ابن الأمير عبدالله وقائده ابن أبي عبدة
وفي سنة ٢٨٦ أظهر ابن حفصون النصرانية وكان قبل ذلك يسرها
قتيراً منه خلق كثير ورأى جميع المسلمين أن حرب جهاد فتتأبعت عليه
الغزوات بالصوائف والشواتي لا يني القواد عنه في الحل والترحال وفي
ذلك قال ابن قلزم لابن أبي عبدة

ففي كل صيف وفي كل شتئ غزاتان منك على كل حال
فتلك تبيد المدور وهذا تفيده الامام بها يبت مال

وفي سنة ٢٨٧ صاب رجالان من رجال ابن حفصون يسمى
أحدهما اسحاق قال الآخر حين رفع في الحشبة غدرت بي يا اسحاق
فضررت مثلاً

وفي سنة ٢٨٨ قبضت رهائن ابن حفصون وتحويلات الصائفة
لشدونة وغيرها من السكور

وفي سنة ٢٩٢ خرجت الصائفة الى عمر بن حفصون وتحويلات
العسكر الى حصونه فهتك بعضها وفيها كانت الوقعة العظيمة على ابن
حفصون بوادي (بلون) من جيان وكان قد توالى اليه أهل الخلف
وخرج مغيراً على المسلمين فهزم وقتل كثير من رجاله

وفي سنة ٢٩٣ كان خروج الصائفة الى فهر بن أسد وهو يحصن
تش من كورة جيان فافتتح الحصن وأخذ أسيراً وقدم به الى قرطبة

فامر الامام عبد الله بصلبه عند القضايين في ربيع الآخر
وفي سنة ٢٩٤ غزا اiban ابن الامام عبد الله بالصائفة الى
الجزيرة وقاد الخيل أحمد بن محمد بن أبي عبده فخل بها يوم الجمعة
لتسع بقين من رجب ثم تقدم الى حصن لوزة يوم السبت لانسلاخ
رجب فخارب الحصن وحاصره وقتل جماعة ممن فيه ثم تقدم الى
حاضرة رية وفيها مشاور بن عبد الرحمن فأحرقت أرباض الحاضرة
وحوصر من كان فيها فدعا مشاور الى السلم وبذل الرهائن فأجيب
الى ذلك ثم تقدم القائد الى الساحل فجاء فيه أجمع وخرج على حصن
إلبيرة وقفل منصرفا الى قرطبة فدخلها يوم السبت لليلتين خلتا من
ذي القعدة

وفي السنين التالية غزا اiban ابن الأمير عبد الله وقائده أحمد
ابن محمد بن أبي عبده ابن حفصون وأشياءه عدة غزوات كتب النصر
فيها لهما والخلدان له

وفصل ابن عذارى وقعة (بلى) ^(١) في موضع آخر نقلا عن
(بهجة النفس) فقال ماموّداه : في سنة ٢٧٨ (٨٩١) ألّب ابن
حفصون على الأمير عبد الله ثلاثين ألفا من كور الاندلس وأقبلوا
عند حصن بلى وضيقوا على اقليم قرطبة وأضرّوا به حتى أغاروا

(١) يقول ياقوت بن احمية بالاندلس من فحص الباط و يقول ابن خلدون بلابة
حصن بناء ابن حفصون قريبا من قرطبة و يقول ابن عذارى بلاي من عمل قبرة

على أغنامه فخرج اليهم عبد الله في ١٨ ألفا وقتلهم حتى هزمهم وقتل
كثيرا منهم وفتح حصن بلي فوجده مُتْرَعًا بالدخائر والعدد ثم قصد
استجة فخرب أهلها وقتك بهم فتكا ذريعا حتى رفعوا الاطفال على
الأيدي في الأسوار مستصرخين راغبين في العفو فمعا عنهم
وقال النويري في هذه الواقعة لما تولى عبد الله ألب ابن
حفصون وحشد كور الأندلس حتى لم يبق فيها الا قرطبة وأقبل فيمن
أطاعه من أهل الكور وخرج اليه الأمير عبد الله في أربعة عشر ألفا
من أهل قرطبة خاصة وأربعة آلاف من حشمه ومواليه فبرز اليه ابن
حفصون في سفح الجبل ونازله فلم يكن الا صدمة صادقة حتى أزالهم
عن مراكزهم ودخل ابن حفصون الحصن كأنه يفرج من بقي فيه
فثلم فيه ثلثة أخرج منها أهله وما كان له فمما انتهى ذلك الى أهل
عسكره وآوا مدبرين لا يلوى أحد منهم على أحد فقتلوا قتلا ذريعا
ودخل منهم جماعة في عسكر الأمير فأمر بالنقاطهم وجلس لهم في مظلة فقتل
من يديه ألف صبيرا

ويستخلص من دوزي ما يأتي :

سار السلطان في ربيع سنة ٨٩٠ هـ (٢٧٥ و ٢٧٦) الى قلعة بُشْتَر
فحاصرها ثم عاد الى قرطبة بعد أربعين يوما وكانت نتيجة هذه
الغزوة عقيمة

وعقب ذلك خرج ابن حفصون واستولى على بلاد وحصون منها

استعجة وبيانة والقلاع العظيمة التي في جنوب النهر الكبير وبالأجمال
كان أغلب الانداس في قبضة يده حتى ان السلطان المنلوب على أمره
لم يستطع أن ينصب واليا في البيرة ولا في جيان .

استكبر ابن حفصون من امتداد سلطته وحدثته نفسه أنه بعد استيلائه
على قرطبة يصير حاكم الانداس الا كبرالكنه يخشى أن ينازعه العرب
في السلطان حينما يؤول اليه فرأى أنه اذا جاءه تقليد بولاية الاندلس
من خليفة بغداد لا يأبى العرب طاعته فكاتب ابن الاغلب والى
أفريقية في ذلك وهاداه فبعث اليه والى بهدايا نفيسة وشجعه على
مقصوده ووعده بالسوى لدى الخليفة في مأربه — عندئذ طمع ابن حفصون
ان يأخذ قرطبة ويرفع راية بنى العباس فاقترب منها وجعل استعجة
مركزه الامام وفيها كان يتردد من وقت الى آخر الى بلى ليبحث على
اتمام التحصينات التي كان أمر باقامتها فيها حتى تمهيد منيعة وبجواب
اليها عما كره — بذلك احدث بقرطبة خطر عظيم مهددها بلاء جسيم .

حاصر ابن حفصون قلاع قبيرة التي كانت للسلطان واستولى اليأس
على هذا اقله جنوده لكن فضل أن يموت في ساحة القتال موت
الاشراف — فرح ابن حفصون وعجب من عزيمة السلطان على المقاومة
وقال لابن مستنة « من يخبرني أن السلطان تحرك للسير نحونا أعطيه
خمسمائة دوقة Ducat »^(١) — بعد زمن قليل جاءه نبأ وهو في

(١) نفذهي يختلف مقداره باختلاف البلاد

استعجلة بأن خيمة السلطان العظيمة نقلت إلى سهل شقندة - لما سمع هذا النبأ عزم على أن يحرقها حتى يجعل السلطان عرضة لاستهزاء المستهزئين فأخذ معه بعض الكتائب وساروا إلى هذا السهل حتى بانوه أول الليل وانقضوا على أحراس الخيمة - هؤلاء وإن كانوا قليلين لكنهم دافعوا عنها بشجاعة واستنجدوا بصرخاتهم عساكر ضاحية المدينة فأنجدوهم على الفور - رأى ابن حفصون أن العاقبة ستكون وبالا عليه فنكص ومن معه على أعقابهم واتبعهم عساكر السلطان وفتكوا بهم حتى لم يدخل حصن بلي مع ابن حفصون إلا فارس واحد - في صباح تلك الليلة بكر أهل قرطبة وقابلوا عساكرهم وهم عائدون ومعهم خيل مكسوبة ورؤوس مقطوعة ففرحوا بهذا النصر المبين في أوائل سنة ٨٩١ (المحرم سنة ٢٧٨) أخذ السلطان وجنوده طريق حصن بلي وساروا حتى بانوه يوم الخميس نهيرا يجرى على مسافة نصف فرسخ من الحصن وكان عددهم أربعة عشر ألفا (١) منهم أربعة آلاف فقط عساكر منتظمة وكانت جنود ابن حفصون ثلاثين ألفا وكانت الواقعة في اليوم الثاني أي يوم الجمعة : في أول النهار أخذ ابن حفصون يرتب عساكره للمعركة عند سفح الأكمة المقام عليها الحصن وأخذ جيش السلطان في السير نحوه وكان قائده العام عبد الملك بن أمية فلم يحسن قيادته إذ أمره بالتهقر نحو جبل في شمال

(١) تقدم انهم ثمانية عشر ألفا

القائمة وفي هذا الوضع تكون ظهور المسا كر جهة العدو فخرج حينئذ قائد المقدمة عبيد الله بن أبي عبدة الى السلطان وصاح « الى أين نساقي يا أمير أنجعل ظهورنا نحو العدو فيظن أننا نخافه فينتفض علينا ويقطعنا قطعاً » فلم يماره السلطان في الحق بل ماله « ماذا ينبغي أن نفعل » فاجابه القائد « نتجه نحو الامام ونهجم على العدو هجمات صادقات ويفعل الله ما يريد » فامره السلطان أن يفعل ما بدا له فرجع مسرعاً الى فرقته وأمرها بالانقضاض على العدو بصرامة فابتدى القتال واستمرت ناره الى أن تقوى الجناح الايسر من المسا كر السلطانية على الجناح الايمن من عسكر العدو وهزمه وقطع رؤوس كثير من رجاله وحملها الى السلطان فوجد كل عسكري يقدم اليه رأساً بجزء حسن. بعد هزيمة الجناح الايمن هزيمة تامة انتفض الجيش السلطاني كله على الجناح الايسر وكان قائده ابن حفصون نفسه فبذل كل ما في وسعه في أن يثبت أقدام عساكره فلم يفلح بل تركوا ميدان الوغى واولوا الفاتكين بهم ظهورهم فارتأ بعضهم الى استنجة والسيوف تعمل في رقابهم وبعضهم الى حصن بلي ومعه زعيمهم ابن حفصون وفي الليل ثلوا ثلثة في حائط الحصن وفرّوا منها مسرعين - في أثناء الفرار كان ابن مستنة بجانب ابن حفصون فمازحه قائلاً له « لقد نذرت أن تعطي شمساً دوقه لمن يثبتك بمسير السلطان نحونا، الآن يجب عليك أن تفي بما نذرت، ايس من السهل أن تقهر الامويين كما كنت تظن

ماذا تفكر في ذلك » اجابه ابن حفصون وماء الفيظ يغلي في صدره
 « أفكر في أن الدائرة مادارت علينا الآن من جيبك وامثالك . أنتم
 لستم رجالا » لما بلغ ابن حفصون أرشدونة أمر السكان أن يرحلوا
 الى قلعة بيشتر واستمر في سيره اليها . أمر السلطان بقتل ألف أسير
 بالسيوف ثم دخل حصن بلي فوجد فيه كميات وافرات من النقود
 والذخائر وآلات الحرب وبعد أن أقام حامية فيه توجه الى حصن
 استجة فحاصرها بعض أسايبيع الى أن صعد النساء على الاسوار ورفعن
 أطفالهن على الأيدي مستغيثات لما غشيهن من الجوع فعفا السلطان
 عن المحصورين جميعا وأخذ رهائنهم ووثق عليهم واليا ثم توجه
 الى بيشتر ثم الى البيرة وأخذ رهائن من أهلها وعاد بجيشه
 الى قرطبة

هذه الوقعة من الوقعات المدونات ولولا انتصار السلطان فيها
 لسقطت دولة بني أمية في الاندلس - بهذا الانتصار رجع الى السلطان
 مقامه الأول وعاد الى طاعته بلي واستجة وأرشدونة ولبيرة وجيان
 وانكسرت شوكة ابن حفصون وحصل انقلاب في الرأي العام فرأى
 الناس ان السلام في طاعة السلطان وترك الفوضى . طلب ابن حفصون
 الصلح فأجابه السلطان اليه على شرط أن يقدم ابنه رهينة ففش وقدم
 ابنا لغيره فكشف غطاؤه ولامه السلطان على الفش فنزع الى ديدنه
 وشن الفارة على أرشدونة ولبيرة وجيان سنة ٨٩٢ (٢٧٩) ^(١)

وفي سنة ٨٩٣ غزا جيش السلطان تحت إمرة المطرف ضواحي يديشتر
وحاصر إلبيرة وآمن أهلها من كل خوف فسلموا إليه ضابط ابن
حنصون وعساكره ومن ذلك الوقت عظم النفوذ السلطاني واستمر
في ذلك الوقت انقسم عرب غرناطة إلى حزبين حزب سعيد بن
جودي (يظهر أن المطرف نصبه على إلبيرة) وحزب محمد بن أضحى
أمير الحامة وكان أحدهما يحمي الآخر ويسمى في قتله
تفتيظ من سعيد كثير من الرؤساء لتكبره وفجوره حتى أن أحدهم
المسمى أبا عمر عثمان لما بلغه أن امرأته ضربت موعدا لسعيد في بيت
يهودية عزم على أن يفسل خجله في دم الفاجر فترقب مجيئه في الميعاد
وانقض عليه وقتله سنة ٨٩٧^(٢) بعد قتل سعيد انفرد ابن أضحى
بالرياسة على العرب

وفي سنة ٨٩٩ أظهر ابن حنصون النصرانية هو وذو وفرباه
وكان يخفيها من قبل خداعا فانصرفت قلوب المسلمين عنه وناصبوه
العداء اهـ

يؤخذ من ابن خلدون أنه في عهد الأمير عبد الله كان عبد الرحمن
ابن مروان مستقلا في بطليوس وسعدون السمرساق في قلنبيرة

(١) لا يخلو هذا من نظر فانه بعد أن يقوم لابن حنصون فائمه بعد سنة من الانكساره
في وفمة إلى الانكسار لهائل

(٢) هذه العبارة تخالف ما قاله ابن عذاري في هذا الموضع

ومحمد بن تالكيت في ماردة وكان بها جند من العرب وكثامة فاعمل الحيلة في اخراجهم منها ونزلها هو وقومه مصمودة وعظمت الفتنة بينه وبين ابن مروان فخاربه هذا وهزمه واستلحم قومه فاستعجاش بسعدون فلم يعنه فقص هذا من جناح ابن تالكيت وعلا كعب ابن مروان الى أن هلك وعقد الأمير عبد الله على بطليوس لأميرين من العرب فاضطربا وقتل أحدهما الآخر واستقل بطليوس ونازل حصون البربر حتى طاعوا وحارب ابن تالكيت صاحب ماردة ثم اصطالحوا وأقاموا جميعا طاعة الأمير عبد الله ثم تحاربوا فاتممت حروبهم الى آخر دولته

توفي الإمام عبد الله ليلة الخميس مستهل ربيع الأول سنة ٣٠٠^(١) وكانت خلافته خمساً وعشرين سنة وخمسة عشر يوماً دفن في قصر قرطبة مع أجداده الأمراء وكان له من البنين أحد عشر منهم محمد المقتول أبو عبد الرحمن الناصر ومن البنات ثلاث عشرة

﴿ ذنابات ﴾

الأولى - كان للأمير عبد الله حاجب^(٢) ووزراء وكتاب وصاحب

(١) قارأ ابن عذارى أنه كان بن اثنتين وسبعين سنة (٢) منصب حاجب في ذلك

الزمن أنفاً بر كمنصب رئيس الوزراء في زماننا هذا « ١٣٣١ لاهجرة »

شرطة وقضاة - فكان حاجبه عبد الرحمن بن أمية بن شهيد حاجب أخيه المنذر من قبل ثم عزله وولى مكانه سعيد بن محمد بن السليم ثم عزله ولم يولّ المجابة أحدا - ومن وزرائه براء بن مالك القرشي وعباس بن عبد المزين القرشي وعبد الملك بن عبيد الله بن أمية وعبيد الله بن محمد بن أبي عبدة وأصبع بن عيسى بن فطيس ومن كتابه عبد الله بن محمد الرجالي - وكان صاحب شرطته موسى بن زياد ولما ولي القضاء خلفه يحيى بن زياد ثم مات وبعث الشرطة بدون وال سنتين ثم وليها قاسم بن الوليد السكبي . كان لا يخلو في أكثر أيامه من مقاعدة وزرائه ووجوه رجاله فإذا انتضى خوضهم في الرأي والتدبير لأسباب مملكتهم وما كان يحاول من حسم الفتن خاض معهم في الأخبار والعلوم - قد فتح بابا في القصر سماه باب العدل وكان يقدم فيه للناس يوما معلوما في الأسبوع ليأشروا أحوال الناس بنفسه ولا يجمل بينه وبين المظلوم سترا

الثانية - وكان الامام متفطنا في ضرر وب العلوم بصيرا بلغات العرب - اعتذر اليه يوما بعض مواليه فقال ان مخائل الأمور تبدل على خلاف قولك وتنبى عن باطل تنصلك ولو أقدرت بذنبك واستغفرت لجرمك لكان أجمل بك وأسدل لستر العفو عليك قال قد اشتمل الذنب على وفاق الخطأ بي وإنما أنا بشر وما يقوم لي عند «فقال مهلا عليك رويدا بك تقدمت لك خدمة وتأخرت لك توبة

وما للذنب بينهما مدخل وقد سعت الفيران « - وأملى كتابا الى بعض عماله « أما بعد فلو كان نظرك فيما خصصناك به واهتباك به على حسب متوترك بالكتب واشتغالك بذلك على مهم أمرك لكنت من أحسن رجالنا عناء وأتمهم نظرا وأفضلهم حزما فاقبل من الكتاب فيما لا وجه له ولا نفع فيه واصرف همك وفكرتك وعنايتك الى ما يبدو فيه أكتفاؤك و يظهر فيه غناؤك ان شاء الله . وكان شاعرا مطبوعا له أشعار حسان فمن قوله يتفزل في صباه

وَيْجِي عَلَى شَادِنٍ كَحِيلٍ	فِي مِثْلِهِ يَخْلَعُ الْعَذَارُ
كَأَنَّمَا وَجَّهَتْهُ وَرْدُ	خَالَطَهُ النُّورُ وَالْبَهَارُ
قَضِيبُ بَانَ إِذَا تَنَنَى	يَدِيرُ طَرَفًا بِهِ أَحْوَارُ
فَصَفَرُ وَدِّي عَلَيْهِ وَقَفَ	مَا اطَّردَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ

ومن قوله

يَا مَهْجَةَ الْمُشْتَاقِ مَا أَوْجَعَكَ	وَيَا أُسِيرَ احِبٍّ مَا أَخْضَعَكَ
وَيَا رَسُولَ الْعَيْنِ مِنْ لَحْظِهَا	بِالرَّدِّ وَالْتِمَاعِ مَا أَسْرَعَكَ
تَذْهَبُ بِالسَّرِّ فَنَأَى بِهِ	فِي مَجَالِسٍ يَخْفَى عَلَى مَنْ مَعَكَ
(كَمْ جَاغَةٌ أَنْجَزَتْ أِبْرَازَهَا)	تَبَارَكَ الرَّحْمَنُ مَا أَطْوَعَكَ (١)

ومن قوله في الزهد

يَا مَنْ يَرَاوِعُهُ الْإِجْلُ	حَتَامَ يَلْمِيكَ الْإِمْلُ
--------------------------------	-----------------------------

(١) اقتصر ابن عدي على الإبيات الثلاثة وزاد الرابع المقرئ

حَتَّامٌ لَا تَخْشَى الرَّدَى وَكَأَنَّهُ بِكَ قَدْ نَزَلَ
اغفلت عن طلب النجاة وَلَا نَجَاةَ لِمَنْ غَفَلَ
هِيَّاتَ يَشْغَلُكَ الْمَنَى وَلَا يَدُومُ لَكَ الشُّغْلُ
وله أيضا في الزهد

أَرَى الدُّنْيَا تَصِيرُ إِلَى فَنَاءٍ وَمَا فِيهَا لَشَيْءٍ مِنْ بَقَاءٍ
فَبَادِرْ بِالْإِنَابَةِ غَيْرَ وَانٍ عَلَى شَيْءٍ يَصِيرُ إِلَى فَنَاءٍ
كَأَنَّكَ قَدْ حَمَلْتَ عَلَى سَرِيرٍ وَغَيَّبَ حَسَنَ وَجْهِكَ فِي الثَّرَاءِ
فَنَافَسَ فِي التَّقَى وَاجْنَحْ إِلَيْهِ أَمَّاكَ تَرْضَيْنَ رَبَّ السَّمَاءِ

الثالثة - قد صرح الفقيه أبو محمد بن حزم بدم هذا الأمير وقال
انه كان قذالاً تهون عليه الدماء مع كثرة اقباله على الخيرات وترك
المنكرات فانه احتمل على أخيه المنذر على ايثاره له وواطأ عليه
حجاجه بأن سم له المبضع الذي فصد به وهو نازل بمسكرة على
ابن حفصون ثم قتل ولديه مها بالسيف واحداً بعد واحد قتل محمداً
والد الناصر وقتل أخاه المطرف ثم قتل أخوين له مها أيضاً قتل هشاماً
منهما بالسيف والقاسم بالسم الى غير ذلك اه من ابن عذاري

☆ (٨ - عبد الرحمن الناصر) ☆

ابن محمد المقتول ابن الأمير عبد الله

من ٣٠٠ الى ٣٥٠ هـ

قتل محمد ابن الأمير عبد الله في ريعان شبابه وترك ولدا حديث عهد بالوجود اسمه عبد الرحمن ^(١) وقد سبق ذكر ذلك هذا الولد قد غنى بتربيته وتعليمه في القصر جده ^(٢) وكان يحبه ويؤثره على بنيه حتى باع أشدّه فكان يرشحه لولاية الأرملة وبقية مقامه أحيانا في أيام الأعياد لتسليم الزوار والجنود عليه حتى وصى أخيرا بولاية عهده له أمام الأمراء والوزراء وولاية الأقاليم فأنجذبت قلوب أهل الدولة والرعيّة اليه وأحبته لجمال سجايه الفطرية وكمال مزياده الكسبية ولما وقد نفوسهم من قتل أبيه شابا

فأما مات الأمير عبد الله أجلسوا حافده عبد الرحمن ^(٣) على كرسى الخلافة ولم ينازعه فيها أعمامه ولا أعمام أبيه بل كانوا أوّل من بايعه

(١) يقول كندى ان أمه مسيحية تسمى مريم أومارية وفي التواريخ العربية أن أمه أم ولد تسمى مزنة (٢) يقول كندى قد أحسن مربوه تربيته منذ نعومة أظفاره ووقد انتخبهم له جده فأقرعوه القرآن ولما بلغ الثامنة علموه السنة والنحو والشعر والامثال تاريخ حياة الملوك وسياسة الملك وعلوم أخرى اجتماعية — ثم علموه ركوب الخيل وفن الحرب عند ما أخذ يخطو في الحادية عشرة (٣) الحافد ابن الابن وكذا الحفيد

ووافق يوم توليته الملك يوم الخميس مستهل ربيع الأول سنة ٣٠٠
(١٥ أكتوبر سنة ٩١٢) وفي ذلك اليوم يقول أحمد بن عبد ربه
من قصيدة

بدا الهلال جديدا والملك غصن جديد
يا نعمة الله زيدي ان كان فيك مزيد
ان كان للصوم فطر فان لا مهر عديد

وكان عمره يوم ولايته ينيف عن اثنتين وعشرين سنة ٥ ودام
ملكه الى يوم الاربعاء ٣ رمضان سنة ٣٥٠ (١٦ أكتوبر سنة ٩٦١)^(١)
فتكون مدة حكمه نصف قرن ونصف سنة ونحو ثلاثة أيام

(١) قال روى (ص ٩٨ ج ٤) أن مدة حكمه ٤٩ سنة ويوم من ١٤ أكتوبر سنة
٩١٢ الى ١٥ أكتوبر سنة ٩٦١ وفي تقييداته أن امدته بالحساب الهجري ٥٠ سنة و٦ أشهر
الا ٣ أيام من خمسة ربيع سنة ٣٠٠ (٢٠ أكتوبر سنة ٩١٢) الى ٧ رمضان سنة ٣٥٠
(١٥ أكتوبر سنة ٩٦١) « اه وفي كلامه نظر فانه ذكر في أعلى صحيفته ان مبدأ تاريخه
(١٤ أكتوبر سنة ٩١٢ لا ٢٠ أكتوبر من هذه السنة وعلى حسابه الهجري تكون المدة
خمسين سنة وستة أشهر زائدة ثلاثة أيام لا ناقصة هذه الايام فانه بدأها باليوم الخامس من
ربيع وختمها في السابع من رمضان - « ومع هذا » المبدأ والنهاية مغايران لما هو مذكور
« في التواريخ العربية الصحيحة

وقد اعتمدنا في مقارنة التاريخ الهجري بالتاريخ الميلادي على التقويمات الالهامية
محمد مختار باشا المصري غير أنه جعل مبدأ ربيع سنة ٣٠٠ يوم الجمعة والتواريخ العربية
تثبت أنه يوم الخميس

كان أسلافه الأمويون في أسبانيا يلقبون بالأمراء فقط كن
تولاهم قبلهم منذ الفتح ولم ينزعوا إلى انتقال القاب الخلفاء في الشرق
مع انهم كانوا ملوكاً متفردين بحكوماتهم وأعداء للعباسيين وكانوا
يستعملون النقود الشرقية فلما تولى عبد الرحمن الثالث تلقب بالخليفة الناصر
أمير المؤمنين وضرب نقوداً جديدة كتب عليها اسمه وهذه الألقاب . قال
أبو الفداء « كان أبيض أشبه حسن الوجه وهو أول من تلقب من الأمويين
أصحاب الإندلس بالقب الخلفاء وتسمى بأمير المؤمنين وكان من قبله
يخطبون ويخطب لهم بالأمر وأبناء الخلفاء وبقى عبد الرحمن كذلك
إلى أن مضى من أمارته سبع وعشرون سنة (كذا) فلما بلغه ضعف
الخلفاء بالعراق وظهور الخلفاء العلويين بأفريقية ومخاطبتهم بأمير المؤمنين
أمر أن يلقب بالناصر لدين الله ويخطب له بأمير المؤمنين » (١)

وقال ابن خلدون « انه أول من تسمى بأمير المؤمنين عندما تلاشى
أمر الخلافة بالشرق واستبدت موالى الترك على بني العباس وبلغه أن
المقتدر قتله مؤنس المظفر مولاه سنة سبع وعشرين وثلثمائة (كذا)
فتلقب بالقب الخلفاء »

مأخذ عبارتي أبي الفداء وابن خلدون تاريخ ابن الأثير (٢)
وقد جاريه في أن سنة التلقب السابعة والعشرون بعد الثلاثمائة ونحو

(١) انظر حوادث سنة ٣٥٠ من تاريخ أبي الفداء ص ١٠٨ ج ٢

(٢) انظر حوادث سنة ٣٥٠ في الجزء الثامن

(١٧ - تاريخ العرب في اسبانيا)

منحى عبارة ابن خلدون المقرئ اسكنه خالفه في تاريخ هذه السنة كأنه يؤكده فقال « انه أول من تسمى منهم بالاندلس أمير المؤمنين عندما الثالث أمر الخلافة بالمشرق واستبد موالى الترك على بنى العباس وبلغه أن المقتدر قتله مؤنس المظفر مولا سنة سبع عشرة وثلثمائة فتلقب بألقاب الخلافة » وفي تاريخ قتل المقتدر في كليهما نظر فان المقتدر قتل في سنة عشرين وثلثمائة كما يتبين ذلك من كلام ابن خلدون نفسه على بنى العباس^(١)

خطأً روى أبا الفداء في سنة تلقب عبد الرحمن بألقاب الخلافة وأفاد أنه تلقب بهذه الألقاب منذ سنة ٣٠٣ وهالك تسريب ما أخذناه منه في هذا الموضوع^(٢) « في سنة ٣٠٣ (٩١٤) أمر عبد الرحمن الثالث بتغيير سكة نقود الذهب والفضة وكان أسلافه يحافظون على صورة وقلاب نقود خلفاء دمشق فكانت نقود اسبانيا لا تختلف عن نقود الشرق الا في تعيين السنة والمحل اللذين ضربت فيهما سواء في ذلك دنانير الذهب ودراهم الفضة وفلوس النحاس فلما جاء أمر أن يكتب على وجه منها اسمه وألقابه التي منها منذ سنة ٣٠٣ لقب الامام المختص بالخلافة (كذا) وعلى الوجه الآخر (الشهادتان) الاعتراف بوحداية الله وبرسالة نبيه محمد كما جرت العادة بذلك في الشرق من

(١) انظر ج ٣ ص ٣٩١

(٢) ص ١٠٢ ج ٤

قديم من عهد معاوية وأن يكتب على حافة أحد الوجهين السنة والمحل
الاذان ضربت فيهما ٠٠٠٠٠ لم يسبق لاحد من أسلافه أن تلقب
بأمير المؤمنين فقد دللنا وصف مدينة ماردة بين الآثار على أن عبد
الرحمن الثاني كان يلقب بالامير فقط فدعوي أبي الفداء بأن عبد
الرحمن الثالث ماتلقب بأمير المؤمنين الا في السنة الخامسة والعشرين
(كذا) من حكمه باطلة بأكثر من دليل وبخصوص المؤرخين الثقات
التي أوضحها نص (العبّر Elabar) ^(١) وهو « لما علم عبد الرحمن الناصر
الأمرى صاحب الأندلس درجة المجد التي ارتقى اليها المعز الفاطمي
(في أفريقية) وأنه تلقب بأمير المؤمنين ورأى من جهة أخرى انحطاط
خلفاء بغداد رأى امكان تسميته بأمير المؤمنين مثلهم ومن هذا الحين
أخذ لقب الناصر أيضا الى أن مات سنة ٣٥٠ للهجرة »

وقال ابن الشحنة في سنواته مع الصراحة

« وتسمى عبد الرحمن بن محمد بالناصر لدين الله مع لقب أمير
المؤمنين الذي أخذه في السنة الثانية من خلافته في الوقت الذي انحطت
فيه دولة العباسيين في الشرق من اعتداء (موالى) الترك عليهم وأسلافه
لم يلقبوا الا بالامراء » فقد صرح كلا المؤرخين بما دعا عبد الرحمن

(١) لا يعلم الاسم العربى الذى يعنيه رومى بهذا اللفظ الافرنجى الا أنه قال
في تقييداته « أنه بخطوط عربى من الاسكوريال Escuriat » - ولعل اسمه (العبّر)
فأنظر

الى التلقب بألقاب اسعى من ألقاب أسلافه وقد عزيا ذلك الى
أصليين ارتفاع سلالات (كذا) جديدة في افريقية وانخفاض العباسيين
في الشرق لاستبداد الجنود التركية بأمرهم من عهد المعتز بالله
(كذا) يوتون الخلفاء ويعزلونهم على حسب أهوائهم . فعبد الرحمن
الثابت هو أول من وضع اسمه وألقابه على النقود المضروبة في عهده .
كان يقرأ على أحد وجهيها في الوسط « لا إله إلا الله وحده لا شريك
له » وفي الخافة باسم الله ضرب هذا الدرهم في الأندلس في سنة ٣٠١
(٩١٣) (كذا) « وعلى الوجه الآخر في الوسط « الامام الناصر لدين
الله عبد الرحمن أمير المؤمنين » وفي الخافة « محمد رسول الله أرسله بالهدى
ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » (كذا)

وقد يرى على النقود العربية الاسبانية المضروبة في ذلك العهد
اسماء اختجّاب وربما دلّ هذا على اتساع دائرة نفوذهم . ذكر ابن
حيّان أنه كان يضرب من دراهم الفضة بقدر ما يضرب من دنانير
الذهب باسمه واسم حاجبه وكان يختلط باسم هذا في جوامع أسبانيا
ويرى من نقود المنصور فيما يأتى أن اسم الحاجب كان يوضع عادة
تحت (شهادة) وحدانية الله . . . الخ »

انتهى ما عرّيناه من كلام روى ولا يخلو من مغامر

(١) فان لقب (الامام) ليس مختصاً بالخلفاء فان أصحاب المذاهب
الاربعة يلقبون بالأئمة الامام مالك والامام أبي حنيفة والامام الشافعي

والامام أحمد بن حنبل ويقولون أيضا الامام الفزالي والامام الرازي
وامام المحققين وامام المصنفين اللهم الا ان يخصص بمن له السلطان
الديني والانيوي على المسلمين (٢) وان أبا الفداء لم يذكر سنة خمس
وعشر بن كما عزاها اليه روى (٣) وأول كلامه لا يطابق آخره ففي
الاول عيّن سنة ٣٠٢ (٩١٤) وفي الآخر أفاد أن النقود مكتوب
عليها سنة ٣٠١ (٩١٣) (٤) وانص (المبر Elabar) لا يقوم دليلا
لروى فان (المعز) الفاطمي لم يرتق الى الخلافة في أفريقية الا منذ
سنة احدى واربعين وثلثمائة (٥) وكان الظاهر أن يقول (ارتفاع
الفاطمين) بدل قوله (ارتفاع سلالات جديدة) (٦) والمعز بالله
الذي زاد اسمه على النصين اللذين جاء بهذا خليفة عباسي تولى سنة
٣٨٢ وشغب موالى الترك كان قبل هذا التاريخ أيضا (٧) وعبارته
اولا تفيد أن (الشهادتين) الاعتراف بوحداية الله وبرسالة نبيه محمد
تكتبان في وجه واحد وعبارته أخيرا تفيد غير ذلك

وقال ابن عذاري « هو أول من تسمى منهم بأمير المؤمنين وتلقب بأحد
اللقاب السلطانية وهو الناصر ثم تسمى منهم من كان بعده من خلفائهم
بأمرة المؤمنين وأثر اللقب السلطاني وذلك حين هاجت الخلافة العباسية
وضعفت وظهرت الدولة التركية والديلمية فصارت أمرة المؤمنين لا ثقة
بمنصبه وكلمة باقية في عقبه فاستعمل الخطيب في جامع قرطبة أحمد بن
بقي بن مخلد يذكر هذا الاسم المخلد يوم الجمعة الاول من سنة ٣١٦ »

وذكر في حداثته سنة ٣١٦ أن الناصر رأى أن تكون الدعوة له في مخاطباته والمخاطبات عنه بأمر المؤمنين فعهد إلى أحمد بن بقي صاحب الصلاة بقرطبة بأن تكون الخطبة له يوم الجمعة مستهل (كذا) ذي الحجة بالقب أمير المؤمنين ونفذت الكتب إلى أعمال بمثل ذلك في يوم الخميس لليلتين خلتا (كذا) من ذي الحجة سنة ٣١٦ وبهاك نسخة الرسالة النافذة في ذلك

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

أما بعد فإننا أحقُّ من استوفى حقه وأجدر من استكمل حفظه وليس من كرامة الله ما ألبسه للذي فضلنا به وأظهر أثرنا فيه ورفع سلطاننا إليه ويسر على أيدينا دركه وسهل بدولتنا مسامحه والذي أشاد في الاتفاق من ذكرنا وعلو أمرنا وأعلن من رجاء العالمين بنا وأعان من انحرافهم إلينا واستبشارهم بدولتنا والحمد لله وليّ الأنعام بما أنعم به وأهل الفضل بما تفضل علينا فيه وقد رأينا أن تكون الدعوة لنا بأمر المؤمنين وخروج الكتب عنا وروودها علينا بذلك اذ كل مدعو بهذا الاسم منتحل له ودخيل فيه ومقسم بما لا يستحقه وعلمنا أن التماذي على ترك الواجب لنا من ذلك حق أضعناه واسم ثابت أسقطناه فأمر الخطيب بموضعه أن يقول به وأجر مخاطبتك لنا عليه ان شاء الله والله المستعان وكتب يوم الخميس لليلتين خلتا (كذا) من ذي الحجة سنة

١٣١٦ هـ (١)

وذكر في حوادث هذه السنة أيضا أن الناصر أمر بإقامة دار
السكة داخل قرطبة لضرب الدينار والدراهم وولى خطتها أحمد بن
موسى بن جدير يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من رمضان وأقام
الضرب من هذا التاريخ وكانت مثاقيله ودراهمه عيارا محضاً من
خالص الذهب والفضة . فكلّام ابن عذارى صريح في أن عبدالرحمن
تلقب بأمر المؤمنين وأمر بضرب النقود في سنة ٣١٦ والظاهر أن هذا هو
النص صحيح الممول عليه ويؤيده ما قاله دوزي من أن عبدالرحمن أمر بأن يلقب
بالقاب (الخليفة وأمر المؤمنين والناصر لدين الله) وأن يخطب له على
المنابر بتلك الألقاب منذ يوم الجمعة سادس عشر يناير سنة ٩٢٩ (٢)

استولى عبد الرحمن الثالث على عرش الإمارة وأسبانيا قد تار
نأثرها رفار فآثرها ونبتت كورها طاعة قرطبة وتفرد الولاة
بولايانهم رقعاعرا أواخي التبج لبنى أمية فأطفا نيران الثائرين وكبح
جراح المخالفين حتى ثابوا إلى الطاعة واستقامت له البلاد لكن أقاليم
الشمال لم تدخل كلها في دائرة سلطانه بل بقيت جليقة في أيدي
الجلالة

(١) انظر ابن عذارى « ص ٢١٢ ج ٢ » ووفق بين قوله « يوم الجمعة مستهين
ذى الحجة » وقوله « يوم الخميس لليلتين خلتا من ذى الحجة » والظاهر أن قلعه عكس
التاريخين فوضع أحدهما موضع الآخر

(٢) انظر دوزي ج ٢ ص ٤٩

« غزواته الداخلة »

(فتح استجة) في جهادي الأولى سنة ٣٠٠ (ديسمبر سنة ٩١٢)
أغزى الناصر حاجبه بدر بن أحمد مدينة استجة فهدم سورها وفتحها
وولى عمالها حمدون بن بسيل

(فتح جيتان و البيرة) وفي هذه السنة أراد عبد الرحمن أن
يجبى ثمار النصر بنفسه ويقاسم جنوده تكاليف الغزو في ساحات
الوغي لينال معهم الفخر والمجد فقاد جيشاً جرّاراً الى جيتان في ٧ رمضان
(١٧ افريل سنة ٩١٣) ففرح الجنود بأمره وملكهم الشاب العظيم
وانتمشت أرواحهم بالحماسة ولما وصل الملك الى كورة جيتان علم أن
ابن حفصون اتفق مع الحزب الثائر في أرشدونة ففصل قسماً من جيشه
وأمره بالتوجه اليها سرّياً ليحول دمن مأرب ابن حفصون فتم ذلك
وخاب أمل الثائرين وحاصر السلطان حصن (المتلون) يوم الأحد
فأذعن له بالطاعة أمير الحصن سعيد بن هذيل يوم الثلاثاء وعقب
فتح هذا الحصن الحصين توالى فتح ثمانية حصون أخرى بدون ريث
ولا توقف منها (شمتان) و (نتيشة) و (الشارة) وأمرأوها عبيداً لله
ابن أمية بن الشمالية واسحق بن ابراهيم وعبد العزيز بن عبد الألى
وقد أذعن أمراء هذه الحصون كلها الى طاعة السلطان واستأمنوه
فآمنهم وبعث بهم ونسائهم وأولادهم تحميمهم كركبة من الفرسان
الى قرطبة وأقام في الحصون عمّالاً يثق بهم ثم انتقل الى كورة البيرة

وفعل بحصونها كما فعل بامثالها من قبل غيران حصن فنيانة (Pīnāna) توقف لأن من به من أشياع ابن حفصون أقدموا السكان بأن المدينة منيعة ومع هذا لم تطل مدة التوقف فانهم لما رأوا الجنود يحرقون أرباضها خابروا السلطان وقبلوا أن يسلموا اليه شيعة ابن حفصون كما طلب ثم توغل عبد الرحمن في السبل الوعرة من جبال (نقادة) فأخضع أمراء حصونها - حين ذلك علم ان ابن حفصون يهدد مدينة إلبيرة فبعث اليها مددا يساعدها على دفع اغارته عليها فلما علم حاميتها بقرب وصول المدد اليهم خرجوا ودفعوا المدد بالقرب من غرناطة حتى ألجؤه الى الهرب وأسر وأسر وحفيده عمر بن أيوب - في أثناء ذلك كان عبد الرحمن يحاصر حصن (شُبَيْس) ^(١) وقد التجأ اليه من فروا من الحصون الأخرى وكان من أعظم حصون ابن حفصون منيعة وأصعبها مسامدا ودام الحصار خمسة عشر يوما في نهايتها رضخ أهل الحصن لطاعة السلطان وأنزلوا اليه شيعة ابن حفصون فضرب رقابهم وأقام في الحصن من يدير عمله ثم سار في طريق إلبيرة ففتح مدينة (شلوبينية) ^(٢) وقصد حصن (استين) وحصن (بنة فراطة) وكانا أعز مسامدا من وكر العقاب يفرع منهما دائما سكان إلبيرة وغرناطة فاحدقت

(١) قال ياقوت شبليلس حصن حصين بالاندلس من أعمال البيرة قريب من بركة .

(٢) قال ياقوت بفتح أوله حصن بالاندلس من أعمال كورة البيرة

جيشه بها و حاربوها عشرين يوما حتى استولوا عليهما
تطهرت حينئذ كورتا جيآن وإلبيرة وما والاهما من الأشقياء
المفسدين وسرت في ربوعهم روح السلام وقد تسنى للسلطان ذلك
في نحو ثلاثة أشهر فقل راجعا إلى قرطبة ودخل قصرها يوم عيد الاضحى
(١٨ يولية سنة ٩١٣)

(فتح اشبيلية) بمسيرت عبد الرحمن بن ابراهيم بن حجاج صاحب
اشبيلية في المحرم سنة ٣٠١ (٩١٣) أقام أهلها أحمد بن مسلمة من سلالة
بنى حجاج خلفا له فبعث اليها الناصر جيستا تحت قيادة الوزير أحمد بن
جدير فحاربها وأوقع بأهلها عندئذ جاء قرطبة محمد بن ابراهيم بن
حجاج صاحب قرمونة وعرض نفسه على الخليفة لمحاربة أهل اشبيلية
فبعثه لذلك مع قاسم بن الوليد الكلبي فحاصرها شهرا . لما رأى
ابن مسلمة وأشرف اشبيلية أن المقاومة تطول ولا تجدى نفعا خابروا
بدرا الحاجب وكان قد حضر الممسكرا يساعدا الجيش المحاصر فوعدهم
بان حكومة قرطبة تحفظ للاشبيليين ما كان لهم من العادات والخصائص
في عهد بنى حجاج . حينئذ فتحوا أبواب المدينة يوم الاثنين ثامن عشر
جمادى الاولى سنة ٣٠١ (٢٠ ديسمبر سنة ٩١٣) فدخلها بدروهم
أسوارها وأصلح شؤون أهلها وأقام سعيد بن المنذر عاملا عليها^(١)

عاد محمد بن حجاج الى قرمونة مغاضبا لأن أمر اشبيلية لم يؤل
اليه وكان يترقبه فارسل اليه الناصر قائما صديقه الحميم يستقدمه الى
قرطبة فاقبضه فقبل بشرط أن يخلفه عامله حبيب بن سودة في قرمونة
ورجع الى الحديدة (في افريل سنة ٩١٤) فقلده الوزارة

وأما أحمد بن مسلمة فتقدم الى الشرطة العليا في قرطبة

(فتح قلعة) في يوم الاربعاء ثامن عشر ذي القعدة سنة ٣٠١
فتح أهل (الشعر) مدينة (قلعة) وكانت بأيدي المشركين^(١)
(فتح ربة) بعد فتح كورتى جيان وإلبيرة غزا الناصر كيرة ربة فافتتح
حصونها واسنأمنه أهلوها فأهزمهم ولم يذف امامه الا حصن (طرش)^(٢)
Talox وكان فيه ابن حفصون نفسه — ما كان يتوقع أن يفوز
عبد الرحمن سرهما في هذه الكورة كفهوزه في الكورتين السابقتين
لأن ابن حفصون نشر فيها لواء العصيان ونفخ في أرجائها روح
النصرانية حتى كاد ظل الاسلام يتقلص من ربوعها لكن سهل فوز
السلطان ما شهد فيه نصارى اسبانيا من معاملة رعاياه بالحسنى والعدل
سواء في ذلك المسلمون والنصارى وأنه كان يراعى شروط البلاد
المفتوحة ولا ينقضها وأنه كان يخفف المغارم التي طالما أثقلت كواهل

(١) ابن عذارى (٢) قال ياقوت « طرش » بفتح أوله وتشديد ثانيه
وضمه ناحية بالاندلس تشتهر على ولاية وقرى

الأهلين : في هذا حين قام أسطول به بأسر جال وهو استيلاؤه على
سفن ابن حفصون التي كانت تنقل اليه الاقوات من أفريقية في
أثناء عودة السلطان إلى عاصمته مرعي (الجزيرة) ثم على اقليم
شدونة وهو زور^(١) Moron - ثم وصل إلى قرمونة في اليوم الثامن
والعشرين من يولية سنة ٩١٤ وكان فيها حبيب القائم مقام محمد وقد رفع
لواء الثورة . فمن تلقاء نفسه كان العصيان أم بايعاز من أميره ؟
نرجحت مهمة الشق الثاني عند السلطان فمرز محمدا من مرتبة الوزارة
وأمر بزجه في السجن . حاصر المدينة عشرين يوما في نهايتها استأمن
حبيب وفتحت المدينة أبوابها أما محمد بن سجاج فاطاق سراجه
أسكنه لم يتمتع بالحرية طويلا بل مات في افريل سنة ٩١٥ م وبمؤنة
انقضت دولة بني سجاج بعد أن لعبت دورا عظيما في تاريخ
أسبانيا^(٢)

لزيادة البيان في غزوة الناصر السابقة تأتي بما ذكره ابن عذاري
فيها مع تصرف قال

(غزاة أمير المؤمنين إلى كورة رية والجزيرة وقرمونة) في ثامن شوال
هذه السنة (٣٠١) فصل غازيا فوجّه حاجبه بدرا إلى حصن (بلدة)

(١) بزاي معجمة بعد لواو الاولي وراء مهمة بعد الواو الثانية . انظر
الهامش الآتي — الاسم الافرنجى . أخذ عن دوزي

(٢) دوزي ص ٣٣٨ ج ٢

فألقى أهلها على غرة فقتل منهم وسبي وأسروا وتبرجوا الناصر نفسه
بجيشه إلى حصن (طارش) وحاصره أيتاما يعاديهما الحرب ويماسيهما
ويقطع تجارتهم ويحطم معاشهم ويقتل من تظاهروا منهم وأبقى الحصار
وتنقل إلى حصون رية ومعاقل ابن حفصون يتنبهها معقلا معقلا ويوقع
بأهلها المشركين وقائع عظيمة حتى ذهب كثير منهم وبعث برؤوسهم
إلى قرطبة وألقى لابن حفصون مراكب في البحر كانت تميرة من
العدوة فأحرقها وأسرع من كان بتلك الجهة من أهل (شاور) وفج
(وسيم) و(قالبيرة) و(القصر) وما انتظم بها من أحواز (الجزيرة)
إلى الدخول في الطاعة والاعتصام بها من الملكة فقبلهم وآمنهم وسكن
أحوالهم وتنقل منها إلى حاضرة الجزيرة^(١) ثم إلى كورة شدونة ثم إلى
كورة مورور^(٢) ثم أوفى على مدينة قرمونة فاحتلها يوم الثلاثاء مستهل
ذى الحجة وكان حبيب قد أظهر الخلاف فيها فحوصر عشرين يوما
حتى استأمن فأوهم وأخرج بأهلها وأثقاله إلى قرطبة وقفل الخليفة
إليها فدخلها يوم الاثنين الثامن والعشرين من ذي الحجة سنة ٣٠١
وفي هذه الغزاة بعث في قاسم بن وليد الكلبي صاحب الشرطة

(١) يريد الجزيرة الخضراء فإن أعمالها تتصل بأعمال شدونة كما في ياقوت

(٢) برأين بينهما وأوكنداني ابن الأثير وابن عذارى ولكن رأيت في ياقوت

مانعه « موزور » اسم المشعول من الوزواسم لكورة بالاندلس تتصل أعمالها بأعمال
قرمونة وهي عن قرطبة بين الغرب والقبلة كثيرة الزيتون والقواكه بينها وبين
قرطبة عشرون فرسخا

وكان قد خالف بقرطبة فسجن وسجن معه محمد بن ابراهيم بن
حجاج وعزل ابن مسلمة عن الشرطة العليا ووليها عباس بن أحمد
ابن أبي عبده اهـ

في سنة ٩١٥ (٣٠٣) أجذبت الارض وأعقب الجذب مجاعة^١
هائلة فوبأختي ان سكان قرطبة كانوا يموتون بالآلوف وكانت سواعدهم
عن دفن موتاهم وقد قام السلطان وأهل دوائه ولا سيما حاجبه بدر
بكل مافي وسهمهم لتخفيف ويلات الفاقة بكثرة الصدقات على ذوى
المترية — ولم يمكن أن يكون في هذه السنة غزو بل أن الناصر ضبط
أطراف البلاد وتحفظ برعاياه من عادية أهل الخلاف سكان الجبال
إذ كان يدفعهم الجوع الى شن الغارات على البلاد الموالية للخلافة
وفي آخر سنة ٣٠٦ للهجرة^(١) (مايو سنة ٩١٩ الميلاد) قضى
نحبه عمر بن حفصون بعد أن صرف هو ووالده حفصون نحو نصف قرن
في إثارة الثورات وشن الغارات على الامويين حتى كاد يشل عرش
ملكهم من اسبانيا ولذا فرحوا بهبوط انوائه — بموت عمر بن حفصون
لم تنقطع الحروب في اقليم رية بل مكثت عشرين سنين أيضا
ففي ذى الحجة سنة ٣٠٦ غزا الناصر مدينة (بلدة) فأحاطت
بها العساكر فانضم من كان فيها من المسلمين اليهم واعتذروا بأنهم

(١) كذا يؤخذ من ابن خلدون وروى كاسياني وفي ابن عساري أنه هلك سنة ٣٠٥

كانوا مغلوبين على أمرهم فأَمَرهم الناصر وقاتل النصارى المخالفين حتى ظفر بهم وملك المدينة

ثم انتقل الى حصون رية فتقرأها معقلا معقلا يفتح ماصر به منها ثم نزل على حصن يُبَشِّر فحاصره حتى سأله جعفر بن عمر بن حفصون الصلح وقدم اليه رهائن على طاعته وعلى أداء خراج سنوى فأجابته الناصر الى ذلك وقفل الى قرطبة فدخلها فى المحرم سنة ٣٠٧ وفى سنة ٣٠٧ احتل جنود السلطان بحصن طرش وكان به عبد الرحمن بن عمر بن حفصون فأسلمه اليه بدون قتال وتوجه الى قرطبة فأنزل وأكرم وكان غير داخل فى الحروب والفتن مدخل أبيه واخوته بل كان هالكا بالكتب ونسخها لحسن خطه

يؤخذ من دوزى أن جعفرا اقترف خطأ عظيما كان طالعه عليه نحسا : اعتقد أن والده اخطأ فى اظهار نصرانيته ونصرانية أسرته لانه بذلك أبعد قلوب المسلمين عنه . هذا لا ريب فيه لكن الامر وقع ولا مرد له وكان يجب أن يركن بنو عمر الى جنودهم النصارى دون المسلمين فان هؤلاء وقد انكشف الغطاء لهم عن بواطن أولئك لا يصافونهم . وفيما وقع عند حصار مدينة (بلدة) شاهدت دقنق ومع هذا كان جعفر يعتقد أن فى الامكان استرضاء المسلمين عنه برجوعه الى دينهم فأظهر الاسلام ولم يحسب حسابا لما يحيط به فكانت العاقبة وبالا عليه فان جنوده النصارى غضبوا عليه واعتقدوا فيه الاتحاد

فأمروا به وقتلوه سنة ٩٢٠ م وأعلنوا إمارة أخيه سليمان في بيشتر فبادر بالعودة اليها (وكان في جند السلطان) لكن كانت إمارة شؤما فقد ساد فيها الفساد وظه. فيها العصيان وطرده الثائرون من المدينة وأطلقوا سراح من سجنهم ونهبوا قصره لكن بعد يسير من الزمن علم أشياعه أنه دخل المدينة خفية فانضموا اليه وتغلبوا على أخصامه وانتقموا منهم شر انتقام ومع هذا لم يعيش زمنا طويلا بل قتله جنود السلطان أثناء مناوشة في فبراير سنة ٩٢٧ وخلفه أخوه حفص لكن دقت ساعة نحسه وجاءه جيش السلطان وسهر بيشتر من جميع الجهات وقطع معايشها حتى ألجأه بعد ستة أشهر أن يسلم المدينة في يناير سنة ٩٢٨ (في ذي القعدة سنة ٣١٥) فاحتلها الجنود وحملوه واسرته الى قرطبة ناقت نفس السلطان الى رؤية هذا الحصن المنيع الذي صد هجمات أربعة ملوك في مدة خمسين سنة فتوجه اليه بنفسه بعد شهرين من افتتاحه فراه جاثما كالعقاب على طود شاهخ ذا قلاع حصينة وأبراج تناطح السحب فأيقن ان ليس لهذا الحصن نظير في الأرض بأسرها وسجد لله شكرا على أن ملكه آياه

لم يخذش وجه فخار الناصر الا ضعف عزيمته أمام الخاف فقهاء اتبعوه وسألوه أن يخرجوا رفات عمر بن حفصون وابنه جعفر من قبورها فأذن فأزعجوا الاشلاء من نومها الابدى وبعثوا بها الى

قرطبة فصليت (١)

ثم استولى على المواقع التي كانت في أيدي المصوريين وأعدم
أفرادهم وأبقى على آخرين وبث بمن يخشى شرهم إلى قرطبة
وبذلك استقامت له بلاد رية

لم يكن الفوز وقاصرا في السنين السالفة على جبال رية بل كان
يجاوزها إلى عدة جهات أخرى ففي سنة ٩٢١ م استنزل الناصر
ذراري ابن مستنة من حصونهم في جبال باغة Priego وأخضع
بربر بنى المهلب في كورة إلبيرة وفي سنة ٩٢٢ م حاصر حصن مننت
روبي وكان من أمنع معاقل بني حفصون متوسطا بين جيان وإلبيرة
مشيدا على جبل شامخ يعزى إلى من رآه وطالما ألقى الرعب في قلب
الحكومة وكان سكانه يغيرون على اقري الحاضرة لهم وينهبونها
ويسفكون دماء أبناء السبيل ويسلبون أموالهم ولم يفتحه السلطان
إلا بعد أربع سنين من حصاره وفي سنة ٩٢٠ م اضطر عصاة كورة
بالنسبة إلى الطاعة وبعد سنتين أغزى الناصر قائده عبد الحميد بن بسيل
بني ذي النون فانتصر عليهم

رأى السلطان أن لا خرف حينئذ من جهة الجنوب فوجه كل
قواه إلى عصاة كورة أخرى فظفر بهم - ففي سنة ٩٢٨ م أغزى قائده
أحمد بن اسحق إلى كورة تدمير فانتصر عصاتها - وفي السنة التالية

(١) دوزي

(١٨ - تاريخ العرب في اسبانيا)

انتظمت باجة Beja في سلك الطاعة بعد أن قاومت خمسة عشر يوما ثم وجه السلطان جيوشه الى خلف بن بكر أمير أكشونية فأطاع والزم باداء الجزية في كل سنة

وفي سنة ٩٣٠ خضعت مدينة بطليوس بعد أن حاصرها جنود السلطان سنة كاملة وكان يحكم فيها أمير من سلالة ابن مروان الجليقي.

ليكون عبد الرحمن وارثا ملك أسلافه لم يبق عليه الا اخضاع مدينة طليطلة فبدأ بارسال وفد من الفقهاء الى أهلها ينبههم الى أنه ليس من الحكمة أن يتمادوا في غيهم ويصرروا على عصيان السلطان وقد دخلت جميع بلاد اسبانيا في الجنوب والشرق والغرب في دائرة طاعته فلم ينجح هذا الوفد في مسعاه فارسل الناصر في شهر مايو سنة ٩٣٠ وزيره سعيد بن المنذر الى طليطلة فحاصرها - وفي شهر يونية سار السلطان بنفسه يقود جيشا كثيفا الى هذه المدينة ولما قرب من حصن مورة أمر صاحبه أن يخليه فلم يسمعه الا أن يادر بتركه فاقام فيه عبد الرحمن حامية ثم حوّل معسكره الى جبل جرنكش بالقرب من طليطلة وأخذت عساكره تحطم الزرع والاشجار وتحرق القرى التي في الضاحية ومهاجم الطليطليين بشدة عظيمة ثم عاد السلطان الى قرطبة بعد أن أمر ببناء مدينة على هذا الجبل فاقامت وسميت بمدينة الفتح فعلم الطليطليون من بناءها ان الحصار يدوم فاستنجدوا بملك ليون

ولسكن جيشه صدته جنود السلطان - حينئذ أدركهم اليأس واشتدت
 بهم المجاعة فاضطروا الى فتح أبواب المدينة بعد حصار سنتين فعاد
 السلطان اليها ودخلها في أوائل أغسطس سنة ٩٣٢ وفرح السلطان
 بهذا الفتح كفرحه بفتح مدينة يشتر وشكر الله تعالى على ذلك
 ولزيادة البيان نعيد ذكر بعض الحوادث السالفة مأخوذة عن ابن
 عذارى مع تصرف فنقول

في سنة ٣١٤ (٩٣٦ م) أغزى الناصر قواده بالصوائف ولم يغز
 بنفسه في هذا العام لمحل كان فيه وقحط شديد فاخرج عبد الحميد
 ابن بسيل الى الثغر الذي كان به بنو ذى النون فوقع بهم اذ كانوا
 مرقوعين الطاعة فقتل بعضهم وافتتح مدينة سرتة^(١) فدرت جبايتها
 واستقامت ثم قفل عن الثغر وقد استقامت أحواله فاخرجه الناصر
 الى مدينة يشتر ليحاصر سليمان بن حفصون في جملة القواد المحاصرين
 له فعارض سليمان بعض المغيرين فتبادرت اليه الخيل من جهة عبد
 الحميد فصارع سليمان عن فرسه فاحتزوا رأسه وقطعوا يديه ورجليه
 يوم الثلاثاء مستهل ذي الحجة وبمشوا بأشلائه الى قرطبة فرفعت في
 خشبة عالية على باب السدة

(١) يضم فكسر فتشديد أو يضم فسكون ففتح مدينة بالاندلس متصلة الاعمال
 بأعمال شنت بربة وهي شرقي قرطبة منحرفة نحو الجوف بينها وبين طليطلة عشرون
 فرسخا — انظر ياقوت

وفيهما هلك العليج شائجة صاحب بيلونة وفيها كان القحط شديدا
والحمل عاما واستسقى بالناس أحمد بن يحيى رافقت الكتب الى السكور
في الاستسقاء فنزل الغيث

وفي سنة ٣١٥ (٩٧٧) غزا الناصر الى مدينة بيشتر لمحاربة
حفص بن عمر بن حفصون فنزل عليها بجيوشه وحاصرها وأقام على
حصارها بعض القواد ثم تنقل عنها الى مدن وحصون أخرى فافتتحها
منها مدينة مالقة ثم عاد الى بيشتر فشدد الحصار عليها بالبنيان حولها
وأقام عليها قوادا يضبطون طرقها ويعترضون من يدخلها ومن يخرج
منها حتي لا يدعوا للحنصونيين مرتقا ولا معاشا ثم عاد الى قرطبة
فدخلها يوم الثلاثاء لعشر بقين من جمادى الآخرة وقد استكمل
في غزاته هذه خمسة وستين يوما

لما اشتد الحصار على حفص بن عمر بن حفصون بمدينة بيشتر
وأحيط بالبنيان عليه من كل جانب كتب الى الناصر يستأمنه على أن
يخرج من الجبل فآمنه وجاء الوزير أحمد بن محمد بن جدير به وبآله
وحاشيته الى قرطبة فدخلها في مستهل ذي الحجة وعفا عنه أمير المؤمنين
وجعله من جملة حشمه ودخل جنود السلطان مدينة بيشتر اسبع بقين
من ذي القعدة وضبطها سعيد بن المنذر وأحكم شؤونها

وفي سنة ٣١٦ (٩٢٨) كانت زيارة الناصر ووليّ عهده الحكم
الى مدينة بيشتر ففصل من قرطبة يوم الثلاثاء للنصف من المحرم مارا

بطريق استعجة ثم اشونة حتى احتل بيستر يوم الاحد لعشر بقين من هذا الشهر فلما دخلها وجال في أقطارها وعان من حصانها وعالو مرتقاها وانتطاع جبلها ما أيقن معه ألا نظير لها في الأرض حصانة ومنعة أكثر من حمد الله على ما افتتح - وأمر بنبش جيقتى عمر بن حفصون وابنه فكشفت قبورها وألفيا مدفونين على ظهورها فأيقن من شهد ذلك من الفقهاء الغازين معه وغيرهم بأنهما هلكا على دين النصرانية فاستخرجا من لحودهما وأتى بأعظمهما إلى قرطبة ورفعت في جذوع عالية إلى جنب الملحد سليمان بن عمر وصاروا عظة للناظرين . وقد اناصر أمور مدينة بيستر سعيد بن المنذر واستنزل سكان حصون أخرى من أجبارهم وخرّبها ولم يبق للنصرانية بتلك الجهة حصن ولا معقل وعادت كورة رية ليس فيها جبل مضبوط ولا عذر محذور وأبعد إلى قرطبة من تخشى منه الفتنة ليكون الناس أمة واحدة ورعية ساكنة - وقدّم عبد الحميد بن بسيل إلى كورة شدونة لهدم حصونها وتبسيط أهلها وجههم إلى مدينة قلانة^(١) قاعدة الكورة - ثم قفل فدخل منية الناعورة يوم السبت لاهدى عشرة ليلة خلت من صفر سنة ١١٦ وقد استتم في سفره هذه ستة وعشرين يوما

وفي سنة ٣١٧ (٩٢٨) احتبس الغيث وظهر الممحل وغلت

(١) بفتح فسكون ناحية بالاندلس من أعمال شدونة — انظر ياقوت

الاسعار واستسقى بجامع قرطبة يوم الجمعة لليلة بقيت من المحرم . وفيها غزا الناصر الى مدينة بطليوس فقطع ثمارها وقتل كثيرا من أهلها وأحرق ما أخلوه من ديارهم خارج سورهم وحاصرهم عشرين يوما ثم أبى عليهم أحمد بن اسحاق وفريقا من الجند - ثم انتقل الى ماردة فأصاح أهوالها وولاهها محمد بن اسحاق - ثم عاد الى بطليوس ونزلت عساكره عليها من جهة أخرى وأضررها بشديد الحصار عليها - ثم انتقل الى باجة وحاربها ونصب عليها المجانيق وقتل كثيرا من أهلها وانحطت بعض أبراجها فاستأمن صاحبها عبد الرحمن بن مالک أمير المؤمنين فأمنه وأخرجه وأهله الى قرطبة ودخلها وولاهها عبد الله بن عمر بن مسلمة - ثم انتقل الى اكشونية بقرب الساحل الغربى فأطاع صاحبها خلف بن بكر فأقره الناصر وفرض عليه من الجباية ما اتزم ايراده له فى كل عام وعهد اليه بحسن السيرة والرفق بالرعية وألا يقبل نازعا ولا يكتنف هاربا فالتزم جميع ما أمر به - وقفل الناصر ودخل قرطبة يوم الأحد لأربع عشرة ليلة خلت من رجب

وفى هذا العام (٣١٧) افتتحت مدينة شاطبة من بلنسية

وفى سنة ٣١٨ (٩٣٠) افتتحت مدينة بطليوس واستنزل صاحبها

ابن مروان الجليقى وأهله الى قرطبة .

وفىها بعث الناصر وفدا من الفقهاء وذوي الثقة الى الطليطليين

يدعوهم الى الطاعة والدخول فيما دخلت فيه الجماعة فلا ذوا بمعاذير

المخادعة وجاوبوا الناصر بما لم يجهل اليه فبعث اليهم الوزير سعيد بن
المنذر في جيش عرمرم فحاصر طليطلة ثم فصل اليها الناصر بنفسه في جيوش
كثيفة يوم الخميس ثاني جمادى الاولى واستولى في طريقه على حصن
مورة ثم احتل محلة جرنكش بقرب طليطلة ثم نزل محلة المقبرة على باب
المدينة فشد الحصار على أهلها وضايقهم مدة سبعة وثلاثين يوما قطع فيها
نمارهم وخرب قراهم وحطم زروعهم ثم أمر سعيد بن المنذر ببناء
مدينة في جبل جرنكش سماها بالفتح وأمر بنقل الاسواق اليها ثم أقام
محمد بن سعيد على باب القنطرة في فريق من الجيش وعهد اليهما
بالمباغة في محاربة القوم - ثم قفل الناصر عن مدينة طليطلة ودخل
قرطبة يوم الاثنين لاربع خلون من رجب

وفي سنة ٣١٩ (٩٣١) بعث بالخيال الى القواد المحاصرين
طليطلة وأمدّهم بالسلاح وأمرهم بالجد والعزم في نكابة المحصورين
وفيها (٣١٩) بلغ المحاصرين عزم الطليطليين على الخروج
لانتهاز فرصة في ثغور المسلمين ففر اليهم الوزير أحمد بن محمد بن
جدير من قرطبة في جملة من الجنود فلما بلغهم خروجه سكنوا .

وفي سنة ٣٢٠ (٩٣٢) فتح أهل طليطلة أبوابها للناصر فان
الحصار لما طال واشتدت وطأته عليهم استنجدوا بنصاري الشمال
فلم يغنوا عنهم شيئا ولم يكشفوا عنهم ضرا بل هزمهم القواد المحاصرون
فلما يئس الطليطليون من أن ينصرهم أحد استأمنوا أمير المؤمنين

فسار اليهم يوم السبت لاربع عشرة ليلة خلت من رجب حتى نزل
محلة جرنكش فلقاه صاحبها ثعلبة مستقيلا من زاته فعفا عنه ثم آمن
أهل طليطلة وخرجوا الى الممسكر وابتاعوا المهايش التي طالما أجهدهم
عدمها ثم ركب الناصر الى المدينة ودخها وجال في أقطارها فرأى
من حصانتها ومنعتها مادعا الى شكر الله تعالى كثيرا على فتحها ثم
أمر بإقامة بناء محكم ليكون مستقرا للأنواد الملازمين فيها وأقام على
البنيان قائده دري بن عبد الرحمن ولأهله رجالا وسلاحا وتردد
في ربوعها ثمانية أيام يصلح شؤونها ويسوس أمورها حتى خلت
بالمدينة طمأنينة وفتح أهلها الطوائف وانتشروا في الأسواق
آمنين والحمد لله ثم قفل الناصر فدخل قصر قرطبة يوم السبت لعشر
بقيين من شعبان

وفيها (٣٢٠) مات الحاجب موسى بن محمد بن جدير للنصف من

شهر صفر

يروى روى وكندى تاريخ عبد الرحمن الثالث في العشرين
سنة السالفه بلسان آخر فيؤخذ منهما ما يأتي :

كانت أسبانيا لأول إمارة عبد الرحمن بن محمد تتنازعها قوى
مختلفة فأبناء حفصون تغلبوا في أسبانيا الشرقية على الأرض التي يرونها
نهر إبرة المتوسط على الجانبين وبعض رؤساء القبائل في الجنوب نبذوا
طاعة الإمارة الأموية وأهل طليطلة ما كانوا لها خاضعين وأولاد

أذ فتش الثالث كانوا في الشمال يفتسمون حكومة أيهم فقسّموها الى ثلاث ممالك فأخذ منهم غربية الأرض التي بين نهر دويرو واستوريا والبراري القوطية المسماة قپوس Campos وجعل عاصمتها ليون وأردن تملك على جليقة وفرويلة على استوريا فأول عمل غنى به عبد الرحمن ان هدأ اسبانيا المضطربة فدعا المسلمين لجهاد أبناء حفصون المخالفين في طليطلة واسبانيا الشرقية فاجتمع تحت رايته جيش كثير العدد والعدد يبلغ أربعين ألف رجل فقاده عمه المظفر حتى دخل إقليم طليطلة واستولى على قلاع كانت بأيدي الحفصونيين ولم يجرأ ابن حفصون على المقاومة بل التجأ هو ورجاله الى اسبانيا الشرقية تاركا لابنه جعفر الدفاع عن المدينة العظيمة التي انخذها في قاب اسبانيا مجنّاً وعضداً لحزبه . عندئذ رأى الأمير ان محاصرتها تطول لوفرة مؤنّها المدخّرة وان كان ثباتها زمناً طويلاً ففضّل أن يتركها ويقتفى آثار أعدائه فلما أدركهم رتب المظفر فرسانه فتولى إمرة المقدمة وأعطى القلب للأمير ابن أخيه والميمنة للوالى عبد الرحمن بن بدر والميسرة الى جهنّور بن عبد الله والمؤخرة والعساكر الاحتياطية لعبيد الله بن النعمري . كانت جنود ابن حفصون أكثر عدداً يقودها شجعان اسبانيا الشرقية وجبال تدمير والبيرة لكنّها كانت أقلّ سلاحاً وخيلاً تقابل الجيشان في سهل متسع يمتد بين طليطلة وجبال قونكة Cuenca وأخذت الطلائع تتناوش ثم التحم الفريقان مع صرخات أفرعت

القلوب وصيحات أبواق ارتعدت منها الفرائص ودارت رحي الحرب
طويلاً إلى أن رجح جيش الأمير واختل نظام جيش ابن حفصون
وتبدد شمله تاركاً في ميدان القتال سبعة آلاف بين قتيل وجريح
ملتجئاً إلى حصنه قوائكة وخسر جيش قرطبة نحو ثلاثة آلاف رجل .
أمر الأمير أن يعتنى بالجرحى من الفريقين ثم عاد إلى قرطبة يحيط به
الحرس تاركاً عمه المظفر يداوم الحرب مع الحفصونيين . هذه أول
واقعة شهدها الأمير

أخضع المظفر في غزوته هذه إقليم طليطلة من السفوح
الشرقية لجبال الشارات إلى إقليم تدمير ماعدا مدينة طليطلة وكثيراً
من مدن إسبانيا الشرقية فانهم لم ترض إلا بامارة غاب بن عمر
ابن حفصون

وقعت هذه الحوادث في السنتين الأوليين من حكم عبد
الرحمن الثالث

في أثناء ما كان المظفر يحارب الحفصونيين في الشرق على شواطئ
نهر إبرة كان عبد الرحمن يقود جيشاً مؤلفاً من فرسان قرطبة ومن
أحراسه إلى الجنوب نحو جبال البحر ليخضع العرب المخالفين المستأثرين
بأفياء^(١) الحكومة وثمرات البلاد وهم الذين عرفناهم فيما سبق يتحصنون
في جبال البيرة وشمستان ورندة ويزدرون بالأسراء السالفين ويوالون

(١) الأفياء جمع فيء ويراد به الخراج

اغاراتهم على أراضى الموالين لحكومة بنى أمية . نجح الأمير في غزاته هذه وفتح البلاد بشهرته وسياسته ذات اللين والمجاملة وكان يفعل بذاته ما يفعله جيش بسلاحه فقد كان يأتيه كثير من رؤساء القبائل من تلقاء أنفسهم طائعين ملتزمين رضاء سائليه سلاحا يقسمون انهم يستعملونه بصدق في الذود عن بلادهم وحفظها خاضعة لسلطانهم فكان يرحب بهم ويجذب قلوبهم بخطبه البليغة الى درجة انهم كانوا لا يودون ان يتركوا معسكره ويودون أن يقاسموه تكاليف الحرب وأخطارها

قد أثر هذا المسلك الحسن في تهدئة البلاد المضطربة أكثر مما كانت تفعله قوة السلاح حتى أن المحاربين الحفصيون الساكنين في هذه الاصفاع مدوا أيدي الطاعة لبيد الرحمن فتقبلهم بما فطرت تايه نفسه من الحسنى ناسيا عصيانهم وما جرّوه على البلاد من المصايب وخصص لكل منهم عملا يليق به فانتقلوا يرتقون الفتوق التي اتعت من جرّاء الحروب الأهلية وشقاق القبائل . وكان من الرؤساء ذوي الشأن الذين أتوا طائعين في هذه الغزاة الوالى أحمد بن محمد بن أضحى الهمداني الذي كان قائد المعصاة في جبال البيرة فتقبله الأمير قبولا حسنا وقادّه قيادة الحامة وسراء قريبا يعود الى الثورة ومنهم عبيد الله بن أمية وكان صاحب قزونة ومن أتباع حفصون فلما جاء مطيعا وهو من الاشراف قلّده الأمير ولاية جيتان

بعد ان زار الامير بلاد البيرة كلها بدون أن يجده قوماً من أي جانب
وبعد أن أخضع رؤساء العصاة الاقوياء وبعد أن فتح ما بنيف عن
مائتي مدينة عاد الى قرطبة وأعاد من صحبه من الرؤساء والقوادى
مراكزهم وكان دخوله فيها يوم عيد وسرور عام وقد استغرقت غزاته
هذه سنة (٣٠٣ — ٩١٥)

لم يذكر المؤرخون حروباً بين المسلمين والنصارى في السنين
الاولى من حكم عبد الرحمن الثالث ويظهر أن السلم الذي كان بين
عبد الله واذفنش الثالث استمر مدة غزاه كلها أى لغاية يناير سنة
٩١٤ على الأقل

جاء عبد الرحمن الثالث بأعمال جليلة في أول حكمه فغلب شؤن
الجوامع والخطابة فيها وضرب نقوداً جديدة وضع عليها اسمه وألقابه
ونسخ القرآن بيده وشرحه وفسره للناس بنفسه وأمر بإنشاء جوامع
في قرطبة وغيرها من ممالك الأندلس وبإصلاح القديم منها وإنشاء
نافورات ماء من الممر الجميل في جوامع قرطبة واشبيلية ومحيط
بهذه النافورات بؤح يفرس فيها شجر البرتقال والآس وغيرها وأمر
بإصلاح قنطرة النهر الكبير المغليمة المؤدية الى (مسقيّة Mesquita)
وخليق بالذكر وجد يرثقه الامير من اختاره لإدارة هذه الاعمال
وهو نصار أبو عثمان فإنه أهل لكل اجلال لاسيما في هندسة الابنية
وتصريف المياه وصيانة الطرق والمناظر

في أثناء ما كان عبد الرحمن يقوم بهذه الاعمال في قرطبة كان عمه المظفر يسيس في الحيام في اسبانيا الشرقية متعقبا عصاة ابن حنصون في هذا الحين جاء الامير كتاب من عمه يخبره بانه غلب العصاة في كل جهة وانهم التجؤا الى الجبال ولا يجرءون علي دخول القرى الا خلفه ومع هذا يدعوهم الى الخضوع لتمام اخضاعهم وتوطيد دعائم الراحة والامن في البلاد وانه ينبغي لاجل ذلك ان يجمع الخيل والرجل من كورة تدمير ويطارد بهم العصاة ويقسو عليهم ويدع معهم سياسة اللين والرحمة جانبا فثم لا يدر كونها ور بما عدوها ضعفا من اجل هذا الكتاب كتب الامير الى قواد بلاد تدمير وبلنسية الطائمين ان يأخذوا أهبة الحرب في أول فصل الربيع لغزو البلاد التي لازالت في قبضة العصاة ثم توجه الى كورة تدمير فقبول مع تهليلات القريح والسرور من سكان المدن مرسية وأريولة ولورقة وكتندة^(١) Kenteda وزار المدن إشب وداية وشاطبة ونوله^(٢) Nules وطرطوشة وكان يُقابل في كل مكان بملازم لاقتراح — واقتفى شواطى نهر إبرة الى أن وصل الى القنت Elcanith ووقف فيها زمنا يستقيل رؤساء القبائل الذين أتوا اليه طائمين وكانت قصت عليهم الاحوال بالاندماج في حزب أبناء حنصون ثم رحل عنها في

(١) كتندة بلدة بالاندلس كانت بها وقعة مشهورة بين المسلمين والفرنج سنة ٥١٤

(٢) قال ياقوت نوله بكسر أوله وفتح ثانيه حصن من أعمال مرسية بالاندلس

جيش كشف حتى وصل في وقت قريب أمام مدينة سرقسطة وأغالب
ابن حفصون فيها أشباع كثيرون واسكن أغلب سكانها شهر وأميالهم
الى الامام عبد الرحمن الناصر وفتحوا أبواب المدينة وقدّموا أنفسهم
لرحمة الخليفة فلقبهم بما جبل عليه من الرأفة وشمل جميع السكان بعفوه
حتى الحفصونيين ولم يستثن الا أبناء حفصون أنفسهم فان العفو عنهم يقتضى
رابط وثيقة — وفي اليوم التالي دخل عبد الرحمن سرقسطة وكان
دخوله يوم عيد عند الاهلين وأقام في قصرها أياما اخلاذا الى الراحة
مسرورا من وضعها ومزارعها الجميلة — وقتئذ أرسل اليه ابن حفصون
قائدين يخبرانه في الصباح فقابلهما الامير في معسكره على شواطئ نهر
ابرة غير محتفل بهما فعرض عليه أكبرهما بأدب أن الامير حفصون
يرغب أن يعيش بسلام مع الأمير عبد الرحمن وأنه يأسف على الدماء
المسفوكة في هذه الحروب وأنه في مقابل ذلك يتعهد بالدفاع عن
حدود هذه الجهة ويساعد الامير بمجنوده عند الحاجة وأنه يقدم برهانا
على اخلاصه أن يسلم طليطلة وهو سقار Huescar وجميع الحصون
التي في قبضته — فأجابهما الامير بثبوت أنه يألم من أن يرى فردا من
رعيته شاقا عصا الطاعة بجرأ على أن يعرض على ملكه أمير المؤمنين
شروطا للصالح ويسلك مسلك أمير — ارجعوا وقولا له ان لم يأت طائعا
في ظرف شهر لا أقبله بعده أبدا — رجع الرسولان بجران ذيل الخيئة .
بعد أن رطد الأمير دعائم الحكومة في سرقسطة وأقام عمه

المظفر فيها كى يوالى الحرب على الحدود عاد الى قرطبة زائرا فى طريقه
قسما كبيرا من اسبانيا الداخلة

لما حلّ ركابه فى قرطبة قابلته الامة بتبليلات الفرح والسرور
لكن كدّر صفوهم ان جاءت أنباء تفيد بان عصاة جبال رندة قاموا
بحركات جديدة تحت قيادة ابن أضحى الهمداني^(١) وأن أكثر من مائة
مدينة دخلت فى طاعته وسبب ذلك أن وزيرا دخل اقليم رندة ومعه
فئة من العساكر وأجبر الأهلىن على دفع المتأخر عليهم من غلال
الزكاة^(٢) فكبر هذا الأمر على عظماء العرب والمولدون فثاروا
وقتلوا أغلب الفئة واتسعت دائرة الثورة واجتمع شيوخ هذا الاقليم
واختاروا ابن أضحى رئيسا عليهم واقبوه بالذمر^(٣)

غضب عبد الرحمن من خيانة الذمر وأشياءه وليعاقبهم ويدفع
غائلتهم عن المدائن الموالية له والمضطهدة منهم سار فى جيش مؤلف
من فرسان قرطبة وجنود استجة وغيرها فأجلى العصاة عن المدن التى
احتلوها ودفعهم الى الجبال ثم دخل جيان يوم الخميس رابع عشر
شعبان سنة ٣٠٦ (١٩ يناير سنة ٩١٩) ليستريح من مطاردة العصاة
وليعهد الى واليها باخضاعهم ثم عاد الى قرطبة ومعه شاعر يسمى

(١) سبق ان هذا جاء الامير طائما فقلده ولاية الحامة

(٢) يعنى خراج الارض (٣) يقول روى Somor فمر بانه بالذمر ككتف

أى الشجاع فحقق

أغلب بن شعيب

ما استقر قراره بقرطبة حتى جاء نبا من عمه المظفر يخبره بفوزه
على الحفصونيين وموت غالب بن حفصون في حصن من اقليم وشقة
في آخر سنة ٣٠٦ (مايو سنة ٩١٩)

وقد خلفه ولدان سليمان وجعفر فحمد الله عبدالرحمن على موت هذا
الطاغية اباذر بذور الشقاق بين المسلمين

في الوقت عينه حل وباء باسبانيا والمغرب خرب ابلاد وأهلك
العباد وعكف الناس على المساجد يتضرعون الى الله أن يدفع عنهم
سبل هذا البلاء الجارف وقد مات فيه اسماعيل بن بشير Boshair
امام جامع قرطبة الكبير وكان مشهورا موقرا فدفن في مشهد حافل
ومع هذه الداهية الدهماء هبت زوابع شديدة مكثت أياما حتى
اجتشت اشجار وقوضت بيوتنا . مع اتياب هذه الكوارث لازالت
الممارك تتعاقب بين والي جيّان لب بن عبيد الله والذمر والى الخامة
وقائد عصاة جبال إلبيرة حتى استنجد لب بوالي قره ونة اسحاق بن
ابراهيم بن صقر العقيلي لكن لم تجد مساعدته نفعا بل قهرها الذمر
وكاد ينقض على جيّان . حينئذ جاء اسحاق قرطبة وبع الأمير أبناء
هذه الممارك المحزنة فجمع عساكره وقادهم بنفسه الى جيّان فما وسم
العصاة الا أن يتركوا أرضها ويلتجئوا الى جبالهم وأدرك الذمر وأصحابه
المخلصون له حصن الخامة فحصره الخليفة فيه وكانت حوائطه ثخينة جدا

ومحصنة بالابراج فأمر الأمير جنوده أن يثاموا فيها ثلثة بالمعاول والنار ففعلوا ودخلوا المدينة وقتلوا رجالها ووجدوا بين جثث القتلى الذمير مغطى بالبروح يكابد سكرات الموت فأحضروه الى عبد الرحمن فأمر بقطع رأسه وارسله الى قرطبة وكان ذلك في أول سنة ٣١١ أو آخر سنة ٣١٠ أى في فصل الربيع من سنة ٨٢٦^(١) للميلاد في افريل أو مايو ثم توجه الامير من الحامة الى غرناطة ووقف فيها أياما اذ راقه جمال موقعها على نهر (الشنيل) في راد خصيب ذى بساتين بهيجة وأمر أن يبنى فيها مسجد جامع ونصب أبا حسن علي بن عمر المر واني قاضيا لها

بعد موت الذمير قطع سكان برجالة وجبال (نقادة) كل أمل في المقاومة فأتوا خاضعين بين يدى الخليفة معترفين بسلطانه وعلوشانه بعد أن سكن عبد الرحمن اضطراب جنوب اسبانيا حول انظاره الى فتح طليطلة وقد مكثت زمنا طويلا في أيدي أبناء حفصون . رأى ان منعها تحول دون الهجوم عليها وفتحها عنوة فعمد الى وسيلة أخرى وهى التضيق عليها بالحصار الحازم وقطع معايشها حتى تضطرها المغمصة الى التسليم فأمر عبد الله بن يعلى Italy^(٢) والى

(١) كذا في روى « ص ١٣٠ ج ٤ » وهو سهو فان سنة ٣١١ تنحصر في سنة ٩٢٣

وسنة ٩٢٤ كما في التقويمات

(٢) كذا في روى « ص ١٣٢ ج ٤ » ويقول في موضع آخر « ص ٢٠٠ ج ٤ »

(١٩ - تاريخ العرب في اسبانيا)

سُرّة Zurita بأن يقود جيوش طليطلة وقامّة رباح الى طليطلة
ويتلف مزارعها ويحاصرها بشدة فأخذ هذا يجول في ضواحيها
وجيوشه تقطع الزروع والنخيل والأعشاب وتمنع الطليطليين من جنى
ثمراتهم واستمر ذلك سنتين حتى ان جعفر بن حفصون الذي كان
يدافع بشخصه عن المدينة رأى انه لا يمكنه المحافظة عليها بدون مؤونة
لكن كبر عليه ان يرى مضطرا الى تسليم نفسه الى أعدائه فجمع
ما يستطيع من النقود وعهد بالدفاع عن المدينة الى أحد قواد وخارج
منها وقد أخذت طلائع الصباح تهزم جيوش الليل مع نخبة من جيشه
وبعض أخصائيه متجنبين لقاء أعدائه لضعف قوته

وذلك انه في السنة الثالثة من الحصار أمر الخليفة ولاية ماردة
وبالنسية ان يرسلوا أمدادا الى عبد الله فاجتمع جيوش كثيفة حول
طليطلة وحلّ معسكر كثير العدد في جهة الجوف أو الشمال وهو الجانب
الوحيد الذي يمكن منه أن تهاجم المدينة فان مياه التاجية لا تحيط به
وأما الجهة الذي يجري فيها النهر فكان يظهر المحاصرين انها منيعة
فان الجبل التي هي عليه مرتفع غير مطروق ، حينئذ رأى عبد الرحمن
أن حان الوقت المناسب ليحاصر المدينة بنفسه فموجه مع حرسه
ونخبة من أشرف قرطبة الى معسكر طليطلة فأثر حضوره في نشاط

عبيد الله ابن احمد بن يعلى Yali وينكر ابن عذارى « ص ٢٣٥ ج ٢ » ان من
قواد الناصر عبد الله بن أحمد بن يعلى

المحاصرين وتشديد الحصار ولما لاحظ أنهم استولوا على الجزء الأعظم من مبنيات قديمة (ربما كانت قوطية) قائمة بين المعسكر والمدينة أمر بهدمها - صارت طليطلة حينئذ مضغوطة عليها بشدة من الجهة التي يمكن أن تؤخذ ومحدداتها بهمة زائدة على طول الجانب الذي يرويه نهر التاجه حتى صارت كل مقاومة مستحيلة لما رأت المدينة أنها محاطة بجيوش من نخبة اسبانيا الجنوبية وان المجاعة حلت بها افتركت في أن تسلم وفكر ابن حفصون في إيجاد طريقة يتخلص بها من المدينة التي أحدهت بها الجيوش السلطانية وضيق دائرة الحصار عليها فجمع كبراء المدينة للتشاور في الأمر فكان من رأى عقلائهم أن يتركوا أنفسهم الى رحمة الخليفة . وليحسنوا الاعتذار عن مقاومتهم العنيفة الطويلة رأوا من المناسب أن يسهوا صباح يوم الهروب على ثلاثة أو أربعة آلاف من الشجعان المدافعين عن طليطلة وان يفتحوا في الحال الابواب لعبد الرحمن - استحسن جعفر هذا الرأي وأخبر به رفقاءه وشجعهم على اتباعه بدون مهلة منذ فجر اليوم الثاني

لاح الفجر والنوم راخ سدوله على المعسكر لكن بعض الخيل انتبهت من ضوضاء سير في الأرض وقد قرب الصباح فصهلت في مدخل الخيام وقد خرج بغتة ألفا فارس وفتحوا لأنفسهم ممرا في خلال معسكر العدو وكان كل فارس يردف وراءه راجلا وقد كاد ينجو نحو أربعة آلاف رجل في خلال هرج ومرج الا أن أفرادا منهم

أُمنِسُوا . وقد حمل عساكر قرطبة كلهم السلاح غير أن الخليفة لما أدرك أن جعفرًا وجنوده هربوا من طليطلة منع جنوده من أن يقتفوا آثارهم وقوى أمله في الدخول حالا إلى المدينة . وقد تحقق هذا الأمل في اليوم عينه فتدحضر إليه رسل من أهل المدينة يلتمسون عفوهم ويعتذرون فعفا عنهم وعذرهم لأقامتهم في المدينة وخروج ابن حفصون وجنده منها واستأمنوه على أرواحهم وأموالهم فأمنهم وفتحوا له أبواب المدينة فدخلها في موكب حافل فقبول من الأهلين بتلهيلات الفرح والسرور من كل جانب وقد وافق دخوله المدينة سنة ٣١٥^(١) (٩٢٧) بعد أن مضى عليها ما يزيد عن ٤٢ سنة وهي خارجة عن حكم الأمويين وقد عهد بحكومتها إلى عبد الله أول محاصريها ورجع منصورا إلى قرطبة في نهاية هذه السنة ٣١٥

﴿ حروبه الخارجة ﴾

استطاع عبد الرحمن الثالث أن يطفى نيران الثورات المشتعلة في أنحاء الأندلس في نحو إحدى وعشرين سنة وكان خاتمة ذلك فتح طليطلة في سنة ٣٢٠ كما قصصنا ذلك آنفا . لم يكن بزعم أركان دولته هذه الثورات وحدها بل كان يهدد كيانه أيضا قوات

(١) اختلف المؤرخون في تاريخ فتح الناصر طليطلة فمنهم من يذكر أن فتحها كان في سنة ٣١٥ كما في رومي وابن الأثير وأبي الفداء ومنهم من يذكر الفتح في سنة ٣٢٠ كما في دوزي وابن عذاري فابحث وحقق

مجاورتان لها وهما مملكة (ليون) القديمة في شمال اسبانيا ودولة
الفاطميين الحديثة في افريقية ^(١) فكان بينهما وبين دولة الامويين
حروب

ففي أول ولاية عبد الرحمن الثالث لم يكن في عزمته غزو
الليونيين (الجالقة) ومع هذا بدأ الاندلسيين بالعدوان فان ملكهم
(أرْدُن) الثاني عاث بجيوشه سنة ٩١٤ م (٣٠٢ هـ) في أرض
ماردة يحرق ويقتل حتى استولى على حصن (الخش) ^(٢) وضرب
رقاب حاميته واستعبد نساءهم وأولادهم ففزع أهل بطليوس من
ذلك فجمعوا هدايا نفيسة وقدموها اليه فقبلها وانصرف منصورا مثقلا
بالغنائم واجتاز نهر التاجة ونهر دويرة وعاد الى (ليون) وبني
كنيسة للعدراء شكرا على فوزه

فأراد عبد الرحمن أن ينتقم من رْدُن لأهل ماردة وان لم يدخلوا
في طاعته ليجذب قلوبهم اليه فاغزى الى أرض ليون في يوليو سنة
٩١٦ (٣٠٤) جيشا تحت قيادة الوزير ابن أبي عبده فوطئ اونكي في
الاعداء وغنم وسبي وعاد سالما

ثم أغزاه اليه ثانية في السنة التالية لان سكان التخوم شكوا من احراق
الليونيين قرى طلييرة على نهر التاجة وأمره أن يحاصر قلعته العظيمة

(١) انظر الذخيرة الاولى الآية (٢) كذا الاسم في تاريخ بن خلدون ويقول

(١) شنت اشتيبن (San Estevan) (١) ويسمونها قاشتر مورش
فقاد ابن أبي عبده جيشاً كثيفاً قسمه من عساكره بربر جلبهم السلطان
من طائفة فشدد الجيش الحصار على هذه القلعة حتى كادت حاميتها
تخضع وتسلم لولا أن أنجدها أردن فجاءوها جيم بخيله ورجله ابن
أبي عبدة. وكان في جيشه ممن لا يعتمد على شجاعتهم ولا ولائهم سوى
البربر كثير من أهل الثغر ذوى النفاق فصاحوا وأظهروا الهزيمة
وتبعهم غيرهم وأخلوا بنظام الجيش لكن ثبت القائد ومن كانوا على
شاكته من الأبطال ودافعوا وآثروا الموت في حومة الوغي على عار
الفرار فقتلوا جميعاً وقال بعض المؤرخين أن الباقين من جيش المسلمين
اتحدوا وخرجوا بدراهمهم وأثقالهم إلى أرضهم سالمين (٢)

لم تقطع هذه الكارثة حبل الأمل من عبيد الرحمن بل أخذ
يتأهب لإعادة السكرة على الليونيين في السنة التالية لكن صرفه
عن ذلك وقوع الخلاف في انحاء الأندلس وما هو حاصل في أفريقية
من اغارة الفاطميين على بلاد المغرب فخشى أن تم لهم فتحها أن يولوا
وجهتهم نحو أسبانيا فطفق بمد يد المساعدة إلى أمراء هذه البلاد
حتى يكون المغرب محجاً مملكته دون المغيرين فإنه لما تغلب عبيد

(١) الاسم العربي من ابن عذاري ص ١٨٦ ج ٢ والأفريقي من دوزي ص ٣٤ ج ٢
ويقول ياقوت شنت اشتاى كورة من الأندلس

(٢) انظر دوزي ص ٣٥ ج ٣ وابن عذاري ص ١٧٨ ج ٢

الله المهدي على أفريقية كتب الى سعيد بن صالح^(١) أمير نكور^(٢)
بالمغرب يدعوه الي طاعته وفي أسفل الكتاب آيات منها
فان تستقيموا استقم اصلاحكم وان تعدلوا عني أقتلكم قتلاً
وأعلموا بسيفي قاهرا لسيوفكم وأدخلها عنوا وأملوها عدلاً
فرفض سعيد وكتب شاعره في الذيل

كذبت وبيت الله لا تعرف المدلا ولا عرف الرحمن من قولك الفضلا
وما أنت إلا كافر ومنافق تمل مع الجهال في السنة المثلّي
وهتمنا العليا لدين محمد وقد جعل الرحمن همتك السفلى
فأحفظ هذا الجواب عبيد الله فكتب الى عامله في تيهرت
المسعى مصالة بن حبوس يأمره بمحاربة فنهض في ذي الحجة سنة ٣٠٤
ونزل على مسافة يوم من مدينة نكور فخرج اليه سعيد فخاربه ثلاثة
أيام بدون أن يظهر أحدهما على الآخر لكن خان سعيداً أحد
قواده^(٣) فرجح عليه مصالة وغلبه وقتله واجتزأ رأسه ودخل مدينة
نكور سنة ٣٠٥ وانتهبها وقتل رجالها وسبي النساء والدراري ونجا

(١) من سلالة عربية ملكت نكور وأرضها منذ زمن الفتح وبينها وبين دولة بني
أمية في الأندلس مودة وتراسل

(٢) مدينة بالمغرب لا قصي تبعد عن البحر بمخمسة أميال بناها سعيد بن ادريس وهي
الآن مدينة الزمة أو قريب منها كذا يؤخذ من ابن عذاري ص ١٧٩ و ١٨٣ ج ١ ولأر
كثيرا في معجم باقوت

(٣) انظر ابن عذاري ص ١٨٢ ج ١

بنو سعيد لانهم فرّوا منها وركبوا البحر الى الاندلس فمزلوا مالقة
فأمر الناصر بالاحتفال بهم وكرام مشواهم وأفاض عليهم سحائب
نعمه وخيرهم بين المقام في مالقة والنزول في قرطبة فاختاروا الاولى
ليكونوا على مقربة من مجرى الحوادث في وطنهم - عاد مصالة الى
تاهرت بعد ان أقام في نكور ستة أشهر واستخلف عليها قائداً
كتاميا اسمه ذلول وهذا انفض من حوله أغلب عسكره وعلم بنو سعيد
بالامر وكانوا ثلاثة ادريس والمعتصم وصالحا فامتحن كل منهم
تبيح البحر في سفينة في ليلة واحدة قاصدا نكور بعد أن اتفقوا على
أن من يصل منهم قبل أخوته فله الامارة فسبق الى الشاطئ أصغرهم
وهو صالح بن سعيد فلاقاه الاهلون بحماسة شديدة وأعلنوا امارته
وذهبوا به الى نكور وقتلوا ذلولاً وجنده وأعلن الأمير صالح سيادة
الخليفة الناصر على بلاده وكتب اليه يشكر له على جميله وينبئه بالنصر
فأمده الخليفة بالاسلحة والخيام والرايات

أُلهت حوادث نكور عبد الرحمن عن ان يقتصر من
اليونانيين لقتلهم قائده الشجاع ابن أبي عبده وأبطاله وهزمهم جيشه
لكن نصارى الشمال جاءوا بما نبهه الى ادراك ثأره

وفي فصل الربيع من سنة ٩١٨ للميلاد (٣٠٥ للهجرة) خرج اردن
ابن اذفونش صاحب ليون وشانجة بن غرسية صاحب بنبلونة في

جموع كثيفة الى مدينة ناجرة ^(١) بالثغر الاقصى وعانت الجموع في ذلك الثغر وأفسدت الزروع ثم تمقلت الى تطيلة وبلغت نهر كالس وجوانز مسقيرة ووادي طرسونة ^(٢) وعبرشانجة نهر ابوة وقاتل حصن بلبيرة وقهر أهل الرض وأحرق المسجد الجامع فأحفظ ذلك كله عبداً الرحمن الناصر وحرّكه لحربهم

ففي سنة ٣٠٦ اغزى حاجبه بدر بن أحمد اليهم وهي غزاة مطونية ففصل في جموع كثيرة يوم الثلاثاء لحس بقين من المحرم ودخل أرض ليون ووضع اللبونيين القتال مرتين بالقرب من موضع يسمى (مطونية) وظهر عليهم وقتل كثيراً من حُماهم وأبطالهم وجنودهم وألجأ المنهزمين منهم الى الاعتصام بالجبال وتم التمتع لحس خلون من ربيع الاول وورد الكتاب بذلك على أمير المؤمنين يوم الجمعة لاهدى عشرة ليلة خلت من هذا الشهر فتكر الله على ذلك وقرئ كتاب الفتح في الجوامع وكتب به الى الاطراف ^(٣)

بهذا الفوز محاً عبد الرحمن عارماً لحق بجيشه في العام الماضي من القتل والهزيمة لكنه رأى أن هذا القصاص لم يكف لردع الايونيين ورام فوق ذلك أن ينال شرف النصر بنفسه

(١) قال ياقوت ناجرة بكسر الجيم مدينة في شرقي الاندلس من أعمال تطيلة وهي الآن بيد الافرنج (٢) قال ياقوت بفتح أوله وثانيه مدينة بالاندلس من أعمال تطيلة (٣) دوزي وابن عذاري ص ١٧٩ و ١٨٠ ج ٢

ففي سنة ٣٠٨ (٩٢٠) غزاهم غزاة (مؤيش Muez)
 ففصل إليهم يوم السبت لثلاث عشرة ليلة خلت من المحرم وفي اليوم
 الرابع من فصوله نزل بمخاضة الفتح وورد عليه كتاب من قبل عامل
 مدينة الفرج يذكر فيه أن أهل جليقية أغاروا على ما ألفوه في بسيطهم
 من الدواب والسوام وأنهم كانوا بحصن القايعة طامعين في التغلب
 عليه فهب إليهم أهل المدينة بفارسهم وراجلهم وواضعوهم القتال
 حتى قهروهم وقتلوا وأسروا كثيرا منهم فتفائل الناصر بالكتاب
 ونهض بعساكره حتى نزل مدينة الفرج فنظر لاهلها وعزل بني سالم
 عنهم واستعمل على المدينة صهره ابن غزلان واستقضى عليهم محمد بن
 مسور الفقيه فصالححت أحوالهم ثم نهض الناصر في جيوش تغص بها
 السبل ويضيق بها الفضاء حتى احتل بغير مدينة سالم فورد عليه
 كتاب من عالج حصن وخشمة بعده وبعثه إذا صرف جيوشه عنه
 وجهها إلى جهة أخرى فأرى الناصر أنه أعار كتابه أذا واعية
 وأظهر التوجه إلى الشمر الأقصى فبحر نهر ابرة وقدمت المقدمة نحوه
 لكنه في الحال حوّل جيوشه إلى اليسار وسار مسرعا حتى احتل
 بوادي دويرة وباتت العساكر عليه ثم أخرج في الصباح الوزير
 سعيد بن المنذر في جرائد الخيل وسرعان الفرسان إلى حصن
 وخشمة فغشوه على حين غفلة من أهله وأصابوا أعينهم وسواهم
 ودواهم مبهمة فاكتسحوها وانصرفوا إلى المعسكر سالمين غانمين -

وفي صباح الجمعة لا تلتى عشرة ليلة بقيت من صفر اندفعت الخيل في
أكل تعبئة الى هذا الحصن ففر عنه أهله وأهلوه ولا ذوا بالغياض
والصخور فدخله عساكر الناصر وغنموا ما فيه ثم رحلوا عنه الى حصن
قاشتمور رش وهي شنت اشتين^(١) بيضة النصارى وقاعدتهم فلما
رأوا المسلمين أحلوا الحصن وفرّوا عنه فدخله المسلمون وغنموا ما فيه
وخرّبوا حصن القبيلة المجاور له ثم ارتحل أمير المؤمنين الى مدينة
قلونية وكانت من أمهات مدنها فالقوها خالية قد شرد عنها أهلها
فغنم المسلمون ما أصابوه فيها وخرّبوا ديارها وكنائسها ثم ارتحل الناصر
عنها الى ثغر نطيلة مليتا نداء مسلميها اذ كان العليج شانجة قد ضايقهم
فقطع السلطان المفاخر الأعظم مسارا الوادي دويرة حتى احتل حوز نطيلة
ثم قدّم الخيل مع محمد بن اب عاملها الى حصن قلنرة^(٢) وكان فيه
شانجة فآخلاه وضبطه المسلمون ثم نهض الناصر الى حصن قلنرة وكان
شانجة قد اتخذ موقعا فآخلاه وغنمه المسلمون ثم التقى جيش الناصر
وجمع شانجة على حصن أرنيط^(٣) فاقتتلا فانهزم الجمع حتى توارى في
الجبال تاركا كثيرا من القتلى والجرحى وبات المسلمون ظاهرين على

(١) كذا في ابن عذاري والذي في ياقوت شنت اشتاني كورة من الاندلس

(٢) كذا اسم الحصن في ابن عذاري ويقول دوزي Carcar قرقر أو

كركر فجرر

(٣) يضم فسكون مدينة في شرقي الاندلس من أعمال تطيلة مطلة على أرض المدو

... ياقوت

عدوهم منبسطين في قراهم ومزارعهم ثم ورد الخبر على الناصر باجماع
 العلجين اُردُن وشانجة وتماضدها طامسين في اعراض المقدمة أو
 التماز فرصة في الساقة فامر عبد الرحمن بتعبئة المساكر وضبط
 الاطراف وأوغل بهم في بلادها ووضع رجاله وأبطال الثغر وحماته
 اعداءهم القتال حتى هزموهم وشقتوا شملهم وأخذوا يقتفون آثارهم
 يقتلون من أدركوا منهم حتى حجز الظلام ولجأ عند الهزيمة يزيد من
 ألف عالج الى حصن مؤيش ورجوا التسرع فيه فامر الناصر بتقديم
 المظلل وخيام المسكر الى الحصن فأحبط به من جميع جهاته حتى
 تغلبوا عليه واستخرجوا جميع الملوج منه وضربوا رقابهم بين يدي
 الناصر وأصابوا من الامتعة والحلى المتقنة والآنية والثمرات والالعام
 والخليل مالا يكاد يحصى كثرة ثم انتقل الناصر الى حصون المسلمين
 ينظر في مصالحهم فكلما ألفى بقربها معقلا للمشركين هدمه
 وأحرق بسيطه حتى اتصل الحريق في بلادهم عشرة أميال مرابعة
 واجتمع عند الجنود من الأطعمة والخيرات ما عجزوا عن حمله ولم
 يجدوا لها ثمنا تباع به حتى كانوا يبيعون ستة أقفزة من القمح بدرهم
 فلا يوجد من يشتريها

وقفل الناصر يوم الثلاثاء لثلاث بقين من ربيع الاول حتى انتهى
 الى مدينة انيسة^(١) فأقام بها يوما ووصل رجال الثغر فكساهم وجملهم

(١) كذا الاسم في ابن عذارى بنون فتاء فباء ويقول دوزى Atienza ولم أجده

وأذن لهم في الرجوع الى مواطنهم ودخل قصر قرطبة يوم الخميس
ثالث عشر ربيع الآخر وقد استكمل في غزاته هذه تسعين يوما^(١)
كان يظن بعد ما حالف النصر المبين عبد الرحمن في غزوة
(مُوش) أن نصارى الشمال يسكنون زمنا طويلا عن شن الغارات
على ثغور المسلمين لكن بعد سنتين هبَّ (أردن) وملك تاجرة
وأغار (شانية) على بقيرة واستولى عليها وقتل من كان فيها من
الاشراف ووجوه الرجال كبنى ذى اللب وبنى ذى النون فخرج
هذا الخطيب قلوب مسلمي أسبانيا وأثار أشجانهم فهب سلطانهم ليشفي
نفوسهم بأدراك ثارات المقتولين

ففي سنة ٩٢٤ (٣١٢) غزا عبد الرحمن المقاتلين ففصل من
قرطبة في افريل (الحرم) ووصل نذارة (أرض ببلونة) في ١٠
يوليو (٤ ربيع الآخر) فأفزع اسمه أهلها حتى انهم كانوا يفرّون
من حصونهم عند قربه منها فمرَّ على حصون كركر Carcar (قَلْقَرَة)
وبراته Peralta (بيطرة ألتة) وفلس Falces (فالجش)
وكركستيلو Carcastillo (قَرْقَسْتَال) وجنوده يدّمرون
ويحرقون كل ما مروا به ثم توغل في داخل البلاد متجها نحو عاصمتها
وقد حاول شانية مرّات أن يوقفه في المضائق فخاب وخسر في كل
مرة . بلغ عبد الرحمن ببلونة ولم يمه عائق فأخلاها أهلها فخرّب

عساكره جملة بيوت منها وكنيستها التي كانت يحج إليها كثير من
النصارى في كل عام وكذا خربوا كنيسة أخرى على جبل قريب
منها أنفق شائجة على بنائها نفقات طائلة وقد اجتهد في الذود عنها
فلم يفلح وجاءته أمداد من قسطنطينة هجم بها على المسلمين وقد أخذوا
في القبول فصدّوه وباء بالخسران وعادوا مظفرين ولم يخسروا في
هذه الغزاة الا قليلا ويسمونها غزوة بنبلونة .

عربنا ما ذكرناه في هذه الغزاة من تاريخ دوزى مع تصرف
وماأخذه فيها تاريخ ابن عذارى وقد أسهب في هذا الموضوع بما
لا يخلو عن زيادة افادة برتبيان فلذا رأينا أن نأتى بما قال بهد
تشذيبه وهو :

في سنة ٣١١ حاصر أهل بنبلونة حصن بقرية وكان فيه عبدالله
ابن محمد بن اب ومعه مطرف بن موسى بن ذى النون ومحمد ابن
عمه وكثير من وجوه الرجال فتغلب العليج شائجة عليهم جميعا فأسروهم
ثم قتلهم

وفي سنة ٣١٢ غزا الناصر الى دار الحرب الغزوة المعروفة
بغزوة بنبلونة اذ أحفظه مادار على بنى اب وبنى ذى النون بحصن
بقرية ^(١) ففصل من قرطبة يوم السبت لأربع عشرة ليلة بقيت من

(١) قال ياقوت (بقرية) بالفنح تم بالكسر مدينة في شرقي الاندلس معدودة في
أعمال تطيلة — وبقرية أيضا حصن من أعمال ربة

المحرم فاحتل أول خروجه بمحلة (بالش) ثم أم كورتى تدمير وبلنسية واستصاح أحوال أهلها ٠٠٠٠٠ ثم نهض في عساكر كثيرة العدد حتى دخل ثغر تطيلة وتلقاه عمال الثغر في جنود عظيمة وعدة كاملة فدخل بلاد المشركين فحل حصن (قلقرة) Carcar وكان العليج شائجة قد أخلاه فأمر بهدمه وأحرق ما فيه ثم تنقل إلى موضع (بيطرة آله)^(١) وكان حوله حصون أخلاها أهلها وتركوها في بساطها أمتعتهم وأطعمتهم إذ عوجلوا عن نقلها ولجأ علوج منهم إلى ثلاثة غيران في شفير جرف على النهر فلم يزل العسكر ينسرون عليهم من أعاليها حتى افتحوها وقتلوا العلوج وسبوا الذراري وغنموا الأمتعة وهدموا حصون تلك الجهة

ثم دأب الناصر يتنقل إلى حصون شتى وجيوشه يحرقون ويخربون وينتهبون الأمتعة وكان أخيرها حصن قرقيستال على وادي ارغون ثم أوغلوا في بلادهم ليتوصلوا إلى موضع قرارهم ونكابتهم في عقر دارهم فتقدموا من فجع المراكير في أتم تعبئة فدخلوا مواضع غير مسلوكة حتى نزلوا بقرية بشكونسة فهدموا مبانيها وأحرقوا ما كان فيها فجمع العليج شائجة جموعه واستمد يبنى جنسه فامدّوه ورجا بمن

(١) قال ياقوت بيطرة الفتح اسم لثلاثة مواضع بالاندلس ٠٠٠٠ بيطرة شليج حصن منبمع من أعمال أشقة و (بيطرة لش) حصن آخر من أعمال ماردة (وبيطرة) بلدة وحصن من أعمال سرقسطة — وأهل هذا الأخير المراد بحصن بيطرة التة

اجتمعوا اليه ان يكافح جيوش قرطبة ولكن خاب أمه فان جيوش
الناصر لما توسطوا بين وادي هيفة هبطت خيل شانجة من الاجبل
فعبه العساكر اليها النهر وواضعوها القتال حتى شرموها الى مرتقى وعر
وجبل منقطع فتحموا عليها وقتلوا جملة منها وأصابوا الغنائم والسوام
وضرب النعم وانصرفوا ولم يصيب منهم غير يعقوب بن أبي خالد
التوبري ونفر يسير - ثم ارتحل الناصر الى محلة لشيرة ثم الى محلة لغين
والجيوش لا تمر بموضع الا اصطلمته وأملفت زروعها وهدمت قراه
وحصونه الى ان بلغ مدينة بنبلونة فوجدوها خالية فدخلها وأمر بهدم
بنيانها ثم انتقل الى صخرة قيس فأحرقوا كنيسها ولم يقو العليج على
حمايتها بل ولّى مهزوما وصرع من كان عنه محاميا ثم تنقل الناصر
الى محلة أسارية وكان في ممره اليها فبح هرقلة ضيق المسالك وعر
المجاز فرام النصارى انتهاز فرصة في المسلمين فأمر الناصر بالتعبئة
والاحتراس وجاوزت عساكره ذلك المضيق لكن أعداءهم اعترضوا
الساقه متسعين لأعلى جبل فنهضت الخيل اليهم وقتلت طائفة منهم
وهزمتهم فانتشعوا مدبرين ثم نزل المسلمون محلة أسارية ثم ارتحلوا
من موضع الى موضع يقتلون ويخربون الى أن وصلوا الى شنت اشتين
موضع العليج شانجة ومكان طمانيته يوم الاربعاء ثمان بقين من
ربيع الآخر فجمع جموعه واستجاش بمدود أته من ألبة والقلاع
فناشبههم المسلمون الحرب والتحم بينهم القتال فانهزم جموع شانجة

الى أعلى جبلهم وتفرقوا ثم انتقل الناصر يريد قلعة فتظاهر العاج
بجموعه ثانية فتبادر اليه الفرسان فانهزم وقتل له رجال وعقرت له
خيل وبلغ الناصر حصن قلعة^(١) فألقاه خاليا فأمر بهدمه ثم تنقل
الى حصن بلتيرة من حصون المسلمين فبعد بادّخار الأطعمة عندهم
وتفريق الأموال فيهم ثم احتل بمدينة تطيلة ثم رحل عنها قافلا ومر
ببني ذي النون وكان يحيى بن موسى قد توقف عن الجهاد ودارت
عليه معرّة الجيش حتى أذعن واعترف للناصر بذنبه فحفا عنه - ثم
دخل قرطبة يوم الخميس ثمان بقين من جمادى الأولى وقد استمر
في غزاته هذه أربعة أشهر

قد أضعفت هذه الغزاة ملك نقارة وحطت من شأنه وقصّت
من جناحه فلا يخشى سلطان قرطبة من جهته بأسا وكذا لا يخاف
جهة ليون فان ملكها أرذون مات قبل الشروع في غزوة بنيلونة
وخلفه أخوه (فرويلة) فلم يحكم إلا سنة لم يقاتل فيها المسلمين الا
أنه أمدّ شانجة ملك نقارة في هذه الغزاة . وبعد موته سنة ٩٣٥
تنازع مملكة ليون أبنا أرذون : شانجة وأذفئش فغلب الثاني لأن
صهره ملك نقارة ظاهره على أمره ومع هذا لم يأس الأول فانه عند
تتويج أذفئش في (شنت ياقب)^(٢) وثب على ليون وتملك عليها السك
عاد أذفئش وانزعها منه بمساعدة البشاريين في سنة ٩٣٨ ففرّ شانجة

(١) مدينة من أعمال تطيلة في شرقي الاندلس (٢) ويقال ياقوب

(٢٠ - تاريخ العرب في اسبانيا)

ابن اردن وتملك على جليلة القصوى الى أن مات سنة ٩٢٩
وفي سنة ٩٣١ ماتت امرأة أذفُنش فحزن عليها وتنازل عن الملك
لأخيه (رامير) وترهب في دير (سَهَجُون Sahagun) لكنه رأى
حياة الرهبانية لا تلائم فترك الدير وخرج على أخيه وملك
(سِمَنْكَس Simancas) فهدد القسوس نزوعه عن الرهبانية عارا
كبيرا عليهم وهددوه بعذاب جهنم فهاذا الى لبس المسح لكنه انتهر
فرصه غيبة أخيه ليساعد طليطلة^(١) وخرج ثانية وملك ليون فرجع
اليه رامير سريعا وحاصره بها ودخلها عنوة سنة ٩٣٢ (٣٢٠) فحبسه
وثلاثة أبناء عمه (فُرُوِيلَة) لأنهم كان لهم ضلع معه في الفتنة وسمل
عيونهم جميعا اتقاء منازعتهم إياه في الملك

ترك عبد الرحمن نصارى الشمال يقتتلون كما شاءت أهواؤهم وفي
غضون حرروهم الطويلة أخذ نيران الثورات المتأججة في بلاده
ومد أنظاره الى بلاد المغرب والشبيعة يفتتحونها ويضطرون أهلها
الى الأخذ بمذهبهم ويخدعون الناس بانهم من سلالة فاطمة وأن فيهم
الامامة على المسلمين وبألقاب سامية اتحلوها لأنفسهم كألقاب
الخلفاء العباسيين وقد استصرخه بعض أهراء المغرب من جور هؤلاء
الفاطيين المغيرين على بلادهم فاغاث المستصرخين وأمدّهم بالدخائر
والعُدَد والأموال واتخذهم دعاة له في المغرب فاستمالوا البربر اليه

(١) كذا يؤخذ من دوزي . وفي ابن خلدون أن أذفُنش كان غازيا في سمورة

باسم (أمير المؤمنين الناصر لدين الله) فإنه لما رأى نفسه أحري
 بألقاب الخلافة أقوة سلطانه وضعف سلطان العباسيين في ذلك الحين
 وقد انتحلها من لم يبلغوا شأنه أمر أن يلقب بهذه الألقاب . ويؤخذ
 من دوزي ما معربه بتصرف ان أسلاف عبد الرحمن في أسبانيا
 كانوا يكتفون بلقب (أمير) أو (سلطان) أو (ابن الخلائف)
 معتقدين ان لقب (الخليفة) مخصص بمن تدخل المدينتان المقدستان
 مكة والمدينة في دائرة ملكه وقد تركوهما للعباسيين أمّا الآن وقد
 تقلص ظل ملك هؤلاء ولم يبق لهم الا بغداد وأرضها فليس ثم ما يمنع
 الامويين من انقلب بألقاب ترفع أقدارهم في أعين رعاياهم ولا سيما
 الافارقة ومن أجل ذلك أمر عبد الرحمن أن يلقب بـ (الخليفة)
 أمير المؤمنين الناصر لدين الله) وأن يخطب له على المنابر بهذه
 الألقاب منذ يوم الجمعة سادس عشر يناير سنة ٩٢٩ (ثاني ذى الحجة
 سنة ٣١٦)

ففي سنة ٣١٩ افتتح الناصر مدينة سبتة على بحر الزقاق (عجاز
 جبل طارق) وخطب له فيها باسم أمير المؤمنين - وكتب اليه موسى
 ابن أبي العافية أمير مكناسة يرغب في الدخول في طاعته وأن يدعو
 اليه أهل العدو ويستعين به على محاربة الحسن بن أبي العيش بن
 ادريس العلوي فأجابه الى ما رغب وأمدّه بالخلع والاموال فظهر أمر
 موسى من ذلك الحين وتجمع له كثير من قبائل البربر وانقلب على

مدينة جُرَاوة وأخرج عنها الحسن

وكتب الى الناصر محمد بن خزر أمير مَغْرَاوَة (قبيلة من زناتة)
يرغب في موالاته ويستنجد به على الغاطميين فتبّلّه وأمدّه فظهر ابن
خزر عليهم وقتل بيده قائدهم مصالة عامل تاهرت وطردهم من المغرب
الأوسط (أقاليم الجزائر الآن) وأعلن فيه ولاية خليفة الاندلس .

قال ابن خلدون « ولما فشت دعوة الناصر في المغرب الاقصى
بعث عبيد الله المهدي قائده حميد بن يعلى عامل تاهرت فزحف في العساكر
الى المغرب سنة احدى وعشرين وثلثمائة وكتب موسى بن أبي
العافية الى الناصر يستنجد به فأخرج اليه قاسم بن طماس في العساكر
ومعه الاسطول فوصل الى سبتة وبلغه الخبر بأن موسى بن أبي العافية
هزم عساكر حميد فأقصر ورجع »

وفي سنة ٣٢١ وصل الخبر الى قرطبة بولاية أبي المنصور بن المعتر
مدينة سجلماسة وهو غلام ابن ثلاث عشرة سنة فمكث في ولايته
شهرين وقام عليه ابن عمه محمد بن الفتح وأخرجه منها وتمسكها وتسمى
بأمر المؤمنين وتلقب بالشاكر لله وضرب الدنانير الشاكرية

وفي سنة ٣٢٢ وصل الخبر الى قرطبة بوفاة أمير أفريقيه عبيد الله
الشيبي الملقب بالمهدي وتقديم ولده أبي القاسم الملقب بالقاسم بأمر الله
ويؤخذ من دوزي أن رامير ملك ليون بدّد شمل جيش من

المسلمين كان يحاصر وخشمة^(١) Osma سنة ٩٣٣ فأثار هذا حمية عبد الرحمن سنة ٩٣٤ الى أن ينتقم ويجعل سهول وخشمة تشهد له بالنصر كما شهدت على جيشه بالخذلان فغزاها ورام أن يستنزل رامير من قلعتها الى ميادين القتال فاستعصم بها فترك الناصر فئة تحديق بها وسار نحو الشمال فعانت جيوشه ولا سيما الأفرقة في بلاد أعدائهم وخربوا (بُرغش^(٢) Purgos) قاعدة قشتالة وكثيراً من المسلمين لكن في أثناء هذه الغزاة امتنع محمد بن هاشم والى سرقسطة من أن يضم قوته الى قوى الناصر ورفع لواء العصيان فنه كن سالف رامير ملك ليون على مناوأة الخليفة ودخل في محالفتها غرسية بن شامية ملك نغارة وكانت تكفله أمه طوطة لصفره - بهذا تم تحالف ممالك الشمال على عبد الرحمن . عصى محمد بن بعض قواده واعتصموا بمعاقلهم حتى يسلموها لسلطان قرطبة لكن جاء راسيد في جيوشه وانزعها منهم وسلمها الى حليفه

سكت دوزي عما كان من أمر عبد الرحمن في آخر هذه الغزاة وقد قال ابن خلدون في هذا الموضع أن الناصر غزى في سنة ٣٢٢ الى وخشمة واستدعى محمد بن هاشم من سرقسطة فامتنع فرجع اليه وافتتح حصونه وأخذ أخاه يحيى من حصن روطه ثم رحل الى بنبلونة فجاءته

(١) كذا الاسم العربي في ابن خلدون وابن عذاري والاسم الافرنجى في دوزي ويقترب نطقه من (خشمة) بسوزو.

(٢) كذا الاسم العربي في كتاب نزهة المشتاق والاسم الافرنجى في دوزي

طوطة (أرملة شانجة) بطاعتها فمقد لا ينهها غرسية على ينبلونة ثم عدل الى (ألبه) وبساتنها فدوخوا وخرّب حصونها ثم اقتحم جليقة وملكها يومئذ (ردمير) فخام عن اللقاء ودخل وخشمة فنازله الناصر فيها وهدم (برغش) وكثيرا من معاقليهم وهزمهم مرارا ورجع اه

وفي سنة ٣٢٥ غزا الناصر قلعة أيوب فحاصرها وقتل قائدها مطرفا التجيبي ومن كان معه من نصارى (ألبه) المبعوثين من قبيل رامير ثم افتتح المدينة وثلاثين حصنا - ثم وجه جيوشه الى سرقسطة وحاصرها وقاتل صاحبها ابن هاشم حتى سلم المدينة وأطاع فعفا عنه الناصر - ثم غزا ينبلونة فان ملكها طوطة انتقضت فانزل بها النكبات حتى أطاعت واعترفت بسيادته على بلادها

الآن قد أطاعت أقاليم اسبانيا كلها خليفة قرطبة ساعد املكتيون (بنو اسحاق)^(١) ان الذي كان يحاصر سرقسطة من قبيل الناصر أمير أموى وهو أحمد بن اسحق قائد فرسانه وقد قلده الخليفة ولاية الشجر الأعلى لكن هذا القائد لم يقع بل دفعته أضغاث أحلامه الى طلب ما فوق ذلك . كان أكبر أسيرة بنى اسحق وكانت ذات

(١) دخل اسحاق المنتهى نسبه الى عبد الملك بن مروان الاندلس أول الدولة وسكن اشيلية أيام بنى حجاج ثم رحل الى قرطبة واستوزره الناصر واستوزر بنيه من بعده ففتحو الفتوحات وكفوا الشهات وعلت مقاديرهم في الدولة ثم كثرت فيهم السعاليات وصاروا في مجال الظنون فسطا بهم الناصر وغربهم في أنواحهم وكان منهم أحد وأمية

قربى بعيدة جدا من عبد الرحمن وقد حَيَّيتُ أول أمرها في اشبيلية حياة فقر وشمول زمننا طويلا وصاهرت الى من دونها ولم يسكر الخليفة عليها نسبها استحياء بل قرب أفرادها اليه وغمرهم باحسانه ومع هذا ما كانوا راضين عن مناصبهم السامية في الدولة فان أطماعهم ما كانت تقف عند حدٍّ . كتب أحمد وهو يحاصر سر قسطة الى الخليفة يطلب منه أن يقلده ولاية العهد فأثار كتابه غضب الناصر من موضوعه ومن زمنه غير المناسب ومن دلالة على التراخي والتساهل في الحصار فكتب اليه جوابا يعيِّره بسوء ماضيه ويمنّ عليه بحسن حاضره وعزله . عقب ذلك أخذ أحمد ينصب شباك الكيد واللائمار للناصر حتى حاول ان يترزع منه اسبانيا ويلقى بزمامها الى الفاطميين وكاتبهم في هذا الشأن فاطم الناصر على سرّ فعدّه شقييا وقتله

من أجل أخيه رفع أمية بن اسحق لواء العصيان في شنترين (سنة ٣٢٧)^(١) لكنه خرج ذات يوم من المدينة فانتهاز ضابط فرصة خروجه وأقام فيها حكومة الخليفة فالتجأ أمية الى (رامير) ملك ليون ودّاه على مواضع الوهن في مملكة الناصر^(٢)

كان من وراء ذلك أن غزا الناصر رامير في سنة ٣٢٧ في نحو مائة الف من الجنود فنزل على مدينة (سمورة) وكانت ذات سبعة

(١) في ابن الاثير وأبي الفداء أن عصيان أمية بن اسحق كان سنة ٣٢٧ وفي ابن

خلدون سنة ٣٢٥ (٢) دوزى

أسوار محكمة البنيان وبين الأسوار خنادق ومياه وافتتح منها سورين وعبروا خندقا هناك لكن ارتد أهل المدينة عليهم فقتلوا وأغرقوا منهم نحو خمسين ألفا وانهزم الباقون وكانت هذه الوقعة بعد ثلاثة أيام من كسوف الشمس الذي حدث في شوال هذه السنة — والذي منع ردمير من طلب المنهزمين أمية بن إسحاق ولولا ذلك لآتى عليهم جميعا — ثم شخص أمية من ردمير واستأمن عبد الرحمن فأمنه وقبله أحسن قبول^(١) وأسر في هذه الوقعة محمد بن هاشم التجيبي وحاول الناصر إطلاقه فأطلق بعد سنتين وثلاثة أشهر وقعد الناصر بعدها عن الغزو بنفسه وصار يردّد البعوث والمصرايف^(٢) ويسمون هذه الغزوة بغزوة الخندق

ويؤخذ من دوزى أن السبب في فشل جيش الناصر في هذه الغزاة وهو مائة ألف أنه ولى قيادته العامة سلافيا^(٣) (صقلبيّا) من مواليه يسمى (نجدة) فأسخط ذلك قواده العظام من العرب وأقسموا « أن الخليفة سيُجهز على شرفه القديم بهزيمة مخجلة » وقد كان ما توقعوه فانهم ألقوا حبل الحرب على غاربها وتجنبوا القتال حتى قتل القائد العام وغطت أشلاء القتلى وجهه الأرض وتمزق شمل الجيش شذّر مذرّ وكاد يقتل أو يؤسر الخليفة نفسه لولا أن أنقذته يد المقدور ولم ينبج معه من حرسه إلا تسعة وأربعون فارسا وقد أثّرت هذه

(١) المسعودى وغيره (٢) ابن خلدون (٣) انظر الذنابة الثانية

الكارثة في نفسه حتى انه بعدها صار لا يصاحب جيوشه الى
ميادين القتال

لم يذكر دوزي في هذه الغزاة مدينة (سمورة) ولا أسوارها
ولا خنادقها ولم يسمها غزوة الخندق كغيره من المؤرخين الا أنه قال
مامؤداء في سنة ٩٣٩ أخذ جيش قرطبة طريق رِسْمَنْكَس
(Simancas) فجاء لِقَابِلَهُ جيش رامير وطوطة وفي ٥ أغسطس دارت
رحى الحرب حتى هزم الليوانيون القرطبيين الى مقربة من مدينة
(الخندقة Alhandaga) في جنوب (سمانقة) على شواطئ (ترماس
Tormès) وهناك جمع المهزومون شتاتهم وواجهوا عدوهم لكن
دارت عليهم الدائرة اه - فغزوة (الخندق) في كلام المؤرخين هي غزوة
مدينة (الخندقة) ^(١) عند دوزي وبين الخندق والمدينة بون بعيد
لم يتكلم ابن عذارى عن هذه الغزوة الشهيرة وقد شرحها رومي ^(٢)
ناقلا عن كندي فقال مامؤداء في سنة ٣٢٦ (من نوفمبر سنة
٩٣٧ الى اكتوبر سنة ٩٣٨) أمر الخليفة بجشد جنود الاندلس
على حدود جليقة فأخذ القواد يجمعون جنودهم من جميع الجهات
وخطباء الجمع يحضون اناس على الجهاد وتتابع ورود السد كرم
كل جانب تخفق فوق رؤوسهم الاعلام حتى اكتظت الطرق بهم

(١) لم أجد الخندقة في المعجمات فحرر

(٢) ص ١٦٤ وما بعدها ج ٤

وبآلات الحرب والبغال الحملة بالمؤن والذخائر — واحتشدوا في ضواحي مدينة سامنقة حتى صارت ضفاف نهر ترماس وبرايرها معسكرا عاتيا واسعا الأرجاء — وفي أوائل سنة ٣٢٧ تم احتشاد الرايات وأعلن الولاة الجهاد ولم يبق الا حضور الخليفة ليفتح باب الغزو — قام عبدالرحمن من قرطبة ومعه حرسه ونخبة فرسان الأندلس وقام في الوقت عينه من ماردة عمه المظفر يقود فئة من الفرسان — وفي صفر (ديسمبر سنة ٩٣٨) حضر الخليفة في موكبه الحافل معسكر سامنقة وتهدده ووعده معسكرات الأقاليم المحيطة في الضواحي ورتب الجنود وأعدّهم للغزوة التي رامها وكانوا ينفقون عن مائة ألف مدججين بالسلاح فقسّمهم الى ثلاث فرق الأولى أخذ بزمامها المظفر والثانية قادها والي بطليوس عبيد الله بن أحمد بن يعلى والثالثة كانت تحت أمرة الخليفة نفسه واتخذ ولاية طليطلة وبلنسية وتدمير ضباطا لها — تحرك هذا الجيش المرمرم واجتاز نهر دويرة بدون أن يلقي مقاومة وانساب في أرض العدو كاسيل الجارف مخربا بالقلاع التي كان يمر بها ومنهار باط ووخشمة وشنت اشتين الى أن حاصر مدينة سمورة وامتدت خيامه على طول نهر دويرة — كانت المدينة حصينة يكتنفها سبعة أسوار متينة البنيان من صنع الملوك السالفين يتخللها خنادق عميقة مملوءة بالماء وكانت حاميتها من شجعان الجلالة فقومت هجمات جنود عبد الله بن النعمري والي بلنسية وكانوا ذوي شجاعة فائقة وكانت

سيوف كلا الفريقين تدعى الفريق الآخر في معارك عنيفة
 في هذه الاثناء جمع ردمير ملك الجلائقة جيشاً كبيراً كان فيه
 أمية بن اسحاق الذي كان والى شنترين والسبب الأول في هذه
 الحرب الشعواء يقود فتنة من فرسان المسلمين اقتفت أثره في خيانة
 البلاد — واحتشد مع ردمير في برغش (غرسية) ملك نقارة أو
 البشكنس وأمه (طوطة) و (فردند) كُوت قشتالة متحدّين على
 أن يقتلوا الجيش المحاصر سمورة — علم المظفر بسيرهم ومقصدهم
 فتقدم بفرقة نخوم وكان عددها أربعين ألفاً وتبعها فرقة الخليفة وكانت
 مثلها في العدد وفيها نخبة فرسان قرطبة — واستمر على حصار سمورة
 عبدالله بن الغمري والى بلنسية ومعهما عشرة وثمانون ألف جندي
 فتقابلت طلائع الجيشين على شواطئ نهر يصب في دويرة
 (La Pisuerga) وجرت بينهما مناوشة خفيفة والتجأ كلاهما نحو معسكره
 — وفي اليوم الثاني حدث كسوف هائل حجب نور الشمس بظلمة
 مشوبة بصفرة فلما قلب شبان الجيش فرعاً ورعباً فانهم لم يروا مثله
 في حياتهم ولم يكن أعداؤهم أقل تأثراً بهذه الحادثة — مرّ بومان ولم
 تبد حركة من الجانبين لكن ملاح فجر اليوم التالي الا وقد بدت
 الضوضاء في المعسكرين استعداداً لاخذ العساكر أوضاعهم في السهل
 وامتلاء الهواء بأصوات الأبواق وصيحات الجيشين وارتجفت الارض
 من وقع الأقدام وصف القواد جنودهم وامتطى المظفر فرساً قويا

سريع العدو واخترق صفوف جنوده بآثافي أرواحهم الحمية والاقدام
على القتال وقاد بنفسه المقدمة والقلب وسلم قيادة الجناحين لوالي طليطلة
وبطليوس وأما الخليفة فقد نصب سرادقاه وخيامه على ربوة مشرفة
على ميدان القتال وحوله جنود الاحتياط — حمل أحد الجيشين على
الآخر وقد ارتفعت الشمس وهجم المظفر في فرقة من الفرسان
مدججة بالسيوف الهندية والرماح والاقواس لكنهما ما كانت سريلة
بالدروع على جهة الوسط التي كان يقود زمامها ملك ليون نفسه لكن
ثبت النصاري في مواقعهم وقاوموا هجمات فرسان المسلمين مقاومة
عجيبة وكان رامير في مقدمة فرسانه المسربلين بالحديد يتوغل في
الميدان ويفتك بكل من شخص امامه — وكان بجانبه أمية بن
اسحاق الفار من وطنه وشر ذمة على شاكلته من فرسان المسلمين
يقاتلون اخوانهم في الدين ويضر بوزنهم برماحهم وسيوفهم الهندية
كانهم أعدائهم — انتهى المسلمون من هجمات رامير وجنوده وأمية
وشر ذمته ولما رأى الخليفة اختلالاً في الجناح الأيمن وتزعزع قلب
الجيش عن مكانه للعدو هجم تحف به فرسان قرطبة وأحراسه الصقالية
مدججين بطوال السيوف ومتوقين بتروس طويلة على جناح جيش
العدو وضغطوا عليه بشدة فانكسر الجناح لكن حمل هذا الجيش
بأجمه على هذه الجهة وحمى وطيس القتال حتى تجمد على الأرض
بالقرب من الخليفة فرسان شجيمان أصيبوا بطعنات بعد أن جاءوا

بالمجائب في هذه الحرب الزبون ومع هذا كان يظهر رجحان كفة المسلمين فان النصر اى اخلوا ميدان الحرب وانصرفوا لانهم كانوا دائماً في القتال أمام جيش قوى يسير فيه الخليفة ممتطياً جواداً أبيض مرتدياً بُرداً طويلاً على رأسه تاج الخلافة خفيف العدة ممسكاً بيده مصحفاً مفتوحاً على السرج مسمماً الآيات التي تبعث في المقاتلين روح الشجاعة — لكن بينما هو معط بأحراسه الأبطال يحى شخصه فيهم أمل الفوز اذ أرخى الليل سدوله فحال دون القتال وبقى النصر غير محقق لفريق دون آخر وقد عزاه كلاهما الى جهته — بقي المسلمون في ميدان الحرب وهو مغطى باشلاء القتلى والجرحى ونصبوا خيامهم فيه مع السرعة وقضوا ليلتهم فيها باثنتين بين الاموات متربين مع الضجر طلوع الشمس ليعيدوا كرة القتال — ومع هذا كانت خسائر المسلمين أعظم من خسائر النصر اى ولو كان هؤلاء أعادوا القتال في اليوم التالى لكان النصر بلا ريب حليفهم — كذا يصرح العرب أنفسهم بذلك قائلين ان السبب في نجاة جيش المسلمين اشارة ابن اسحاق على رامير في الليل بانه لا يعود الى قتال أعدائه خشية خداعهم ولأنهم أكثر عدداً من جنوده فاعتقد صحة ذلك ورجع وحرمه الله من الفوز والقدرة على مساعدة المحصورين في سمورة

لما رأت جيوش عبد الرحمن ان الأعداء رحلوا وان لا فائدة من اقتفاء آثارهم تركوا فصائل من الفرسان على شواطئ النهر ورجعوا

الى معسكر سمورة وقد هجم المحاصرون على أسوارها المحصنة بالقلاع
هجمات عنيفة ولكن المحصورين دافعوا عنها دفاع الابطال حتى ان
الهاجمين ما كانوا يخطون الى الامام الا باراقة دماء كثير من شجعانهم
- قوى عزائمهم حضور الخليفة وعمه المظفر فتلموا وهدموا سورين
ثم تقدموا الى حظيرة مستديرة يقطع وسطها خندق واسع عميق مملوء
بالماء فأصابهم وابل من نبال الحامية وهب عليهم إعصار من سهامها
فهلك منهم ألوف مؤلفة فجاء جنود الغرب وجنود طليطلة وألقوا جثث
اخوانهم فى الخندق حتى كونوا شبه قنطرة مروا عليها - حينئذ لم
تستطع الحامية أن تدافع فتسلق الجنود الأسوار وكسروا أبواب
الحديد المزدوجة وفتكوا بالرجال وأبقوا على النساء والاطفال وصارت
اعلام النصر تخفق فوق قلاع سمورة كلها فى شوال سنة ٣٣٧

عاد عبد الرحمن الى ماردة ومنح القواد الذين امتازوا فى هذه
الغزاة أسلحة وخيلا ثم رجع الى قرطبة فقبول من أهلها بالحفاوة
هذه غزوة الخندق الشهيرة وكان شرها مستطيلا على الغالب
والمغلوب .

مارواه كندى فى هذه الغزاة صريح فى أن عبد الرحمن انتصر
فيها وملاك سمورة وهذا لا يطابق مارواه المسعودى ودوزى وقد
ناقش هذا الموضوع رومى ثم قال أخيرا مامعناه
كل هذا يحمل على اعتقاد أنه عقب العودة الى معسكر سمورة

من واقعة سمنكس التي كان النصر فيها غير محقق شدد الخليفة والمظفر الحصار على المدينة فماد رامير وحاصر المعسكر فصار المسلمون في هذا الموضع غاليين ومغلوبين فاستولى بعضهم على سمورة ورفعوا عليها أعلامهم ولكن اشتروا ذلك بثمن غال وهو خسارتهم الفادحة التي نوه عنها المسعودي — وأخذ بعضهم تحت امره الخليفة والمظفر يتقاتلون محافظين على النظام راجعين ان يقربوا الى سلمنة — وبناء على هذه النتيجة وأظن أنها قريبة من الحقيقة يكون هناك محلّ لنصيحة ابن اسحاق لرامير ولعودته الى عبد الرحمن التي ذكرها المؤرخون جميعا . . . ولما علم رامير بتقهقر الخليفة الى جنوب نهر دويرة ظهر أمام سمورة ولم يلاق صموبة في الاستيلاء عليها ومن هنا يتبين أنها لم تمكث في أيدي العرب الا بضعة أيام وقد وقع أغلب المدافعين عنها في قبضة يدا العدو اه

في السنة التالية غزوة الخندق نزعت ولاية قشتالة الى الانفصال من مملكة ليون وجاهرت بالعصيان فأعلن رامير أنه لحسم الخلاف بالحنى سي عقد مجلسا يكون له القول الفصل في الأمر ودعا الى المجلس رؤساء قشتالة الاربعة فجاءوا فأمر بالقبض عليهم وحبسهم فعند القشتاليون هذا العمل خيانة وأقاموا الكونت فرديناند جونزالز رئيسا عليهم لينتقم من الليونيين فشهر الحرب على ملك ليون لكن كان المقدور أن انتصر رامير على خصمه ففاجأه وألقاه في سجن ليون

فتعلقت قلوب القشتاليين به حتى صنعوا له تمثالا وعبدوه ولما ضجروا من طول سجنه عزموا عزمًا أكيدًا على تخليصه بالقوة من السجن فاجتمعوا جميعًا شبانًا وشيوخًا وأقسموا أن لا يعودوا إلى قشتالة بدون سيدهم وأن كل من يتخلف يعدّ خائنًا فتركوا برغش وأرياضها خالية ليس فيها غير النساء والأطفال وساروا رافعين تمثال وراية فردند من اقتراهم خشي الملك فعدل عن رأيه وأطلق لهم زعيمهم على شروط ملائمة وقد أقسم هذا يمين الطاعة ولتوثيق عرى الصداقة زوج ابنته براقّة أردن بن رامير^(١)

قال رومي أن الكونت فردند والكونت ديدقوس شهرا الحرب على الملك رامير لأسباب غير معلومة وبعد أن جمعا جيشا فاجأهما الملك وحبسهم ولم يطلقهما الا بعد أن أقسما أن لا يعودا إلى محاربة— استتب السلام بين رامير وفردند واقترن ابن الاول المسمى أردن الثالث بابنة الثاني المسماة براقّة Urraca^(٢)

كان تنازع نصاري الشمال من الأسباب التي أدت إلى توالى نصرات المسلمين عليهم

ففي سنة ٣٣٩ أغزى الناصر قائده أحمد بن يعلى إلى أرض

(١) دوزي (٢) بحث رومي في الاسم الأفرنجي ورده إلى الاسم العربي وقال إن مناه لماعة أو ذات الألوان أو المشوبة باليباض والسواد وأن العرب تطلق هذا اللفظ على ما كان أبيض أسود وعلى العين والعز والبطن والغراب وأنه لا زال اللفظ الأفرنجي يطلق على الأخير في اللغة الإسبانية — فانظر وجرر

ليون فمات فيها وقتل وأسر وسبي وأرسل إلى قرطبة مائتي عالج أسراء^(١)
 بروي رومي عن كندی هنا أن الوالي عبد الله القرشي جمع
 جيوشه واجتاز بها حدود جليقة فقاتله جيوشها في مكان صعب
 يكتنفه نهر دويرة من جانب وجبل عال وصخور منحوتة من جانب
 آخر وصار القتال لأمناس منه ولم يبق أمل للمسلمين في السلامة إلا
 بالفوز فدارت رحى الحرب فكان النصر حليفهم وملكوا قلعة (سان
 استيفان دو غرمز)^(٢) وأحرق وجه ماء النهر من دماء الأعداء والله يعلم عدد
 قتلاهم وكانت هذه الواقعة سنة ٣٢٩ (من ١٥ أكتوبر سنة ٩٤٠ إلى ٢٤
 سبتمبر سنة ٩٤١) وقد ذكرها القرشي هذا في شعره قالوا إن معناه
 (من جهة يكتنفنا دويرة ومن أخرى جبل شامخ ولا سبيل إلى الخلاص
 إلا بالنصر ولا أمل إلا في الشجاعة . سالت دماء المشركين فأخجلت
 مياه دويرة)

وفي سنة ٣٣٢ أغزى الناصر قائده أحمد بن إلياس إلى أرض
 ليون فدخلها وغنم وأحرق جملة من حصونها ورجع
 يقول رومي مامعناه «إما لأن ردمير لم يلاق نجاحا في ذلك الزمان
 وأما لأنه ملّ الحروب أرسل في سنة ٩٤٤ (٣٣٢) رسلا إلى قرطبة
 ليتكلموا في الصلح فقابلهم عبد الرحمن بالحفاوة — وعقدت هدنة

(١) ابن عذاري ج ٢ ص ٢٢٦ (٢) هي شنت اشتين التي تقدم ذكرها

بين الامنين مدة خمس سنين وأرسل الخليفة وزيره أحمد بن سعيد (شهيد)
الى ليون ليبلغ سلامه الى الملك فعاد الوزير مسرورا — ومع ذلك
جرى في خلال هذه الهدنة قليل من الحوادث من جهة العرب «
وفي سنة ٣٣٥ أعاد الناصر بناء مدينة سالم وقواها في الثغر
الايوسط الشرقي مواجهة لمدينة قشتالة فكانت ردة للعرب وشعجا
في حلق القشتاليين

وفي سنة ٩٤٩ (٣٣٧) انقطعت الهدنة بين ليون وقرطبة
فاعتدى ردمير على طلبيرة — يروى من جهة أنه قتل اثني عشر ألفا
وأسر سبعة آلاف وعاد منصورا ويروى من أخرى أن عبد الرحمن
أعلن الجهاد في هذه الصائفة وجمع الرايات من الأقاليم ودعا من
أفريقية والى فاس محمد بن الخير اليقرني الزناتي فجاء في جيش من
البربر — وعهد الخليفة بقيادة الجيش العام الى حاجبه أحمد بن شهيد
فدخل أرض النصارى وطردهم من سِتْمَانِيَّة Setmanica ودفنهم
الى الجبال وغنم غنائم واسعة — وقد أعلت شأنه هذه الغزاة وأمدت
صيته وأنائه من الخليفة كل رعاية

أعقب ذلك رومي بانه يظهر أن هذه الصائفة جاءت بعد حملة
رامير على طلبيرة في أثناء ما كان هذا الملك تخامرهُ سكرات الموت
وفي سنة ٣٣٩ أخرج الناصر قائده أحمد بن يعلى الى أرض ليون
فافتتح ثلاثة حصون منها وسبي نحو ألف سبية وانصرف — وفيها مات

رامير ملك ليون وخلفه ابنه أرْدُن ونازعه أخوه شانجة وقيل غرسية وكان من وراء نزاعهما أن ظهر المسلمون عليهم في السنين التالية حتى أنهم في سنة ٣٤٤ قتلوا نحو عشرة آلاف منهم وأرسلوا الى قرطبة رؤوس خمسة آلاف فطلقت على سور قرطبة - وفيها أرسل اردن سفيرا الى قرطبة ليسأل عبد الرحمن الصلح فصفا اليه - وفي السنة التالية (٣٤٥) أرسل الى ليون سفيرين محمد بن حسين وابن شبروط اليهودي ليتفقاها وأردن على شروط الصلح فتساهل ووضعوا أساسها وعاد السفيران الى قرطبة ليوقع عليها الخليفة فأعضاها بعد أن ارتضاها ابنه الحكم يقول دوزي مامناه أن رامير تزوج امرأتين إحداهما جليقية ولدت له أرْدُن والأخرى (براقة) أخت غرسية ملك نقارة ولدت له شانجة - فبعد موت رامير طلب أردن كرسى الملك لنفسه لانه البكر وطالبه شانجة أيضاً لانه من بيت الملك في نقارة واستمال الى حزبه فردند زعيم قشتيلة وزوج خالته فان أم شانجة وامرأة فردند أختان أمهما طوطة فهذه من جهة حماة فردند ومن أخرى جدة شانجة - وكيف مال فردند الى شانجة ومال عن صهره أرْدُن لأن الظروف قضت عليه بذلك فدعا رجاله الى حمل السلاح وسار معه شانجة وجيش من النصارى الى مدينة ليون لنزع تاج الملك من أردن - في أثناء ما كان الفريقان يقتتلان تحت أسوار ليون كان قواد الناصر ينتصرون في جميع مواقع التخوم وترد الرسائل تنرى الى قرطبة مبشرة بالفتوحات ومعها جملة

أجراس وصلبان وروس مجتزة وقد بلغ عدد ماورد من هذه الروس في سنة ٩٥٥ خمسة آلاف رأس ومع هذا قد انتصر فردند بالقرب من (سان استيفان) ونهب أردن اشبونة بعد أن دفع أخاه وأخضع الجلالة للثائرين ولكن كان الجزاء ضئيلا فلم يعدل مآثله المسلمون من النصارى خشية من تجديد الاغارات وغب أردن في الصلح فأرسل رسولا الى قرطبة يطلبه في سنة ٩٥٥ فصفا اليه عبدالرحمن وأرسل في السنة التالية الى ليون محمد بن حسين وهسداي بن شبروط اليهودي المدير العام للجمارك — فلم تطل المفاوضات فان أردن تساهل في قبول مطالب الرسولين (يظهر أنه وعد بتسليم بعض الحصون أو هدمها على الاقل) وأقرّوا جميعا دعائم المعاهدة وعاد الرسولان الى قرطبة ليقرّها الخليفة ايضا فرآها شريفة ومفيدة ولكنها غير كافية وليس في أجله متسع لتنفيذها فانه كان قد بلغ نحو السبعين وانها تختص بزمن ابنه الحكم فألقاها اليه ليقطع فيها أمرا فوافق عليها فأمضاها الخليفة — وبعد قليل من الزمن أمضى معاهدة أخرى مع فردند فلم يبق عدو المسلمين في أسبانيا سوى النصارىين اه معر با

في آخر سنة ٣٤٥ مات أردن الثالث ملك ليون خلفه شانجة المعروف بالسمن لسمن أصاب جسمه فأعياء وبعد سنة من حكمه ائتمر به الاشراف وخلعوه لاستبداده وولوا عليهم أردن بن اذفوش فهرب شانجة الى بنبلونة حاضرة نقارة وشكا أمره الى جدته الملكة

طوطة وابنها الملك غوسية ثم سار في وفد الى قرطبة سنة ٣٤٧ مظهرا أنه يرغب في التداوي عند أطباء العرب الماهرين في الطب في ذلك الحين - لكن دَلَّ على أن غرضه كان سياسيا أيضا خروجه في جيش من المسلمين سنة ٣٤٨ للاغارة على مملكة ليون وقد تم استرجاعها اليه في سنة ٣٤٩ - هذا القدر المجمل من تاريخ شانجة السمين هو الذي يمكن الحكم بصحته - وازيادة البيان نعرب ما قاله دوزي وما قاله رومي في هذا الموضوع مع تصرف

فيؤخذ من دوزي انه لما مات أردن الثالث في مارث سنة ٩٥٧ خلفه على مملكة ليون من كان ينازعه فيها وهو أخوه شانجة^(١) فلم يقبل معاهدة الصلح التي كانت أبرمت بين أردن وعبد الرحمن وكان من شروطها التزام الأول بهدم الحصون القريية من ثغور المسلمين فأمر الناصر قائده الشهم احمد بن يعلي والى طليطلة أن يغزو ملك ليون الجديد فغزاه وانتصر عليه انتصارا مشهورا في يوليو هذه السنة فسر هذا النصر الخليفة وقوى عزيمته على غزو عدوه الآخر في أفريقية فكانت ولاية شانجة شؤما على البلاد وأيضا على نفسه لأنه اجتهد في كسر شوكة الأشراف ومحو نفوذهم واستبدَّ بالحكم المطلق فكرهوه وفوق ذلك استفحل به مرض السمين حتى كان لا يستطيع ركوب الخيل

(١) كذا في دوزي - وفي ابن خلدون وابن عذارى ان الذي كان ينازع أردن بن

ردمير هو أخوه غوسية

ولا يمشي الا متكئا على آخر فكان الشعب يهزأ به ويعدّه اضحوخة
فأخذ (فردند) كونت قشتيلة سحق الليونيين على ملكهم ذريعة لخلعه
فأمر هو والجيش به لخلعه في فصل الربيع من سنة ٩٥٨ واختاروا من
بيت الملك أردن بن اذفونش الرابع ملكا عليهم (وزوجه (فردند)
ابنته (برّاقة) ارملة أردن الثالث — التجأ شانجة الى بنبلونة وشكا
ما أصابه الى جدته طوطة التي كانت تحكم نقارة باسم ابنها غوسية
مع انه كان قد بلغ سن الحكم بنفسه منذ زمن بعيد فامتعضت من
الليونيين والقشتيليين وأقسمت لتسردن الى حفيدها ملكه مهما كلفها
ذلك من الصعاب — لكن ليس الامر سهلا لان نقارة وحدها لا تقوى
على مهاجمة ليون وقشتيلة معا ولان شانجة ليس له في مملكته القديمة
من راغب — فلم تر طوطة امامها إلا أن تحالف الناصر الملك القوي
وتستعين به على مآربها وتطلب منه طيبيا من نطس قرطبة التي كانت
وقتئذ مطلع الأنوار ليعالج حفيدها من سمه الفظيع حتى اذا عاد اليه
كرسى الملك في ليون يمكنه أن يتبوأه بنفسه ولا يصير هزأة للناظرين
لهذا أرسلت طوطة سفراء الى قرطبة — فلما عرضوا على الخليفة سبب
مجيئهم أجابهم بأنه سيرسل طيبيا الى بنبلونة ليداوي شانجة من علته
ويعرض على بيت الملك شروطا فإذا رضى بها أمده الملك المخلوع بجيش يردّه
اليه كرسى ملكه — بعد رحيل السفراء دعا عبد الرحمن اليه (هسداي
Hasdai) اليهودي وكان ماهرا في الطب ذا دهاء في السياسة

عارفا لغة النصارىين و بعد أن زوَّده بتعاليمه أرسله الى عاصمة نقارة
 فاستمال اليه شانجة ووعدته بالشفاء القريب وقال له ان الخليفة يطلب منك
 أن تتنازل عن عشرة حصون وهو ينيلك مأربك فوعد شانجة بتسليمها
 بمجرد عودته الى ملكه — لم يكن ذلك فقط مهمة (هسداي) بل
 كلفه الخليفة أيضا باستمالة الملكة وابنها وحفيدها الى زيارة قرطبة
 ليتحالفوا ويتفقوا على خطة السير فيما يرومونه باطنا ولد اواة الحفيد ظاهرا
 فنجح (هسداي) في ذلك ووصلت الملوك الثلاثة طوطة وغرسية
 وشانجة الى قرطبة فاحتفل الناصر بلقائهم احتفالا باهرا وأنزلهم في
 الزهراء — و بعد زمن هاجم جيش النصارىين قشتيلة وهاجم جيش
 المسلمين مملكة ليون يصحبه شانجة وقد عوفي من ورمه وصار نشيطا
 خفيفا فاستولى الجيش أولا على سمورة وفي شهر ابريل سنة ٩٥٩ خضع
 لشانجة جزء كبير من المملكة وقد قاومت عاصمتها زمنا لكن هرب
 أردن الرابع منها الى استوريا أسقطها سنة ٩٦٠ — ولما تاب الى شانجة
 ملكه أرسل الى الناصر يشكره على صنيعه

ويؤخذ من رومي ان موت أردن فتح باب التملك لآخيه شانجة
 الاول بعد ان كان مؤصداً في وجهه فسار على رغبات أشراف ليون
 في السنة الاولى من حكمه لكنه استبد عليهم بعدها فنقموا منه ذلك
 وخلصوه وكان روح هذه الفتنة (فردِند) كونت قشتيلة مع انه
 كان عضداً له أولا وملكوا عليهم ابن اذقش الرابع (الراهب

(والاعشى) وكان يسمى أردُن وزوجه الكونت ابنته برّاقة مطلقة وأرملة أردُن الثالث فاضطر شانجة إلى الفرار من ليون ولأذ بخاله الا كبر غرسية في بنبلونة فتقبله قبولا حسنا لكنه لم يساعده بجيش يرد ليون اليه - ومع هذا كان مأوى شانجة الجديد خيراً من القديم فانه منذ سنين كان عرضة لاستفحال السمن بجسمه ولا يبعد أن يكون ذلك هو الحامل على اقصاده عن كرسي الملك فان سمته الثقيل كان يمنع جسمه من ممارسة الاعمال حتى صار لا يقدر على ركوب الخيل ولا أن يحفظ نفسه فوق ظهورها وذلك مما كان يشين الملك في ذلك الزمان - لعل شانجة الشائنة ولشهرة أطباء العرب في تلك الحقبة أشارت عليه أسرته في نقارة أن يعرض نفسه عليهم في قرطبة - ومع هذا كان سفر شانجة إلى دار الخلافة يرحى إلى غرض سياى وهو استمالة الخليفة إلى مساعدته بقوة عسكرية ترد إليه ملكه المسلوب فان غرسية ملك نقارة أرسل إلى قرطبة وفدا المعروف من أمره أنه يصحب شانجة لغرض شفائه من علته ولكنه كان مكلفا بمفاوضة الخليفة في التحالف وفي استرجاع مملكة ليون وقد اشتركت طوطة أم الملك في هذه السياحة فرحب عبدالرحمن بشانجة وأنزله في قصره وخصص له املاجه أطباء فداووه بشراب مركب من عصارات الاعشاب حتى أضاعوا من جسمه كثافة الشحم وردوا اليه لطافته وخفته - ويؤخذ منه في موضع آخر أن زيارة شانجة قرطبة كانت سنة ٩٥٦ وانه حصل

فيها على صحته ونشاطه الاول وانه أقام فيها زمناً طويلاً بين العرب حتى تعلم لغتهم وعاداتهم ونال محبة الخليفة وخيراته ثم أظهر رغبته في رد مملكته المقتضبة وطرده ازلدن الدخيل من ليون وكتب الى خاله غرسية بذلك وفاوض ديوان قرطبة في هذا الشأن فعلاً له جيشاً قلده الخليفة قيادته — لم يذكر التاريخ شروط المعاهدة التي أبرمت بين الملك المخلوع والخليفة لكن يظهر من عدة شواهد أنها لم تكن ثقيلة ولا مزرية بشرف الاول وأنها كانت تنطوي على الاتحاد الودي بينه وبين الثاني — توجه الجيش نحو ليون في وقت كان الليونيون فيه يمتقنون ازلدن الرابع لاجحافه بحقوقهم ولفساد أخلاقه وكان يحسن من رعيته البغضاء له فلما بلغت اشاعة سير جيش العرب نحو ليون خلعه واقامة شانجة في كرسيه لم يسعه أن ينتظر دنوه منها بل فرّ ليلاً الى الاستوريين — لم يَر من جيش العرب أثناء مسيره اعتداء ولا قسوة بل كان يعامل بالحسنى المدائن التي تفتح أبوابها لشانجة بدون مقاومة ويقهر المدن التي تأتي قبوله الى الدخول في الطاعة — وكانت البلاد المفتوحة ترحب به وتهلّل وتعدّه مخلصاً لهم وما زال ينتقل الجيش من مدينة الى مدينة ومن تهليل الى تهليل حتى بلغ ليون حيث كان ينتظر شانجة جمهور عظيم ليحتفلوا به — عند ذلك اضطر ازلدن الى الرحيل بأسرته من استوريا الى برغش حيث كان يحكم صهره فردند فلم يجد فيها مأوى

كما كان يأمل إما اغيبة فردنند كما يقول ذلك بعض المؤرخين ^(١) وإما
اتغير أواصر المصاهرة بينهما لأسباب مجهولة في التاريخ فالجئي أردن
وحده الى الانزواء في بلاد المسلمين ^(٢)

ويؤخذ من المقرئ ^(٣) في تاريخ الناصر في حوادث سنة ٣٤٥
وما بعدها ان حافد طوطة ملكة البشكنس الذي انتقضت عليه أهل
جليقية وتولى كبيرهم قومس قشتيلة فردنند هو (غرسية بن شانجة)
لشانجة بن أردن مع انه قال في تاريخ الحكم ابن الناصر في حوادث
سنة ٣٥٤ « ثم كانت وفادة أردن بن أذفونش ملك الجلائقة وذلك
أن الناصر لما اعان عليه شانجة بن ردمير وهو ابن عمه وهو المملك من
قبل أردون وحمل النصرانية على طاعته واستظهر أردون بصهره
فردنند قومس قشتيلة توقع مظاهرة الحكم لشانجة كما ظاهره أبوه الناصر
فبادر الى الوفاة على الحكم مستجيرا به »

نرجع الى حوادث أفريقية فنقول

كان المغرب في النصف الأول من القرن الرابع الهجري بين قوتين

(١) يقول ذلك البعض ان فردنند كان غائبا حين جاءها أردن الرابع يتلمس مأوى
وان ملك نفارة كان يحارب فردنند وحبيه وأولاده في (سيرونيا Cirue na) سنة ٩٦٠
ثم أرسل جميع الاسرى الى بلبونة ويؤيد ذلك ما يؤخذ من دوزي من أن غرسية وعبد
الرحمن اتقا على انه حين يهاجم جيش العرب ليون يهاجم جيش النصارى قشتيلة

(٢) يذكر المقرئ في تاريخ الحكم ابن الناصر أن أردن بن أذفونش وقد عليه
مستجيرا في سنة ٣٥٤ (٣) ص ١٧٢ ج ١

تجاذبانه الامويين في الاندلس والفاطميين في أفريقية وقد أتى حين من الدهر قويت فيه القوة الاولى فامتد سلطان عبد الرحمن الناصر على المغرب الاقصى والايوسط وكانت تواليه القبائل التي أسلمت منذ الفتح الاسلامي مثل قبائل زناتة وأما قبائل اليهود والوثنيين والشيعة مثل قبائل صنهاجة وكتامة فانها كانت توالي عبيد الله وبنيه — وكان بعض قبائل البربر ينزع تارة الى خليفة قرطبة وأخرى الى خليفة القيروان على حسب مقتضيات الاحوال — وكذا كان شأن بقايا الادارسة بعد أن تقلص ظل ملكهم من فاس وتلمسان^(١)

كان للناصر ولالة قائمون بدعوته في المغرب منهم بنو سعيد بن صالح امرأء نكور^(٢) من ساحل المغرب وقد سبق كلام عنهم في حوادث سنة ٣٠٥ ومنهم موسى بن أبي العافية كان أمير مكناسة وعلى يده ويد مصالة بن حبوس قائد الشيعة زال ملك الادارسة من فاس سنة ٣٠٧ أو سنة ٣٠٩ ثم صار موسى عاملاً للشيعة على فاس والمغرب ولأ سباب خلع طاعتهم ومال الى الخليفة الناصر ووالاه ونشر دعوته في المغرب^(٣) فجاء ميسور الصقلبي قائد الشيعة وحارب موسى وأجلاه عن عمله الى الصحراء مستعيناً عليه ببني ادريس أعدائه وآل اليهم ما كان في يده سنة ٣٢٣ — من أجل ذلك انصرفوا

(١) انظر الذنابة الاولى الآتية ٢ يؤخذ من ابن خلدون أن نكور في الريف على ساحل المغرب الاوسط لكن يستفاد من ابن عساذري فيما سبق انها على ساحل المغرب الاقصى ٣ انظر حوادث سنة ٣١٩ السابقة

الى الفاطميين مع أن هؤلاء لما أزالوا ملكهم من فاس انخرقوا عنهم الى
 الأمويين - ومع هذا أقصاهم ولاية الناصر عما ملكوه فأتوا باليه وفي سنة ٣٣٢
 نقض بنو محمد الادارة طاعة الناصر وأسروا واليه في سنة فأغزاهم قائده
 قاسم بن محمد فجنحوا الى السلم وأطلقوا الوالي سنة ٣٣٣ وبعثوا برهائهم
 الى قرطبة مؤكدين الطاعة فقبل الخليفة انابتهم وأكرم وفادتهم
 ومن ولاية الناصر في المغرب بنو خزر عظماء زناة يقال ان جدّهم
 خزر بن صولات هاجر وأسلم على يد عثمان بن عفان - أغاروا على
 مدينة تهرت وأسروا ميسورا عاملها من قبل الشيعة وأقاموا فيها الدعوة
 لخليفة الأندلس وكتبوا اليه بذلك سنة ٣٣٣

ومن دعاة الناصر أيضاً أبو يزيد محمد اليفرّني الزناتي الخارجي
 نار على الشيعة في أفريقية وأوقع بهم وتغلب على القيروان وورقادة وأقام
 فيها الدعوة لامير المؤمنين الناصر لدين الله - وجاءت رسل منه ومن
 أهل القيروان الى قرطبة ينبؤن الخليفة بهذا الفوز المبين سنة ٣٣٤
 كان أهل المغرب ينزعون الى طاعة الناصر فرارا من مذهب
 الشيعة المنحرف عن الاسلام الحقيقي فلما تظاهر أبو يزيد أول الامر
 بأنه ينصر شريعة الاسلام المطهرة من بدع الشيعة ويدحض ترهاتهم
 التّفّوا حوله ونصروه وكاد يجهز على دولة الفاطميين في أفريقية لكنه
 لما استباح المحرّمات انفضّ أغلب جنوده من حوله وخذلوه ففي سنة ٣٣٤ جاء
 رسول من القيروان الى قرطبة ينبيء أن المنصور الشيعي لاقى أبا يزيد

في مدينة سوسة وهزمه الى القيروان
يؤخذ من ابن عذارى ^(١) أن الناصر أغزى قائديه احمد بن
يعلي ^(٢) وحيد بن يصل ^(٣) المكناسي الى بني محمد الادارسة
الحسينين في سنة ٣٣٨ فقادا جيشا الى الجزيرة الخضراء فجاء رسول
منهم الى الخليفة يذكر طاعتهم له واتقيادهم لأمره في هدم مدينة
تيطاون التي أنكر عليهم بناءها فقبل انابتهم — ثم وصل محمد بن أبي
العيش الحسني فأكرمه الناصر ثم جاء نبأ بوفاة أبي العيش فعزى الخليفة
الابن عن أبيه وعقد له على عمله ووصله وخلع عليه وعلى الوافدين معه
وصرفهم فبادر محمد الى عمله في المغرب — كان عند وفاة أبيه قصدا بن
عمه قنون الى بلده فاستولى على ماله وأهله لكن لما بلغ البربر اقبال
محمد بن أبي العيش من قبل الناصر رجعوا الى عيسى بن قنون وقد خرج
عن تيكيساس فسلموه ما كان أخذه لابن عمه وقتلوا أكثر أصحابه فلم
يخلص الا في سبعة فوارس .

ويؤخذ منه في موضع آخر ^(٤) أن بني محمد الادارسة شرعوا في
اعادة بناء مدينة تيطاون سنة ٣٤٧ بعد أن هدموها فشكا أهل سبتة
من ذلك الى الناصر لأن في بنائها ضررا يلحق بهم فأغزاهم الناصر

(١) ص ٢٣١ و ٢٣٢ ج ٢ (٢) أرى لفظ (يعلي) مضبوطا في البيان المغرب
بكسر الياء وفتح اللام وهذا الوجود له في لغة العرب ولاجل أن يكون من عداد كلماتها
يلفظ به بضم الياء (٣) لفظ (يصل) تارة يكتبونه أيضا (يصال) وأخرى (مصال)
ويظهر أنه لفظ بربري (٤) ص ٢٣٠ ج ١

قائده احمد بن يعلى وكتب الى حميد بن يصل صاحب تيجيساس (١)
أن يعين القائد فلما اجتمع العسكران على بني محمد كفوا عن البناء واعدوا
أن لا يعودوا اليه وبعثوا بأولادهم الى قرطبة رهائن على وعدهم

وفي سنة ٣٣٩ جاء الى قرطبة الخير بن محمد بن خزر الزناتي
كبير أمراء المغرب يذكر للخليفة ما آتاه الله له من دخول تاهرت وظفره
بمسور الصقلي وابن بكار اليفرنى من قادة الشيعة فقرأ كتابه
بجامع قرطبة وجامع الزهراء

وفيها جاء كتاب الى قرطبة يذكر أن بني محمد الأدارسة زحفوا
الى حميد بن يصل قائد الناصر ونزلوا عليه والتفوا به ولكن دارت
عليهم الدائرة وانصرفوا مغلولين

وفي سنة ٣٤١ جاءت الانباء الى قرطبة بأن زيرى الصنهاجي
عامل الشيعة على تاهرت أسر سعيد بن خزر زعيم زناتة

وفيها وصل الى قرطبة فتوح بن الخير كبير أمراء زناتة ومعه وجوه
أهل تاهرت ووهران وعرضوا على الناصر رؤسا مجتزة من كبار الشيعة
و بنودا وطولا لهم فرفضت هذه الرؤوس والبنود والطول على باب قصر
قرطبة وأقيمت لفتوح ولمن جاء معه الكرامات الواسعة

(١) تارة يكتبونها بالكاف وأخرى بالجيم ولم أرها في معجم ياقوت - وفيه تيفاش
مدينة بافريقية شامخة البناء ذات عيون ومزارع كثيرة وهي في سفح جبل

يؤخذ من روى ^(١) انه في سنة ٩٥٥ (٣٤٣ و ٣٤٤) كتب
والي فاس الى الخليفة الناصر يخبره بنجاح جيوشه في المغرب ويستأذنه في
بناء قبة الجامع الكبير في عدوة القرويين فأذن له وبعت اليه بال وافر
من خمس الغنائم المسكوبة في غزوة جليقة فوسّع الوالي الجامع وبنى القبة
ووضع في قمتها سيف ادريس مؤسس مدينة فاس - وفي هذه السنة
احتلت جيوش الناصر مدينة تلمسان وأعلنوا فيها حمايته للأداسة

وفي سنة ٣٤٤ أنشأ عبد الرحمن سفينة كبرى في أشبيلية لنقل
البضائع من أسبانيا الى مصر والشام فلقبت أثناء سيرها مركبا يقل
رسولا من صقلية الى المعز الفاطمي في أفريقية ومعه رسائل اليه ^(٢)
فاعترضت السفينة المركب وأخذت مافيه غصباً ووالت سيرها وباعت
بضائنها في الاسكندرية واشترت منها غيرها ورجعت الى الاندلس
بلغ ذلك المعز فجهز أسطولا وأمر الحسن بن علي عامله على صقلية
أن يقوده الى ساحل المرية فلما اقتربوا منه أبصروا السفينة الكبرى
وهي عائدة فاقتفوا أثرها حتى قنصوها واجهضوا أحمالها وكان فيها
أمتعة لعبد الرحمن وجوار مغنيات ثم حملوا على مراكب الميناء فسلبوا
ما فيها وأحرقوها ثم صعدوا الى البر فقتلوا ونهبوا وعادوا فرحين
بغنيمتهم وادراك ثأرهم

١ من ٢٠٣ ج ٤ ٢ يقول ابن الاثير وأبو النداء ان الرسول كان من صقلية
الى المغرب يقول كسندي وروى أنه كان من المعز الى والي صقلية

كان صدى هذا الاعتداء أن أمر الناصر بلعن الفاطميين على جميع منابر الاندلس وان كلف قائده غالبا أن يهاجم باسطوله سواحل أفريقية لكن لم تأت حملته بالنجاح الذي كان ينتظره الخليفة فان الاندلسيين مع انهم فازوا بعض الفوز في مبدأ أمرهم دفعهم الافارقة واضطروهم الى الاقلاع^(١)

قال ابن خلدون في هذا الموضع بعث المعز الى الحسن بن علي عامل صقلية سنة ٣٤٤ أن يخرج باسطوله الى ساحل المرية من بلاد الاندلس فعات فيه وغنم وسبي ورجع فأخرج الناصر صاحب الاندلس أسطوله الى سواحل أفريقية مع غالب مولاة فمنعتهم المساكر وأقلعوا ثم عادوا سنة ٣٤٥ في سبعين مركبا فأحرقوا مرسى الخزر وعاثوا في جهات سوسة ثم في نواحي طسبرقة ورجعوا اهـ — كلام صريح في أن الناصر غزا الفاطميين في أفريقية غزوتين واقتصر ابن الاثير وأبو الفداء على الغزوة الأولى في سنة ٣٤٤

ويؤخذ من كندى ورومي أن هجوماً عاملاً صقلية على ساحل المرية أثار سخط خليفة قرطبة وكان حاجبه وقتئذ احمد بن سعيد^(٢) الذي أمتاز بفوزه في غزوة جليقة الاخيرة فحقق للخليفة إمكان انتقامه من المعتدين وجمع السفن من شواطئ اسبانيا وقادها الى

١ دوزي ص ٧٧ ج ٣ ٢ الذي في نفع الطيب (احمد بن عبد الملك ابن شهيد)

وهران^(١) مقلّة عددًا عظيمًا من رجال الحرب الأشداء وجمع من فرسان
الاندلس المحتلين بلاد المغرب خمسة وعشرين ألف فارس ثم هجم
بالرّجالان والفرسان على أفريقية فقاتله الحسن بن علي بجيوشه ودارت رحى
الحرب بين الفريقين حتى غلب وهزم الانداسيون قبائل صنهاجة وكتامة
وكان يتألف منها معظم جيش الافارقة واتبعوا آثارهم مشتين شملهم
ومحرقين بلاد المواليين للفاطميين حتى وصلوا الى ضواحي تونس وكانت
غنيّة بتجارها الواسعة يسكنها كثير من تجّار اليهود الاغنياء فحاصروها
برًا وبحرا وشدّدوا الحصار عليها فلما رأى أهلوها ان الخطر محقق بهم
ولا مغيث لهم عرضوا أن يسلموا المدينة وقدّموا مقدارًا جسيمًا من المال
الى ابن سعيد فطلب منهم مقدارًا أجسم مما قدّموا فاضطروا الى أدائه
وأخذ منهم أيضًا أنسجة مختلفة الاجناس وطرفًا من الحلى وذهبًا وحجارة
كريمة وملابس من الصوف والحرير للرجال والنساء وأسلحة وخيلا
وعددا عظيمًا من الارقاء — وغنم أيضًا سفن الميناء وأثقالها وضمّها الى
سفنه وسير أسطوله الى اشبيلية مشحونًا بهذه الغنائم الواسعة — قدّم
الحاجب منها الى الخليفة الخمّس وقيمة سفينته الكبرى وأحمالها التي
قنصها الحسن وأعطى لقواد والرؤساء والجنود الذين دخلوا في غمار هذه
الغزاة أنصبتهم كلًّا على قدر منزلته حتى صاروا جميعًا راضين وبقي للحاجب

(١) قال ياقوت وهران مدينة على البحر الاكبر من المغرب بينها وبين تلمسان

سرى ليلة

قسم كبير من الغنائم — وقد رقباه الخليفة الى اسمى مراتب الشرف ورتب له في كل سنة مائة ألف قطعة من الذهب

يحتمل أن ابن سعيد أهدى هديته المشهورة الى الخليفة بعد عودته من هذه الغزاة — وفي كندی ان الهدية قدمت الى عبدالرحمن بعد رجوع احمد من غزوة جليقة لكن الاقرب الى الحقيقة انها أخذت أو قسم كبير منها على الاقل مما اختص به الحاجب من غنائم تونس ومهما يكن من الامر فككتاب العرب يمدون أصناف الهدية هكذا أربع مائة رطل من الذهب الخالص من التبر^(١) — وقيمة أربع مائة وعشرين ألف دينار من سبائك الفضة^(٢) وأربع مائة رطل من عود الهند^(٣) — وخمس مائة أوقية من العنبر الأشهب — وثلاث مائة أوقية من الكافور — وثلاثون ثوباً من الحرير الأبيض الموشى بالذهب ومائة وعشرة فراء من الفئك الخراسانية^(٤) وثمان وأربعون ملحفة من

(١) الذي في ابن خلدون والمقرئ خمسمائة ألف مثقال من الذهب العسني وأربع مائة رطل من التبر (٢) الذي في ابن خلدون ومصارفة أربعون ألف دينار من سبائك الفضة مائة بكرة (٣) في ابن خلدون ثمان وعشرون رطلاً من العود الهندي الذي يختم عليه كالشمع ١٠٠٠٠ انظر المقرئ — وزاد ابن خلدون ومائة أوقية من المسك الذكي وقال ابن الفرسي ان المسك مائتان واثنان عشرة أوقية (٤) عبارة ابن خلدون ومن اللباس ثلاثون شقة من الحرير الختم المرقوم بالذهب كلباس الخلفاء المختلف الالوان والصنائع وعشرة أوقية من عاني جلود الفئك الخراسانية — انظر في المقرئ ما قاله ابن الفرسي — في القاموس الفئك بالتحريك دابة فرونها أطيب أنواع الفراء وأشرفها وأعدلها صالح لجميع الامزجة المعتدلة — وزاد ابن خلدون وستة من السراقات العراقية

الحرب والذهب مصنوعة في بغداد باتقان نادر المثال لزينة الخيل أيام الاحتفالات^(١) وأربعة آلاف رطل من الحرير المغزول^(٢) - وثلاثون بساطا فارسية^(٣) طول كل بساط منها عشرون ذراعا - ومائة طنفسة للصلاة^(٤) وخمسة عشر نخعا من الخز وهو نوع من البسط المصنوعة من الجهتين على السواء^(٥) وثمانمائة شبكة وتجفاف^(٦) من الحديد المصقول لحيل الحرب - وألف ترس ومائة ألف سهم - وخمسة عشر فرسا من الخيل العرب الجميلة التي تصلح لركاب الخليفة وخمسة أخرى ملجعة مسرجة بسروج من الخز العراقي وثمانون فرسا مهيأة ومروضة لركوب الحاشية في الحرب^(٧) - وعشرون بغلا بسروجها واجلالها السابقة^(٨)

- (١) ومما زاده ابن خلدون هنا وعشرة قناطير من السمور فيها مائة جلد والظاهر أن رومي أضاف جلود السمور الى جلود الفلك - في القاموس السمور كتنور دابة يتخذ من جلدها فرأى متمنة - (٢) زاد ابن خلدون وألف رطل من الحرير المتقى للاستئصال ... (٣) عبارة غيره وثلاثون بساطا من الصوف مختلفة الصناعات ... (٤) عبارة غيره ومائة قطعة مصليات من وجوه الفرش المختلفة الصناعات من جنس البسط (٥) كذا يقول رومي - وفي القاموس النخ بالفتح بساط طويل - وروم من قال (نوخا) (٦) الشبكة بالكسر السلاح - والتجفاف بالكسر أيضا آلة للحرب يلبسه الفرس أو الانسان ليقيه في الحرب - وعبارة ابن خلدون ومن السلاح واحدة ثمانمائة من تجايف الزينة أيام البروز والمواكب (٧) عبارة ابن الفريسي ومن الخيل مائة فرس منها من الخيل العرب المتخيرة لركابها خمسة عشر فرسا وخمسة من عرض هذه الخيل مسرجة ملجعة لراكب الخلافة بحال السروجها خز عراقي وثمانون فرسا مما يصلح لدوصفاء والحشم وقال ابن خلدون مائة فرس من عتاق الخيل التي تصلح للركوب في المتصرف والغزوات (٨) عبارة ابن خلدون وعشرون من بغال الركاب مسرجة ملجعة

وأربعون غلاما وعشرون جارية مكنتسيات بكسًا فاخرة^(١) انتهى ما عرت بناه من رومي - يظهر أن غزوة تونس التي فصلها رومي ناقلًا عن كندي هي الغزوة الثانية التي أجملها ابن خلدون في كلامه السابق - وما ذكره رومي من احتمال أن تكون هدية ابن سعيد بهدوءته من هذه الغزاة يمنع منه أن بعض المؤرخين نص على أن الهدية كانت في سنة ٣٢٧ - من هذه الهدية يدرك الانسان ما وصلت اليه بلهنية العيش وضخامة دولة الامويين في الاندلس في ذلك الزمان

قد أزعج استيلاء الحاجب احمد بن سعيد على مدينة تونس المجاورة لمدينة القيروان خليفة المهديّة المعزّ الشيعي فهبّ لأخذ الثار وشهر الحرب على بلاد المغرب التي كانت تحت حماية خليفة قرطبة الناصر السنيّ منذ سنين - فأرسل المعزّ قائده جوهر الرومي يقود عشرين ألف فارس من قبائل كتامة وصنهاجة الى هذه البلاد وأمره باخضاعها وإذلال أهلها والقسوة على رؤسائها فقام جوهر من القيروان الى المغرب سنة ٣٤٧ مضمرا في نفسه تنفيذ ما أمره به مولاه - حينئذ دعا يعلى بن محمد اليفرنكي والنائب عن الناصر في المغرب رجال قبائل يفرن وزناتة الى حمل السلاح وقتال جوهر - تقابل الجيشان بجوار تاهرت ودارت رحى الحرب وحمي وطيسها وكان الكتاميون يرمون الى غرض واحد

عمر اكب خلافة بحالس سروجها خز جعفرى عراقى (١) عبارة غريبة ومن متخير الرقيق أربعون وصيفا بكسوتهم وجميع آلانهم وعشرون جارية بكسوتهم وزيتهم

وهو قتل يعلى رئيس جيش المغرب فان جوهر افرق فيهم أموالا لهذا
 الغرض خاصة قبل الدخول في المعركة - قابل يعلى هجمتهم بثبات لكنهم
 أدركوه وحوله عدد قليل من أتباعه فأسقطوه عن جواده وأثقلوه بطعنات
 رماحهم وترجل أحدهم بسرعة وقطع رأسه وحمله الى قائدهم ففرح
 بهديتهم وكافأهم عليها بمال جسيم وبعث بالرأس الى المعز فأمر
 باطافته في القيروان - ولت قبيلة يفرن بمد قتل رئيسها وقد اجتهد ابنه
 هارون في تسكينها فلم يجد نقما - عتبند سار جوهر الى سجلماسة
 وشدّد الحصار عليها حتى فتحها ونهب أموالها وأسر صاحبها محمد بن
 الفتح وشدّ وثاقه وكان يلقب نفسه بالخليفة أمير المؤمنين الشاكر لله
 و يضرب نقودا باسمه ويظهر عدلا في أحكامه ومحافظة على السنة
 ويعمل بمذهب مالك الذي بقي متبعا في أفريقية وكذا في أسبانيا مدة
 حكم العرب فيها - ثم اتجه جوهر الى فاس وحاصرها من جميع الجهات
 ثلاثة عشر يوما ودخلها في يوم الخميس ٢٠ رمضان سنة ٣٤٩ (١٣
 نوفمبر سنة ٩٦٠) وضرب أعناق بعض أهلها وأسر واليها من قبل
 الأمويين وهو أحمد بن أبي بكر الزناتي ونهب المدينة وخرب كثيرا
 من منازلها - ثم أخذ يطارد جنود بني أمية من جميع بلاد المغرب حتى
 استولى عليها ومع هذا لم ينتهك حرّمات المدن التابعة للأمير الحسن
 ابن قنّون الإدريسي فان هذا بادر بالاعتراف بسيادة المعز الفاطمي
 والدخول في حمايته

بعد أن أخضع جوهر بلاد المغرب وسفك دماء حماها أنهارا
وقسا على أهلها وأذلهم ومحا اسم الخليفة الأموي من خطب الجوامع
وأثبت فيها اسم الخليفة الفاطمي عاد إلى أفريقية ومعه من الأسرى
محمد بن الفتح الذي كان أمير سجلماسة وأحمد بن أبي بكر الذي كان
والي فاس وخمسة عشر من أعظم مشايخها مصنفين في أقفاص محمولة
على جمال فأمر أن يطاف بهم في شوارع القيروان وأسواقها ثم حملوا
إلى المهديّة وسجنوا أياما ثم أهلكوا^(١) كذا يؤخذ من روى وقد
نقل عن مؤرخ سماء عبد الحليم - ويؤخذ من ابن الأثير وابن خلدون
أن المعز الفاطمي صاحب أفريقية أغزى وزيره جوهر الصقلي إلى
المغرب في صفر سنة ٣٤٧ في جيش كثيف وخرج معه جعفر بن علي
صاحب المسيلة^(٢) وزير بن مناد الصنهاجي صاحب أشير^(٣)
فساروا إلى تاهرت فتأقاهم يعلى بن محمد الزناتي صاحب المغرب الأوسط
جائيا من مدينته إفكان^(٤) فأكرمه جوهر ثم قبض عليه لمخالفة وناشته
سيوف كتامة فثارت أصحابه فقاتلهم جوهر وهزمهم إلى إفكان
ودخلها بالسيف ونهبها ونهب قصور يعلى وأسر ابنه وكان صبيا وأحرق
المدينة في جهادى الآخرة ثم سار إلى فاس ونازلها فامتعت عليه فرحل

(١) انظر روى ج ٤ ص ٢٤٨ وما بعدها (٢) كقبيلة مدينة بالمغرب اختطها
أبو القاسم محمد بن المهدي في سنة ٣١٥ وتسمى الحمدية (٣) كامير مدينة في
طرف أفريقية الغربي (٤) مدينة بالمغرب ذات أرحية وحمامات وقصور

الى سجلماسة وأخذها وقبض على صاحبها محمد بن الفتح من بني واسول
من مكناسة الملقب بأمير المؤمنين الشاكر لله والضارب السكة باسمه
وولى ابن المعز من بني عمه مكانه ودوخ بلاد المغرب الى البحر ثم
عاد الى فاس وحاصرها حتى افتتحها عنوة على يد زيري بن مناد تسنم
أسوارها ليلا وفتح أبوابها وأوقد المشاعل ودق الطبول فدخلها جوهر
وقبض على واليها محمد بن بكر الجذامي في رمضان سنة ٣٤٨ وطردهما الى
بني أمية من سائر المغرب وضم تاهرت الى زيري وانقلب الى القيروان
ظافرا ومعه احمد بن بكر ومحمد بن الفتح أسيرين في قفصين فحملهما الى
المعز في المهدية في يوم مشهود

ويؤخذ من ابن عذارى أن جوهرًا قائد المعز دخل في سنة ٣٤٧
بلاد المغرب واستولى على فاس ثم توجه نحو تيطاون ففر أمامه الحسن
ابن قنون الادريسي الى قرطبة ثم وصل القائد الى سبتة فلم يقدر عليها
فقصد سجلماسة وملكها بعد أن فر عنها صاحبها محمد بن الفتح الملقب
بالشاكر لله ثم جىء به أسيرا الى جوهر ومكث هذا بالمغرب نحو سنة
ويؤخذ منه في موضع آخر أن الناصر أمر قائده احمد بن يعلى
سنة ٣٤٧ بأن يغزو في الأسطول الى بلد الشيعي معد بن اسماعيل
صاحب افريقية فبرز لغزاته هذه يوم الخميس لثمان خلون من المحرم ٠٠٠
وفي جمادى الآخرة ورد كتاب منه من افسلان من عمل تلمسان
يذكر أن جوهرًا قائد معد (المعز) قتل يعلى بن محمد اليفرنى صاحب

مدينة إفكان غدرا وأن ابن عمه انتصب مكانه بإقامة قومه له ثم
رجع قائد الاسطول الى قرطبة

مناقشات - (١) يؤخذ من رومي أن يعلى جاء الى جوهر محاربا
ويؤخذ من ابن عذارى انه جاء مسلما فقتله جوهر غدرا (٢) ويؤخذ
من رومي أن ابن يعلى بعد قتل أبيه أراد المقاومة فخذله قومه ويؤخذ
من ابن الاثير ان جوهر أسره وهو صبي عند أخذ إفكان (٣) لم
يذكر رومي إفكان مدينة يعلى وقد جاء ذكرها في كلام ابن الاثير
وابن خلدون وابن عذارى ولم يذكر توجهه الى فاس وامتناعها عليه قبل
توجهه الى سجلماسة كما جاء في ابن الاثير وابن خلدون (٤) يذكر رومي
أن جوهر ادخل فاس يوم الخميس ٢٠ رمضان سنة ٣٤٩ ويذكر ابن الاثير
وابن خلدون أن دخوله فيها كان في رمضان سنة ٣٤٨ ويؤيد صحة كلامهما
ما جاء في التقويمات من أن أول رمضان سنة ٣٤٨ يوافق يوم السبت فيكون
يوم ٢٠ منه بالبداهة يوافق يوم خميس - وأما رمضان سنة ٣٤٩ فأوله
في التقويمات يوم الخميس فيكون يوم ٢٠ منه يوافق يوم الثلاثاء - وقد
ذكروا أن جوهر ابدأ غزوته في صفر سنة ٣٤٧ ومكث في المغرب
نحو سنة وعلى كلامه يكون قد مكث نحو سنتين (٥) ويذكر رومي أن
اسم والي فاس (احمد بن أبي بكر) ويقول غيره احمد بن بكر ولم يذكر
ان فتح هذه المدينة كان على يد زيري بن مناد كما نص غيره على ذلك
(٦) ويؤخذ من رومي أن جوهر لم يطارد الحسن بن قنون الادريسي

ويؤخذ من ابن عذارى أنه فرّ منه الى قرطبة (٧) ويذكر رومي أن
جوهرا أخذ معه من الاسرى خمسة عشر سوى والي فاس ووالي
سجلماسة واقتصر المؤرخون على الوالين (٨) يقولون غزا جوهرا في
جيش كثيف و يقدر رومي عدد الجيش بنحو خمسة وعشرين ألفا
(٩) ينصون على ان جعفرا صاحب مسيلة وزيري صاحب أشير خرجا
مع جوهرا وقد أغفل هذا رومي (١٠) زاد ابن عذارى ان جوهرا توجه
الى تيطاون ثم وصل سبته فامتنت عليه

وفي ذى القعدة سنة ٣٤٨ أرسل الناصر جماعة من وجوه الموالي
والعرفاء ورجال الجند مع بدر الفتى صاحب السيف الى مدينة سبته
من أجل جولان جوهرا قائد معدّ الشيعي صاحب القيروان ثم عادوا في
آخر ذى الحجة بعد ان انفرجت الأزمة

ويؤخذ من رومي أن حوادث أفريقية شغلت بال عبد الرحمن
الثالث وضاعفت أحزانه فانه كان لازال يبكي عمه المظفر وولده عبد
الله وحاجبه ابن سعيد الذي مات من أمد غير بعيد - ولرتق فتوقه في
أفريقية وإدراك تأره من أعدائه فيها وجهه الى المغرب اسطولا قويا
يقلّ كثيرا من الجيوش فما لبثوا أن أعادوا شرف الخليفة الى ذروته
فانهم لم يجدوا في المغرب مقاومة تذكر الا أمام فاس ومدن أخرى
فلكوها بعد معارك عنيفة بينهم وبين جنود من ككتامة وصنهاجة
وأخضعوا كلّ البلاد الممتدة من فاس الى البحر المحيط وعاد خطباء

المنابر في جميع المساجد يخطبون باسم الامام عبد الرحمن الثالث أمير المؤمنين وقد عمّ السرور شعوب السوس وقبائل زناتة واضطر الأمير الحسن بن قنّون الادريسي الى أن يعود الى طاعة الناصر وقد أطاع وليّ عهده الحكم أيضاً

— منشورات —

١ - كان من عجائب الدنيا مدينة الزهراء التي اختطها عبد الرحمن الناصر في أول محرم سنة ٣٢٥ (نوفمبر سنة ٩٣٦) في شمال قرطبة على نحو خمسة أميال منها وجعل طولها من الشرق الى الغرب ألفين وسبعمائة ذراع وعرضها ألفاً وخمسمائة - يحكى في سبب بنائها ان الناصر ماتت له سريرة وترك مالاً كثيراً فأمر أن يفك به أسرى المسلمين فلم يوجد أسير في بلاد الأفرنج فقالت له جاريته الزهراء وكان يحبها حباً جماً اشتهيت لو بنيت لي به مدينة تسميها باسمي ففعل وقد اتقن بناءها وأحكم الصنعة فيها وجعلها مسكناً للزهراء وحاشيته وأرباب دولته - وقال ابن خلدون اختط الناصر مدينة الزهراء واتخذها منزله وكرسياً للملكه وأنشأ فيها من المباني والقصور والبساتين ماعلاً على مباني أسلافه واتخذ فيها محاللات للوحش فسيحة الفناء متباعدة السياج ومسارح للطيور مظلة بالشباك واتخذ فيها دوراً لصناعة الآلات من آلات السلاح للحرب والحلى للزينة وغير ذلك من المهن اه - يروى

المؤرخون انه كان يعمل في عمارة الزهراء عشرة آلاف رجل وألف وأربعمائة بغل وكان من الرجال من له درهم ونصف ومن له الاثنان والثلاثة أجرة في اليوم وكان من البغال ألف بالسكراء لكل بغل في الشهر ثلاثة مثاقيل - وكان يصرف في العمارة كل يوم من الصخر المنحوت المعدل ستة آلاف صخرة سوى الآجر والصخر غير المعدل وكان يجلب اليها الرخام الأبيض من المرية والمجزع من رية والوردي والأخضر من أفريقية من أسناقس وقرطاجنة والسواري من رومة وكان يصل جالبي الرخام على كل رُخامة صغيرة بثلاثة دنانير وعلى كل سارية ثمانية وأهدى اليه ملك القسطنطينية مائة وأربعين سارية وكانت تشتمل مباني الزهراء على أربعة آلاف وثلثمائة سارية وعلى ماينيف على خمسة عشر ألف باب مبسة بالحديد والنحاس المموه وكان يسكنها من الاناث ٦٣١٤ ومن الذكور ١٣٧٥٠ منهم ٣٧٥٠ من الفتيان الصعالة وكانوا الحراسا للخليفة وخداما في قصره وقيل أن عددهم كان ٦٠٨٧ وكان هؤلاء من الاحم في اليوم ١٣ ألف رطل تقسم من عشرة أرطال للشخص الى مادون سوى الدجاج والحجل وأصناف الطير وضروب الحيتان - وكان بها بحيرة ذات حيتان يرمى اليها كل يوم مقدار عظيم من الخبز والحصى الأسود المنتوع لتربيتهما وحماهما من اعداهما للإمامة والأخرى للخاصة وجامع وقصر للخلافة : فاجامع كان يعمل فيه من حذاق العملة ألف عامل وثلثمائة بناء ومائتا نجار وخمسمائة من

الاجراء وسائر الصنائع فاستتم بنياه واتقانه في ثمانية وأربعين يوما في شعبان سنة ٣٢٩ وكان ذا خمسة أبهاء ومحراب ومنبر بديع ومقصورة عجيبة وصومعة (مأذنة) وصحن مكشوف وجميعه مفروش بالرخام الخمرى وفي وسطه فوارة يجرى منها الماء وطول الجامع من الجنوب الى الشمال سبع وتسعون ذراعا وعرضه من الشرق الى الغرب تسع وخمسون وارتفاع الصومعة أربعون وعرضها عشر في مثلها ^(١)

وأما قصر الخلافة فكان فخما عليه حلة من الجبال ممرّدا مشرفا على الرياض فيه مجلس مقرونة قبة وحيطانه بقرامد الذهب والفضة يعرف بمجلس الذهب وضع في وسطه اللؤلؤة اليتيمة التي أهداها ليون ملك القسطنطينية الى الناصر خليفة قرطبة وفيه حوض عجيب منقوش بتماثيل الانسان قالوا انه لا قيمة له لفرط غرابته وجماله وانه لما جلب من القسطنطينية نصبه الناصر في بيت المنام في المجلس الشرقى المعروف بالمؤنس وجعل عليه تماثيل من الذهب الأحمر مرصعة بالدر النفيس مما عمل بدار الصناعة بقرطبة ترى في هذه التماثيل صور الأسد والغزال والتمساح والثعبان والعقاب والغيل والحمامة والشاهين والطاووس والدجاجة والديك والحداة والنسر تخرج الماء من أفواهها الى الحوض يؤخذ من نفح الطيب انه كان في كل جانب من هذا المجلس ثمانية أبواب قد انعقدت على حنايا من العاج والأبنوس المرصع

بالذهب وأصناف الجواهر قامت على سواري من الرخام الملون والبلور الصافي وكانت الشمس تدخل على تلك الأبواب فيضرب شعاعها في صدر المجلس وحيطانه فيصير من ذلك نور يأخذ بالابصار وأنه كان في وسط هذا المجلس صريح عظيم مملوء بالزئبق وكان الناصر إذا أراد أن يفزع أحدا من أهل مجلسه أو مأ إلى أحد صقالبه فيحرك ذلك الزئبق فيظهر في المجلس كلمان البرق من النور ويأخذ بمجامع القلوب حتى يخيل للحاضرين أن المحل قد طار بهم .

وجاء فيه في موضع آخر « لما بنى الناصر قصر الزهراء المتناهي في الجلالة والفخامة أطبق الناس على أنه لم يبن مثله في الاسلام البتة وما دخل إليه أحد من سائر البلاد النائية والنحل المختلفة الا وكلهم قطع أنه لم ير له شبيها بل لم يسمع به بل لم يتوهم كون مثله ولو لم يكن فيه الا السطوح الممرّد المشرف على الروضة المباهي بمجلس الذهب والقبّة وعجيب ما تضمنه من اتقان الصنعة وفخامة الهمة وحسن المستشرف وبراءه الملبس والحلة ما بين مصر مسنون وذهب مصون وعمد كأنما أفرغت في القوالب ونقوش كالرياض وبرك عظيمة محكمة الصنعة وحياض وتمائيل عجيبة الأشخاص لا تهتدى الاوهام الى سبيل استقصاء التعبير عنها » لكفاه فوقانا على ما سواه من القصور

واستمر العمل في مدينة الزهراء نحو أربعين سنة من سنة ٣٢٥

الى آخر دولة الناصر وابنه الحكم

وقدّر بعضهم ما كان ينفق في عمارة الزهراء كل عام بثلاثمائة ألف دينار مدة الخمسة والعشرين عاما التي بقيت من دولة الناصر فاذا صحّ هذا التقدير كان مجموع ما أنفق في هذه الأعوام سبعة ملايين ونصف مليون دينار أى نحو ثلاثة ملايين وثلاثة أرباع مليون جنيه لكن هذا لا يستقيم مع قول ابن بشكوال « كان الناصر يقسم جباية البلاد أثلاثا ثلث للجنود وثلث مدّخر وثلث ينفقه على عمارة الزهراء وكانت جباية الاندلس خمسة آلاف ألف ألف (مرتين) دينار وار بمائة ألف ألف (مرتين) وثمانين ألف دينار » ولا يخفى ما في هذا القول من الغلو فإنه يبعد أن تكون جباية الاندلس خمسة مليارات وار بمائة مليون وثمانين ألف دينار ويظهر ان كلمة (ألف) في المكرر مقحمة فتكون الجباية خمسة آلاف ألف (خمسة ملايين) وار بمائة ألف وثمانين ألف دينار - بعد كتابة هذا رأيت في المقرئ في موضع آخر ما يؤيده قال مانصه « وقال غير واحد أنه كان يقسم الجباية أثلاثا ثلث للجنود وثلث للبناء وثلث مدّخر وكانت جباية الاندلس يومئذ من السكور والقرى خمسة آلاف ألف وار بمائة ألف وثمانين ألف دينار ومن السوق والمستخلص سبعمائة ألف وخمسة وستين ألف دينار وأما أخماس الغنائم العظيمة فلا يحصيها ديوان »^(١)

كان القاضي منذر بن سعيد^(١) ينكر على الناصر اسرافه في البناء .
 في المسهب في أخبار المغرب ان منذر بن سعيد دخل يوما على الناصر
 باني الزهراء وهو مكب على الاشتغال بالبناء فوعظه فأنشده الملك
 همهم الملوك اذا أرادوا نشرها من بعدهم فبالسن البنسان
 أو ما ترى الهرمين قد بقيا ولم ملك محاه حوادث الازمان
 ان البناء اذا تعاظم شأنه أضحي يدل على عظيم الشأن
 ودخل منذر على الناصر مرة وهو في قبة جعل قمردها من ذهب
 وفضة واحتفل احتفالا ظن أنه لم يصل اليه أحد من الملوك فقام
 خطيبا والمجلس قد غص بآرباب الدولة فتلا قوله تعالى « ولولا أن
 يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من
 فضة ومعارج عليها يظهرون » واتبع الآية بما يليق بذلك فوجم الملك
 ولم يسهه الا احتمال منذر اعظم قدره في علمه ودينه وحضر معه يوما
 في الزهراء فأنشد الرئيس أبو عثمان قصيدة للناصر منها
 سيشهد ما أبقيت انك لم تكن مضيعا وقد مكنت للدين والدنيا
 فبالجامع المعمور للعالم والتقى وبالزهرة الزهراء لأملاك والعليا
 فاهتز الناصر وابتهج وأطرق منذر ساعة ثم أنشد
 ياباني الزهراء مستغرقا أوقاته فيها أما تهمل

(١) سبب تعلقه بالناصر خطبته المشهورة أثناء الاحتفال برسل ملك الروم كما
 سيأتي قريبا

لله ما أحسنها رونقا لو لم تكن زهرتها تذبل
فقال الناصر إذا هبّ عليها نسيم الينكار والحزين وسقتها مدامع
الخشوع لا تذبل اه وقد ذبلت الزهراء في سنة ٣٩٨ وسياتي بيان ذلك
حكى أن الوزير ابن جهور قال وقد وقف على قصور الامويين المتقوضة
قلت يوما لدار قوم تفانوا أين سكانك اعزاز علينا
فأجابت هنا أقاموا قليلا ثم ساروا ولست أعلم أيننا

(٢) — في سنة ٣٣٢ ليلة الاثنين لتسع خلون من ذي القعدة
حدث في قرطبة زلزلة هائلة دامت ساعة ففرع الناس ولجئوا الى
المساجد ودعوا الله في كشفها فصرها عنهم - وفي صباح ليلة الزلزلة
هبّت عاصفة ردفها أخرى فاقتلعت كثيرا من الشجر والنخل - ونزل
أثر ذلك مطر وابل يحمل برّدا غليظا وقتل كثيرا من الطير والوحش
والماشية وأتلف ما أصاب من الزرع^(١)

(٣) — عن الناصر بتربية ابنه الحكم وتهذيبه واختار تعليمه
كبار الاساتذة وشهراءهم حتى استدعي اليه من بغداد اسماعيل بن القاسم
المعروف بأبي علي القالي وكان ذا حظوة عند العباسيين وشهرة في المراقين
العربي والفارسي وكان يصاحب الحكم في قصر الزهراء - ويتردد
اليه في ذلك القصر أيضا نخبة العلماء والادباء فشبه مولعا بالعلوم
والآداب ذا حلم ومكارم أخلاق محبوبا عند الرعية - لذلك ولا يكونه

أكبر اخوته كان أهلاً لولاية عهد أبيه لكن حسده على هذه الولاية أخوه عبد الله وكان أيضاً ذا علم وحذاقة في الفقه والشعر يعرف علم الهيئة والفلسفة وقد كتب تاريخاً للعباسيين — ومع هذا سوت له بطائنه أن يتخذ الوسائل الخائلة دون تولية أخيه فأتمروا به في القصر المرواني في ضاحية قرطبة ليقتلوه في يوم عيد الاضحى فبلغ أسهم الخليفة فبادر بارسال كوكبة من فرسانه الصقالية تحت قيادة أحد وزرائه فدخلوا القصر ليلاً باسم الخليفة وباغتوا الأمير عبد الله ومعه صاحبه الفقيه أحمد بن عبد البر وشريف آخر يسمى أحمد بن المطار ويعرف بصاحب الورد وساقوهم إلى الزهراء وسجنوهم فرادى ثم اشخصوا الأمير الشاب أمام أبيه فسأله عن جريمته فكانت اجابته الاضطراب والبكاء ثم سأله وزيران من مجلس الحكومة في غير حضرة أبيه فاعترف بما فعله هو وابن عبد البر اعترف بأنه فقد رشده بسماعه وساوس هذا الفقيه وان هذا ألقى في أمنيته خطته السوداء انتقاماً من حكومة الناصر لأنها لم تعهد إليه بوظيفة قاضي القضاة وأنه لا شريك له في المؤامرة سواء وبراً صاحب الورد من أن يكون له يد في الأمر فلم ينفع عبد الله بكأوه ولا صدقه ولا شفاعة أخيه بل حكم عليه بالاعدام في اليوم الذي كان موعده تنفيذ ما تأمروا فيه وحكم على ابن عبد البر بضرب العنق فنزعت روحه في السجن وكانت هذه الحادثة في ذي الحجة سنة ٣٣٧ هـ - وقد مات في هذه السنة المظفر بأسوأ عليه .

كذا يقتبس من رومي ومأخذه تاريخ كندی وهاك تعريب
مافيه بتصرف : —

عهد عبد الرحمن بولاية العهد لابنه الحكم خلف له الوزراء
والولاة والقضاة والكتاب عين الطاعة وكان الأمير عبد الله أخوه مولعاً
بالعلوم ويساميه فيها وفي الحركات البدنية وركوب الخيل واستعمال
الأسلحة وكانت محبة الناس الملتزمين حوله آياه تعادل محبتهم أخاه فقد
جذب قلوبهم اليه يششته وكرمه وكان هذان الأميران يتفقان في حسن
الشيء ويتصفان بالحق وسعة المدارك

ولكن عبد الله نفخه ما كان يسمعه من كلمات التملق فاخطأ محبة
الصواب ولجأ اليه الناس المتملقون راجين من وراء ذلك نيل أغراضهم
فقامت بنفسه افكار كان من جرأتها أن تغيرت حياته السعيدة ذات
الشرف والمجد الى حياة ذات بؤس وشقاء فنزع الى انتزاع المملكة
التي عهد بها والده الى أخيه فأجبرته المخاوف التي تحف بهذا الأمر
الى العمل في الخفاء — يذكر أبو عمر بن عفيف هذه الحادثة في كتاب
تاريخه الذي أتمه ابن حبان بالصورة الآتية

كان أعز صديق حميم الأمير عبد الله رجل ذو قدرة خارقة للعادة
يسميه بعض الكتاب الفقيه أحمد بن محمد ويعرف بابن عبد البر وكان
يلزم الأمير ملازمة شديدة حتى يقال انه لم يفارقه قط فكان
يصاحبه في غداوته وروحاته ويندر أن يرى عبد الله بغيره —

كان هذا الرجل يكتنم في صدره مطامع واغراضا فكان يصانع من فوقه ويعتو على من دونه ويخفى تحت ثياب تنبى عن الحشمة والوقار نفسا خبيثة ذات مكر ودهاء وعزم أكيد على القيام بمطالبها الخفية أمكن هذا الرجل أن يخدع الأمير عبد الله فذكر له أن الأشراف في قرطبة والأقاليم يظنونهم حزينا لأن أباه آثر أخاه الحكم عليه بتوليته إياه ولاية العهد وأظهر له أنه ممتاز عليه بكثير من الصفات الحسنة مما جعل الناس اجمعين يحبونه ولما وجد الأمير معيرا أذنا لكلامه زاد أنه إذا أراد أن يخطو بضع خطوات في سبيل انتخاب الجمهور إياه فإنه لا يجد أدنى صعوبة في هذا الأمر وإن هذا هو العلاج النافع لما أصابه من ظلم أبيه وقد ذهب أحمد بن محمد شوطا بعيدا إذ قال أخيرا لعبد الله إن الملك والده ربما يضطر إلى تسليم عرش المملكة إليه بدون ريث وأكد له أن جميع ما يعمل في ما يؤدي إلى مثل تلك النتيجة هو عين الحق .

ضلّ عبد الله السبيل وفتن بالمنظر الذي أراه إياه ابن عبد البر وتخير حينما سمع منه كلمات الملق ووعده بأنه هو الذي يقوم بجميع ما في الأمر ضامنا له حياته وذكر أن ذلك عنده من السهولة بمكان وأنه جهّز المعدات التي لا يشك في أنها تؤدي إلى النجاح . أثرت تلك الكلمات في الأمير المخدوع فكانت سبب نحس طالعه فانها هي التي قادت لاطويته السليمة إلى أن أذن لهذا الرجل أن يكون له حزبا

ويأخذ هو في جذب قلوب وزراء وقوادأبيه الى جانبه — كلاً
عبد الله أصحاب ابن عبد البر بعين الرعاية ونصبهم في بعض المناصب
واسبل عليهم رضاه التام وفي الوقت نفسه كان يتعرف بأناس من جميع
الطبقات كما أشار عليه مرشده الخادع

لم يعجب أحد حين رأى أن الأمير عبد الله يذهب الى منازل
العلماء الذين طنّ صيتهم في آذانه وأن هؤلاء العلماء يترددون على
قصر مروان الذي كان يسكنه الأمير لأنه كان اشتهر بولوعه بالعلوم
الادبية ولكن ابن عبد البر لم يقصر دخول القصر على من يشق بهم
بل جعله عاملاً لكل زائر ولم يخص الناس الذين يزورهم عبد الله
فكانت نتيجة ذلك ان ذهب أحدهم الى عبد الرحمن وأفشى اليه كل
شئ وأكد له ان هذه الافاعيل لا تؤدي فقط الى صعود عبد الله
فوق كرسي المملكة بل الى انقضاء ملكه العاجل والقضاء على
حياة الأمير الحكم أيضاً فان أقل مافى عزم المتآمرين قتله حتى يكون
ضماناً لحياتهم وجدّ اليوم المزمع فيه انجاز الجريمة وهو يوم عيد الاضحى
الذي كان قرب ميعاده .

لم يزل عبد الرحمن غير مصدّق هذه الرواية الا أنه لم يهمل شأنها
لعظمه فدعا عمه الأمير المظفر وأطلعه سرّاً على ما بلغه واتفقا على أن
يرسل أحد الوزراء في جنح الليل الى قصر الأمير عبد الله ويقبض
عليه ويقوده الى مدينة الزهراء حيث كانت تجتمع المحكمة . فاعد

الوزير معدّات ذلك وذهب الى قرطبة ودخل باسم الملك قصر مروان الذي كان يبعد قليلا عن المدينة فأدهش ذلك الأمير الذي كان في تلك الآونة في صحبة الفقيه ابن عبد البر والفارس احمد بن عبد الله بن العطار المسمي بصاحب الورد فقبض الوزير على هذين الشخصين لاشتباهه في أمرهما وساقهما الى الزهراء وحبسهما منفردين لكي يمنعهما من المحادثة

ولما مثل عبد الله بين يدي أبيه قال له أبوه يظهر لي أنك استأت من عدم تبوئك عرش مملكتي فلم يحرك الأمير جوابا ولم يمكنه غير البكاء فأمر والده بأن تغلق عليه حجرة .

أمر الخليفة وزيرين أن يذهبا ويستطلعا سر المؤامرة من عبد الله ففعلوا ذلك ولم يتردد الأمير في الاقرار بما حصل الى الساعة التي قبض عليه فيها

الآن صار من الجلي ان تحريضات ابن عبد البر هي التي ألبأت عبد الله الى المؤامرة ضد أخيه وأنه هو الذي مهد السبل للجريمة فان عبد الله لم يعرف أحدا سواه من الذين لهم ضلع فيها وان صاحب الورد كان بريئا لأن عبد الله شهد بأنه لم يدخل في تدبير هذه المكيدة . وقصارى القول أنه قد ظهر للعيان ان الأمير عبد الله لم يحدث الا عن وساوس ابن عبد البر وعن المكيدة التي دبرها وأنه لم يعرف سواه من المتآمرين وان هذا الفقيه أراد بذلك أن

يحصل على وظيفة قاضى قضاة اسبانيا ٠٠٠٠ فلم يحصل على مبتغاه
وقد حكم عليه بالاعدام فى اليوم الذى كان موعدا تنفيذ جريمته ليكون
ذلك شاهدا عدلا على اجرامه — لما علم ابن عبد البر بهذه الحقيقة قال
(يبدى لا يبدعرو) وقتل نفسه فى السجن فى ليلة اليوم الموعود وكان
ذلك فى شهر ذى الحجة سنة ٣٣٨

تتفق الروايات فى أن الحكم طلب العفو عن أخيه ولكن عبد
الرحمن الناصر أجابه ان شفاعتك وطلبك العفو لا خيك لجليلان
ويعودان بالنفع عليك وانى اذا كنت فى مرتبة أحد الاشراف
لكان الأمر كما أحببت وكما يلى على ضميرى ولكن لكونى ماسكا
فلا بد أن أنظر الى المستقبل وأكون لأمتى مثالا حسنا وانى وان
كنت سأبكي ولدى وأحزن عليه ما حيت مضطرا الى أن أفعل ما توحى به
إلى العدالة ويجب على أن اتخذ الخليفة العظيم عمر بن الخطاب
قدوة وأسير على منواله فى العدل وعلى ذلك لا تستطيع دموعك المنسكة
أويأسى المنقطع أو الحزن الذى سيخيّم على أهل بيتنا ان تنقذ أخاك
من قصاص ذنب لا ريب فى أنه اقترفه

يقال ان الامير عبد الله كتب الى والده بشأن صاحب الورد
قائلا له لا تدع انسانا آخر يؤخذ بجريرتى . وفى الليلة نفسها قتل
الأمير فى سجنه وفى اليوم التالى دفن فى مدفن الرصافة واحتفل
بجنازته ومشى فى مشهد الحكم واخوته وغيرهم من اسرة مروان

وكثير من اهل المدينة — لم يمض زمن مديد على تلك الحادثة المحزنة حتى أصيبت أسرة الخليفة برزء جديد وهو موت الأمير المظفر عم الملك عبد الرحمن فجزع عليه جزعاً شديداً لأنه كان يحبه كأبيه وهكذا سنة الدهر فان مصائبه يتلو بعضها بعضاً .

وقال ابن خلدون في هذا الموضوع كان الناصر رشح ابنه الحكم وجعله وليّ عهده وآثره على جميع ولده ودفع اليه كثيراً من التصرف في دولته وكان أخوه عبد الله يساميه في الرتبة فغصّ بذلك وأغراه الحسد بالنكثة فنكث وداخل من في قلبه مرض من أهل الدولة فأجابوه وكان منهم ياسر الفتي وغيره ونهى الخبر بذلك الى الناصر فاستكشف أمرهم حتى وقف على ابلجى فيه وقبض على ابنه عبد الله وعلى ياسر الفتي وعلى جميع من داخلهم وقتلهم أجمعين .

٤ — قوة الناصر البرية التي أخذ بها تيران الفتن التي كانت مشتملة في الاندلس والتي قهر بها نصارى الشمال وقوته البحرية التي أمكنته من الاستيلاء على سببته مفتاح المغرب وعلى تونس القربية من القيروان احدى عواصم مملكة الفاطميين في أفريقيا وضخامة ملكه في العمران وعظمة شأنه في الحضارة والعرفان كل ذلك أكسبه شهرة ملأت الآفاق ودفعت ملوك الأمم الأخرى الى الازدلاف اليه .
ففي سنة ٣٣٨ (٩٤٩) بعث اليه قسطنطين بن ليون ملك الروم رسلاً يحملون اليه هدية وكتاباً يرغب فيه تجديد المحالفة القديمة التي

كانت بين أسلافهما على خلفاء بغداد وكان الكتاب مكتوباً بحروف من الذهب في رقّ ذي لون سماوي وفيه طرس سماوي أيضاً مكتوب بحروف من الفضة يصف الهدية وأصنافها وكلاهما بالخط الاغريقي وعلى الكتاب طابع ذهب يزن أربعة مثاقيل على أحد وجهيه صورة المسيح عليه السلام وعلى الآخر صورة قسطنطين وابنه رومانوس والكتاب موضوع في علبة من فضة منقوش على غطاها إطار من ذهب فيه صورة قسطنطين مرسومة على زجاج ملوّن بأبداع رسم - والعلبة في جعبة ملبسة بالديباچ وكان مفتوح الكتاب مترجمته في السطر الأول « من قسطنطين ورومانوس المؤمنين بالمسيح الملكين العظيمين ملكي الروم » وفي السطر الثاني « الى العظيم صاحب المجد الشريف النسب عبد الرحمن الخليفة الحاكم على العرب في اسبانيا أطل الله بقاءه » لما أخبر الناصر بوصول الرسل الى الحدود وجّه للقائهم القائد يحيى بن محمد تحفه كوكبة من الفرسان فتلقاهم بالتجاة ورافقهم في الطريق ولما قربوا من قرطبة تلقّتهم بالحفاوة فرّق من الجنود كاملة العدد والمُدّد يقودها كبار القواد ثم لقيهم الخصيان ياسر وتمام كبيراً الموالى أولى السلطان في القصر الخلافي وكان هؤلاء وقتئذ من عظماء الدولة فكان ذلك من المباغة في الاحتفال بالوافدين ثم أنزلوا في قصر في ضاحية قرطبة وأقيم على حجابتهم بعض وجوه الموالى ومنع الناس طراً من مخاطبتهم وفي ١١ ربيع الأول (٧ سبتمبر سنة ٩٤٩)

استوى الخليفة على عرش الخلافة في قصر قرطبة السلطاني وقعد
 ن يمينه و يساره أبنائه وأعمامه والوزراء والولاة والعلماء على حسب
 مراتبهم ووقف في الخدمة أبناء الوزراء والموالي بأزياء بديعة وفي
 الحراسة جنود مدججة بالسلاح مرتبة الصفوف وقد بسط صحن
 القصر بنفائس البسط وكرائم الدرائك^(١) وظللت أبوابه وحناياه
 بظلال الدياج ورفيع الستور فلما جيء بالرسول الى هذا المجلس الزاهر
 بهرهم ما رأوه من بهجة الملك وخامة السلطان ودنوا من العرش وأدوا
 رسالة ملكهم . حينئذ أمر الخليفة أن يخطب العلماء والشعراء بما يناسب
 المقام فراءهم هول المحفل وأبته الخلافة فارتج عليهم وكان منهم اسماعيل
 أبو علي القالي^(٢) البغدادي وكان في بطانة الحكم ولي العهد قام يخطب
 بأشارة منه فحمد الله وصلى على نبيه ثم بهت فقام الفقيه منذر بن سعيد
 من ذاته ووصل افتتح القالي بكلام بليغ خلب الالباب واسترق
 الاسماع ولما انفرط عقد الجمع أخذ الناس يطرون منذرا ويعجبون
 من ثبات جنانه وسحر بيانه وأعجب به الناصر وولاه الصلاة
 والخطابة في جامع الزهراء ثم ولاه قضاء قرطبة . وبعد أيام انصرف
 هؤلاء الرسل وبعث الناصر معهم وزيره هشام بن هذيل بهدية من
 الصافيات الجياد ومن الاسلحة القيّمة المصنوعة في قرطبة وطليلة
 ليوطد دعائم المودة بين الملكين ورجع بعد سنتين وعاد معه

(١) جمع درنك بكسر الدال والنون وهو الطنفسة (٢) نسبة الى قاليقلا

رسل قسطنطين .

ثم بعد ذلك وفد على الناصر رسل من ملوك أمم أوروبا: الصقالبة
والألمان والافرنج القاطنين وراء البرت والافرنج المتأخمين لهم من ج .
الشرق ووصل مع رسولهم رسول صاحب برشلونة وطر كونة ووصل
بعده رسول صاحب رومة فاحتفل الناصر لقدمهم وأجاب رغباتهم
ورجموا معجبين بحضارة الاسلام في الاندلس . هذا مجمل كلام
المؤرخين الذي لا مزية فيه لكنهم اختلفوا في أسماء ملوك تلك الامم
فقد جاء في المقرئ ان ملك الصقالبة يومئذ (دوقوه) وفي ابن خلدون
انه (هوتو) وفيهما ان ملك الافرنجة وراء البرت (أوقه) وملك
الافرنجة بقاصية المشرق (كلدة) وقال ابن عذارى « في سنة ٣٤٣ هـ »
قدمت رسل (هونوا) ملك الصقالبة على الناصر وقال دوزي ان
هونو رخي قرطبة يسمون ملك الصقالبة (أوتون Otton ^(٢)) وقال
رومي ان العرب يسمونه (دوقو) آخذين ذلك من لقبه (دوق Duc)
ويسمون ملك الفرنك وراء جبال البرانس (أوقه Ouketh) وهو
(هوغوس Hugues) ملك إيطاليا وپروقتسا وأنه جاءت بعثة من
امراة ملك الفرنك الآخر المسمى (كارة Kalara) ^(٣) وأنه جاء
الى قرطبة رسل من كونت برشلونة الذي كان يسمى (سونياارة

(١) انظر الذخيرة الثالثة (٢) انظر هامش ص ٦٠ ج ٣ في Otton زيادة نون
وحذف هاء وفي (هوتو) العكس ويظهر ان الاسم الحقيقي (هوتو) فبحث (٣) بالراء
بعد اللام وفي ابن خلدون والمقرئ (كلدة) بالبدال ويظهر ان أحدهما حرف عن الآخر

(Suniaire) يصبحون سفراء الملكة أرملة (شارل السادس
Charles-le - simple) ووالدة (لويس الرابع) اه^(١)
وأقول ان امبراطور ألمانيا الذي كان في عصر الخليفة عبد الرحمن
هر (أوثون الاول Othon) فانه ارتقى على عرشها سنة ٩٣٦ م
(٣٢٤ هـ) ومات سنة ٩٧٣ م (٣٦٢ هـ) وأخضع الصقالبة فيظهر انه
الذي بعث رسولا أورسلا الى الناصر — وأن دوق فرنسا في
ذلك العصر كان (هوغوس Hugues) فانه مات سنة ٩٥٦ (٣٤٥)
فيظهر أنه هو الذي يحرفون اسمه الى (أوقة) — وأنه يستتج من
مقارنة عبارة رومي الأخيرة بما في التواريخ العربية من أن رسول
ملك برشلونة وطراً كونه وصل الى قرطبة مع رسول (كلدة) ملك
الافرنجة بالمشرق ان اسم (كلدة) أو (كلرة) محرف عن (كلرة)
أو (كارلوس) أو (شارل Charles) وان لم يخلُ الكلامان
من اختلاف

ه — كان الناصر يقوم بأعباء مملكته بنفسه ولا يكل شؤنها
الى غيره فكانت تستغرق أوقاته — لكنه في سنة ٣٤٤ وزع بين
وزرائه أعمال ديوانه فاختص الوزير جهور بن أبي عبدة بالنظر في
كتب أهل الخدمة والوزير أحمد بن فطيس بالنظر في كتب أهل
الثغور والسواحل والأطراف والوزير الكاتب عبد الرحمن الزجالي

بالنظر في تنفيذ كل ما يخرج من اليهود والتوقيعات والوزير محمد بن
جدير بالنظر في مطالب الناس وتنجز التوقيعات لهم فالتزم القوم
ما ألزموا به وكان الخليفة يشرف على جميع أعمالهم

٦ — ساقنا الحوادث التاريخية السالفة الى سنة ٣٥٠ وفي

ثالث رمضان أفل نجم عبد الرحمن الثالث وهو ابن اثنتين وسبعين
سنة بعد ان حكم منها ما ينيف عن خمسين سنة • كان واسطة عقد ملوك
بنى أمية في الاندلس يمتاز ببلاغته وشجاعته وأقدامه وعدله وكرمه
ورأفته بالرعية

أطفأ نيران الثورات التي كادت تقوض دعائم ملك بني أمية
في الأندلس تارة بلسانه وأخرى بسيفه وقاد الجيوش بنفسه الى بلاد
الاعداء حتي خضعت له ممالك الشمال وامتد سلطانه في بلاد المغرب
أفريقية وسارت البلاد في عهده شوطا بعيدا في سبل الحضارة والعمران
وتقدمت الزراعة والصناعة والتجارة وارتقت العلوم والفنون والآداب
ولاسيما الشعر

مما ينبغي عن رقي زمن الناصر ما يحكي انه أراد الفصد فقمع بالبهو
في المجلس الكبير بأعلى قصره بالزهراء واستدعى الطبيب فأخذ الموضع
وجس يد الخليفة فبينما هما على هذه الحالة إذ أطل زرزور فصعد
على أناء ذهب بالمجلس وأنشد

أيها القاصد رفقا بأمر المؤمنين

انما تفصد عرقا فيه محيا العالمينا

وكرر ذلك المرة بعد الأخرى فاستظرفه الناصر وسأل عمن علم
الرزور ذلك فقبل له أنها السيدة مرجانة أم ولده الحكم فوهب لها ما يذيف
عن ثلاثين ألف دينار^(١)

ويؤخذ من دوزي انه في مارس سنة ٩٦١ مرض عبد الرحمن
الثالث وخيف على حياته ومع هذا نجح الأطباء في علاجه — وفي
أول يوليو نقه من مرضه ولكن النقاهة ما كانت الا ظاهرية فقد
انتكث وعاد اليه مرضه وفي ١٦ أكتوبر من سنة ٩٦١ أسلم الروح
الى بارئها وهو ابن سبعين سنة حكم منها نحو تسع وأربعين سنة .

كان له المقام الأول بين ملوك بني أمية فانه قد جاء بالمعجائب:
وجد المملكة فوضى ممزقة بالأحزاب مقسمة بين جملة أمراء من
بناس مختلفة معرضة لاغارات نصارى الشمال المستمرة ومشرفة على
أن يبتلعها الليونيون من جهة والأفارقة من جهة أخرى ورغما عن
العتبات التي لا تحصى خلص الأندلس من لتهلكة في الداخل
والخارج وبهشها أعظم وأقوى مما كانت عليه وأكسبها النظام والسعادة
في الداخل والاعتبار والاحترام في الخارج وجد خزائنها خالية في
حالة يرثى لها فأفعمها بالأموال حتى بلغ دخل المملكة السنوى الى
سته ملايين ومائتين وأربعين وخمسة آلاف دينار وكان ثلث الدخل

يكفي للمصر وفات العادية والثالث الثاني يدّخر والثالث الأخير
يخصّص للبناء . أ كد سائح يعنى بالامور المالية ان عبد الرحمن
والحمدانى الذى كان يحكم وقتئذ فى بلاد الجزيرة (بين دجلة والفرات)
كانا من أغنياء الملوك فى ذلك الزمان ولا ريب أن بين ضخامة الجباية
العامة وارتقاء البلاد ارتباطا — كانت الزراعة والصناعة والتجارة
والفنون والعلوم والآداب زاهية زاهرة فى عصره فكان الغريب يروقه
بجمال المزارع وطرق أرواها الهندسية العجيبة التي كانت تخصب الاراضى
المجدبة ويمجّب من كمال النظام المستولى على الاقضية بواسطة الشرطة
المتيقظين ويستغرب من انخفاض أثمان الاطعمة ومن نظافة الملابس
ومن الرفاهية العامة التي كانت تسمح للسابلة بركوب البغال بدل السير
على الاقدام — كانت قرطبة والمرية ومدن الاندلس الاخرى غنية
بصناعاتها العديدة المختلفة — واتسعت فى عهده دائرة التجارة وكانت
رسوم الجمارك عن الصادرات والوارد تكون الجزء الاعظم من دخل
المملكة — / كانت قرطبة فى عصره تضارع بغداد فى العظمة والحضارة
وقد بلغ عدد سكانها الى نصف مليون وعدد مساجدها الى ثلاثة آلاف
وعدد قصورها ودورها الى مائة وثلاثة عشر ألفا وعدد حماماتها الى
ثلاثة وعشر ضواحيها الى ثمان وعشرين

ذنابات

هدانا سيرتاريخ الناصر فيما مر الى الكلام على حروبه في أفريقية
وقد كان فيها اعهده سلالتان يرجع نسبهما الى علي بن أبي طالب وهما
الادارسة والفاطميون وكان ينبغي لنا أن نستطرد حين عرضت هذه
الحروب بذكر لمة نبين فيها منشأ هاتين السلالتين وكيف تمها لهما بعد
الانتقال من المشرق تأسيس دولتين في المغرب ولكن رأينا الاستطراد
هناك يقطع تسلسل حلقات التاريخ فأفردنا له ذنابتين

(الأولى في الادارسة) كان لعبدالله حفيد الحسن بن علي بن أبي
طالب ستة أبناء دون التاريخ لهم أعمال إلهامة في الدين والسياسة: تفرقوا
في الجهات وبايعهم الناس لاعتقادهم ان الامامة في نسل علي ونازعوا بني
العباس في الخلافة وحاربهم هؤلاء وفتكوا بهم واطلوا دماءهم

من أولئك الأبناء ادريس وهو أصغرهم كان يقاتل مع الحسين
حفيد عمه الحسن الثالث أخى عبدالله وحفيد الحسن السبط بني العباس
أيام الهادي في وقعة رج^(١) على ثلاثة أميال من مكة سنة ١٦٩ للهجرة
فلما دارت الدائرة على الحسين وقتل وولي أصحابه أفلت من الهزيمة
إدريس ولحق بمصر وعاملها يومئذ مولى لبني العباس اسمه واضح
وكان ينشيع لآل علي فحمله على البريد الى برقة ومعه مولاة راشد ومنها

(١) بواو مفتوحة وجيم مشددة وقيل فجج بالفاء وقيل فنج بالحاء

توجه الى القيروان حاضرة أفريقية وفيها ابراهيم بن الاغلب عامل
بنى العباس — أراد الله أن يكون لادريس دولة بالمغرب كما أتاح لعبد
الرحمن الداخل دولة بالأندلس فأعفى ابصار الرقباء العباسيين عنه
وكان يتزياً بزى الأرقاء تمويهاً للأنظار — ثم انتقل الى تلمس
قصة المغرب الأوسط واستراح فيها أياماً ثم عبر نهر ملوية متجهاً
طنجة مدينة السوس الأدنى وكان أخصب أقاليم المغرب الأقصى
فلم يقم بها طويلاً لأنه لم يجد فيها الوسائل التي تؤدى الى ما تعلمح
أنظاره فتركها ونزل وائلى^(١) وكان بها يومئذ اسحق بن عبد الحميد
امير أوربة^(٢) وكان من المعتزلة فقابل به بالحنافة وأكرم مشواه ودعا قبائل
المغرب الأقصى الى طاعته فأطاعوه وبايعوه على أن يكون أميرهم في
رمضان سنة ١٧٢ (٧٨٨)

خاطب ابن الاغلب هارون الرشيد في شأن ادريس فدر
اليه من سمه فهلك سنة ١٧٥ وترك حظية حبلى تسمى كنزة فق
بأمر البربر مولاه راشد ولما وضعت جنينها سموه ادريس باسم أ
وكفله راشد الى أن قتل سنة ١٨٦ وقام من بعده بالكفالة أبو خا
العبدى الى أن بايعوا ادريس سنة ١٨٧ وهو ابن اثنتى عشرة س
واستوزر مصعب بن عيسى الأزدي وقتل اسحق كبير قبيلة أور

(١) بفتح أوله وكسر ثانيه ورابعه مدينة بالمغرب قرب طنجة — ياقوت

(٢) أوربة بفتح فسكون ففتح قبيلة من البربر مساكنهم قرب فاس.

سنة ١٩٣٠ لما أحس منه بمرآة إبراهيم بن الأغلب — ولما ضاقت وليلى
بسكانها اختط مدينة فاس ذات عدوتين عدوة الأنداسيين سنة ١٩٢
وعندوة القرويين سنة ١٩٣٠ فانتقلوا إليها وغزا المصامدة سنة ١٩٧
وفتح بلادهم وضايق إبراهيم بن الأغلب وإلى القيروان فدافع هذا
عن حماء واستمال بهلول المظفرى وقومه عن طاعة ادريس الى طاعة
الرشيد — فاستراب ادريس بالبربر فأتخذ زهاء خمسمائة من عرب
أفريقية والأندلس نزعوا إليه بطانته فاستقام بهم سلطانه وعجز الأغلبة
عن مدافعة الادارسة وهلك ادريس سنة ٢١٣ وخلفه ابنه محمد وأشرك
أخوته في سلطانه بإشارة جدته كنزة فقسم المغرب بينهم فكان من
نصيب القاسم طنجة والبصرة^(١) وسبتة — وعمر صنهاجة وغمارة
وداود هوارة ومكناسة — وعبد الله اغمات^(٢) وجمال المصامدة
وبلاد كطاة^(٣) والسوس الاقصى — وبحي أصيلة^(٤) وعيسى سلا^(٥)
وأزمورة^(٦) وحمزة وليلى وأعمالها — خرج عيسى بأزمورة على أخيه

(١) البصرة هنا غير بصرى العراق وهى بلد فى أقصى المغرب قرب السوس خربت
وكان بينها وبين فاس أربعة أيام (٢) اغمات ناحية فى بلاد البربر من أرض المغرب قرب
مراكش وهى مدينتان متقابلتان ومن وراءهما إلى جهة البحر المحيط بالسوس الاقصى بأوهم
سراجل ومن سجد ماسة ثمانى سراجل وبينها وبين مراكش ثلاثة فراسخ (٣) لمطة
الفتح ثم السكون أرض وقبيلة من البربر بأقصى المغرب (٤) أصيلة أول مدينة العدو
بأقصى المغرب والبحر بغيرها «نويها وهى بنى طنجة بينها امرحلة (٥) سلا بالفتح
بأقصى المغرب ليس بعده معمور الامدة صغيرة يقال لها غرنيطوف (٦) أزمورة
بالات ضمت متواليات وتشديد الميم بلد بالمغرب فى جبال البربر

محمد طالبا الامر لنفسه فبعث بحربه أخاه عمر بعد أن دعا القاسم لذلك
فامتنع فأوقع عمر بهيسى ثم بالقاسم وغلب على مافي أيديهما فسار
ريف البحر الرومي من بلاد غمارة الى سبتة ثم الى طنجة وريف
البحر المحيط من سلا الى أزرورة من عمل عمر واتسعت ولايته الى أن
هلك سنة ٢٢٠ بصلهاجة فنقل الى فاس ودفن بها وهو جد بني حمود
المستواين على قرطبة عند انقراض ملك الامويين - وولى الأمير محمد
عمل أخيه لولده علي بن عمر وملك محمد سنة ٢١٠ بعد أن استخلف ابنه
عليا وهو ابن تسع سنين فكففته بطانة أبيه واطاعته سائر البربر
وكانت أيامه خير أيام ومات سنة ٢٣٤ وخلفه أخوه يحيى فامتد سلطانه
وعظمت دولته وحسنت آثار أيامه واستجدت فاس في العمران وبنيت
بها الحمامات والمناقد للتجار وفي عهده اختطت سيدة مثرية تسمى
فاطمة المسجد الجامع وكان أبدع بدائع المغرب - ومات يحيى خلفه
ابنه يحيى فساء السيرة فثارت به العامة وأخرجوه من عدوة القرويين
الى عدوة الاندلسيين فمات بها - وبموته انقطع عقب محمد بن ادريس
كذا يؤخذ من ابن خلدون - ويؤخذ من ابن عذاري ان الذي خلف
محمد ابنه يحيى فلم يحسن سياسة الملك لانهما كره في الشراب ولهوه
بالنساء وانه دخل يوما الحمام على امرأة فتغير عليه أهل فاس فهرب الى
عدوة الاندلس ومات بها - وخلفه علي بن عمر صاحب الزيف فجاء الى
فاس وبايعوه واستولى على أعمال المغرب الى أن ثار عليه عبد الرزاق

الخارجي وملك منه عدوة الاندلس وألجأه الى أوربة وخلفه في عدوة
القرويين يحيى بن القاسم بن ادريس وأخرج الخارجي من العدوة
الآخري وطالت إمارة يحيى بفاس الى أن قتله الريس بن سليمان
سنة ٢٩٢ وخلفه يحيى بن ادريس بن عمر صاحب الريف فتفرد بملك
المغرب وفاق أسلافه سلطانا وعلماء ولكن في عهده أخذ الفاطميون
يمدون بساط ملكهم في أفريقية ومدوا أنظارهم الى ملك المغرب
فأغزى اليه عبيد الله أول الخلفاء الفاطميين قائد مصالة بن حبوس
المكنامي صاحب تاهرت سنة ٣٠٥ (٩١٧) في رجالات مكناسة
وكتامة فأوقع يحيى صاحب فاس وهزبه اليها وحاصرها ثم صالحه على
الخارج والطاعة لمولاه وعلى عامل فاس خاصة وولى ابن عمه موسى بن
أبي العافية كبير مكناسة يومئذ أعمال المغرب ماعدا فاس ورجع
فكان بين موسى ويحيى شحنة فلما عاود مصالة غزو المغرب سنة ٣٠٧
وقبل سنة ٣٠٩ اغراه موسى يحيى ففدريه واستصفي أمواله وضم أعمال
فاس الى موسى ومحا دعوة الادارسة من المغرب واجهضهم عن أعماله
فتجهزوا الى بلاد الريف وغماره واستجدوا بها ولاية - بذلك سقط
نجم الادارسة من المغرب وظهر كوكب الفاطميين في أفريقية - ومع
هذا في سنة ٣١٣ عاد الحسن بن محمد بن القاسم بن ادريس الى فاس
وطرد منها ريجان عامل موسى وملكها عامين وحارب موسى لكنه
انهزم الى فاس فلما دخلها ابن أبي العافية فر الحسن ومات أثناء فراره

وكان يعرف بالحجّام لانه تكرر منه عند القتال إصابة موضع المحجم
وقد قال في ذلك

وسميت حجّاما ولست بحاجم ولكن اضربني في مكان المحجم
استولى موسى على ملك فاس واجلى بني محمد بن القاسم بن
ادريس الى الريف فنزلوا البصرة وولوا عليهم ابراهيم أخا الحسن
الحجّام فاخبط حصن حبرالتسر سنة ٣١٧ وخلفه أخوه القاسم ونزع
الى الفاطميين وقام بدعوتهم كما نزع موسى بن أبي العافية الى خليفة
قرطبة وقام بدعوته في المغرب والسبب في ذلك أن الشيعة أرسلوا قائدهم
حميد بن يصل الى المغرب فانتزع فاس من عامل موسى سنة ٣١٧
وولّى عليها حامدا بن حمدان لكن بعد عودة حميد الى أفريقية قام أهل
فاس وقتلوا حامدا وابنه وبعثوا برأسيهما الى موسى فبعث بهما الى
قرطبة - وكان بنو عمر بن ادريس يومئذ بغمارة فانتزع الناصر منهم
سبتة سنة ٣١٩

ومن أبناء عبد الله حميد الحسن السبط السالف الذكر سليمان دخل
المغرب بعد هلاك أخيه ادريس وملك تلمسان واطاعته زناتة وخلفه
ابنه محمد واقتسم بنوه ثغور المغرب الأوسط فكانت جُرّادة لابنه
ادريس ثم لابنه عيسى وكنيته أبو العيش - ووليها الحسن بن أبي
العيش سنة ٣٨١ واقتل عنها الى تلمسان سنة ٣٢٥

(الثانية في الفاطميين) الفاطميون فريق من الشيعة يقولون انهم من نسل فاطمة الزهراء زوج الامام عليّ وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى له من بعده بالامامة علي المسلمين وانها صارت من عليّ الى الحسن ثم الحسين ثم ابنه عليّ زين العابدين ثم ابنه محمد الباقر ثم ابنه جعفر الصادق المتوفى بالمدينة سنة ١٤٨ وهو لا الشيعة يسمون بالامامية واختلفوا بعدهم الامام السادس فقد كان له ولدان أحدهم اسماعيل وليّ عهده لكنه مات قبل أبيه سنة ١٤٥ وثانيهما موسى الكاظم خلف أبيه

فأغلب الشيعة الامامية يرون ان الامامة صارت من جعفر الى ابنه موسى ثم ابنه عليّ الرضا ثم ابنه محمد التقي ثم ابنه عليّ الهادي ثم ابنه الحسن العسكري ومات هذا سنة ٣٠٠ للهجرة وترك جنيثا وضعت أمه وسمته محمدا زعموا انه دخل مع أمه سردابا في جامع سامرا فلم يعد وانه حيٌّ زاتخذوه امامهم ولقبوه المهدي وهم الآن ينتظرونه فهو عندهم المهدي المنتظر والامام الثاني عشر - ولذلك يسمون الاثني عشرية ويروي انهم بعد صلاتهم المغرب يقدمون مركبا بجهازه وحليته الى السرداب وينادونه «أيها الامام اخرج لنا فان الناس منتظرون والخلق حائرون والظلم عام والحق مفقود فاخرج الينا تقرب الرحمة من الله في آثرك» ومذهبهم منتشر في المدينة والشام والعراق وقد تصدّى خلفاء بني العباس لأئمة الاثني عشرية بالاهلاك

فقد أشخص هارون الرشيد دوسي الكاظم من المدينة الى بغداد
وحبسه حتى مات مسموما سنة ١٨٣ - وبعد ان عهد المؤمن اعلى
الرضا بالأمر من بعده وكانا بخراسان سمّه (على ما قيل) في الطريق
الى العراق ودفن بطوس سنة ٢٠٣ - وقال بعضهم ان المقتدر سمّ عليا
الهادي سنة ٢٥٤ - وحبس الحسن العسكري بسامرا حتى هلك
سنة ٢١٠ ودفن في جامعها المعروف بالشهد وفيه السرداب الذي
تزعّم الشيعة ان مهديهم يخرج منه

والقليل منهم يرون ان الامامة حلت في اسماعيل فان الله عهد بها
اليه على اسنان أبيه جعفر والاله لا يمتنع عهدا وانها انفلت من اسماعيل
الى ابنه محمد المسكّن ثم ابنه جعفر المصدق ثم ابنه محمد الحبيب ثم
ابنه عبيد الله المهدي صاحب الدولة الفاطمية في أفريقيا - وهؤلاء هم
الاسماعيلية وكان أئمتهم مستورين ولهم دعاة ظهروا فقد أنفذ امامهم
جمعا الى أفريقيا اللواتي وأبا سفيان وقال لهما « بالغرب أرض بور
فاذهبوا واحرثوها حتى يحجى صاحب البذر » فهزلا أرض كتامة ففتت
دعوتهم فيها - وأنفذ امامهم محمد الحبيب وكان ينزل سلطنة من أرض
حمص بالشام رستم بن الحسن بن حوشب الكوفي الى اليمن لاقامة
دعوتهم فيه ومبشرا بقرب ظهور المهدي فسار الى عدن ودعا وبشر
وقاتل وغلب حتى ملك صنعاء من بني يعفر واجتمع به وهو في عدن
أبو عبد الله الحسين الصنعائي وحضر مجالسه واخذ عنه فانفذه ابن

حوشب الى المغرب حين بلغه موت الحلواني وصاحبه وقيل ان أبا عبد الله كان محتسبا باليصرة ويعرف بالمعلم لانه كان يعلم مذهب الامامية فالتصل بمحمد الحبيب فأرسله الى ابن حوشب وهذا أرسله الى كتامة بعد ان زوده بعلمه فسار الى مكة فلقى بموسم الحج رجالات كتامة ورؤساءهم وفيهم من اتى الحلواني وأباسفيان وأخذ عنهما فاسماهم اليه باسمه ودهائه فألفوا أصحابه ودعوه الى بلادهم فرافقهم ومروا بمصر ولسكوا طريق الصحراء عادين عن طريق القيروان مركز حكومة بني الأغلب ودخلوا كتامة سنة ٣٨٠ (وقيل ٢٨٨) فنزل أبو عبد الله الشيعي في فجج الاخيار من بلاد إنكيجان أو ايكجان ودعا الناس الى مذهب الشيعة وأعلن امامة أهل البيت فاتبه أكثر كتامة وأخذ أمره يستفحل شيئا فشيئا حتى انتزع البلاد من أيدي بني الاغلب وفرّ أميرهم الاخير (زيادة الله) من مدينة (رقادة) وملكها الشيعي سنة ٢٩٦ - في هذه الاثناء مات الامام محمد الحبيب وخلفه ابنه عبيد الله المهدي فدعاه الشيعي من المشرق وأتى اليه مقابلد ملك أفريقية فنزل رقادة سنة ٢٩٧ وسكنها الى أن أكمل بناء (المهديّة) على البحر سنة ٣٠٦

وبناء على ما سبق يكون عبيد الله المهدي ابن محمد بن جعفر بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ابن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وقيل عبيد الله المهدي ابن محمد بن عبد الله بن

ميمون بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق - وعلى كلا القولين
ينتهي نسب المهدي هذا الى علي بن أبي طالب - وقد أثبت صحة
هذا النسب بعض المؤرخين وذهب آخرون الى أنه موضوع وأنه
لم يكن اسم المهدي (عبيد الله) بل اسمه (سعيد) وأنه بن الحسين
ابن محمد بن احمد بن عبد الله القداح ابن ميمون بن ديسان وأن هؤلاء
زنادقة شتوا في بلاد فارس وابتدعوا مذهبا شطوا فيه عن الاسلام
وأولوا نصرة كما شئت أهواؤهم ووضعوا الاحاديث الكاذبة
وشككوا الناس في دينهم وادعوا الى تكاليف اشنع فيود العامة
ساقطة عن الخاصة وأحلوا الاخوات والامهات وكانوا يظهرون التشيع
لآل البيت ليستروا أمرهم ويستميلوا العامة اليهم وكان لهم دعاة في
البلاد يظهرون الزهد والعبادة ليفرّوا الناس بذلك، وهم على خلافه

وان جدهم الاعلى ديسان واضع كتاب الميزان في نصرة الزندقة
وقد تسلم عبد الله القداح الطب وعلمه أبوه المذهب والملكه على أسرار
هذه المحلة وسمي قداحا لأنه كان يعالج العميون ويقدها وسار القداح
من كرج وأصيهان الى الاهواز والبصرة والكوفة وطالقان وخراسان
وسلمية من أرض حمص يدعو الناس لآل البيت ثم توفي وخلفه ابنه
احمد وادعى أنه من سلالة علي بن أبي طالب وصحبه ابن حوشب
الكوفي فأرسله الى اليمن ثم خلفه ابنه محمد وكان يكتب الدعاة في
البلاد - وخلفه ابنه الحسين وسار الى سلمية وكان ذا أموال ووكلاء

وغلمان فتزوج امرأة يهودى مات عنها ولها ولد منه اسمه (سعيد) فأحبه الحسين وتبناه وأدبه وعلمه وعرفه أسرار الدعوة وعلاماتها وعهداياه بالامامة خلفه بعد وفاته وتسمى (عبيد الله المهدي) وجعل له نسبا وهو (عبيد الله بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر الصادق) وهذا النسب يدل على أنه جعل نفسه مهدي الاثني عشرية المنتظر وقد انتشرت دعوته وبذل الاموال وأرسل اليه أبو عبد الله الشيعي رجالا من كتامة ليخبروه بما أتيح له من النصر وانهم ينتظرونه وشاع الخبر وبلغ المكتفي العباسي فطلبه فهرب هو وولده الى أفريقيا وأسس فيها الدولة الفاطمية سنة ٢٩٦^(١)

ويؤخذ من دوزي أن أصل الفاطميين من الفرس وأن جدهم عبد الله بن ميمون الفارسي كان طبيبا لأميون حاذقا في الفلسفة واللاهوت وبلغ من أمره ان همّ بالتنبؤ لولا أن رأى آيات الخذلان فأنحدر الى منزلة (المهدي المنتظر) فأحيا مذهب الاسماعيلية^(٢) وكاد يتقلص ظله عقب ان حلّ باشياع على ما حل بهم من الخيبة والفشل في مقاصدهم وقتل كثير منهم بالحديد والسمّ والنزواء بقاياهم في خراسان وقندُ هار وكان له دعاة في سائر الجهات يبشرون الناس بقرب ظهور المهدي

(١) ابن الاثير وابن خلدون وأبو الفداء (٢) لعله يقصد الاثني عشرية فان مذهبهم هو الذي كاد يتلاشى لقتل أئمتته وفقد امامهم الثاني عشر واحياء هذا المذهب هو المناسب لمقصد ابن ميمون .

المنتظر تمهيدا له أو اذن يخلفه في سيادة هذا المذهب من أتباعه ومن هؤلاء المدعاة (أبو عبد الله الصنعاني) دخل أرض كتامة من أفريقية سنة ٢٨٠ هـ وكان نشيطا جريشا فصيحيا ذا دهاء ومكر عارفا ما بالأمم عقول البربر فأخذ يدنو السكتانيين إلى محبة أهل البيت ويهدم بخير الدنيا والآخرة إذا هتوا بسلاحهم لصرتهم ويبدشهم بأنه سيظهر قريبا من نسل فاطمة بذات النبي صلى الله عليه وسلم امام معصوم يقيم قسطا للعدل بين الناس وأنه المهدي الوارد في الحديث المأثور وما زال يخالب قلوبهم بسحر بيانه وقوة عارضته وبرهانه حتى صدقوه ومالوا إليه وقاموا تحت لوائه وكانوا أولى قوة وكثرة فتنزعوا المدائن من يد آخر أمير من بني الأغلب بعد أن حكموها - فبقيت تنبف عن قرن من الدهر والجؤه إلى الفرار من (رقادة) حاضرة القبروان - وفي سنة ٢٩٠ دعا هذا الشيعي سيد مذهب الاسماعيلية في ذلك الوقت (سعيدا) من ذرية عبد الله بن ميمون طبيب العميون وأجلسه على سرير ملك أفريقية فدعى سعيد أنه من نسل جعفر الصادق وسقى نفسه (عبيد الله المهدي)

(الثالثة في السلاف أو الصقالبة) السلاف عند الافرنج هم الصقالبة عند العرب أما الافرنج فيعرفون السلاف بأنهم نوع من الجنس الهندي لاوربي يمتاز بأخلاقه ولغاته ويقسمونهم إلى ثلاثة شعوب كبيرة : السلاف الغربيون في روسيا والبروسيا والنمسا والسلاف الشرقيون

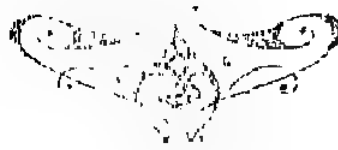
وهم روس الشرق والسلافي الجنوبيون ومنهم البلغار والصرب وفي
أوربا منهم ما بين ٨٠ و ١٠٠ مليون وأما العرب فيمروغونهم بأنهم
جيل من الصقلب بن يافث - ثم الألوان صُهب الشعوب تتأخم بلادهم
بلاد الخزر وبعض بلاد الروم بين بلغر أو بلغار وقسطنطينية ويسكن
كثير منهم بلاد الخزر وجزيرة صِقَايَة وفيها موضع يقال له صقلب أو
حارة الصقالبة ولواحد منهم صقلبي

كان الجرمان يقاتلون الشعوب السلافية ويطلقون على أسراهم
اسم (السلاف) و يبيعونهم الى عرب اسبانيا فكان هؤلاء يطلقون
عليهم اسم (الصقالبة) ثم توسعوا في استعمال الاسم فأطلقوه على
مواليهم المجاويين من أية أمة أخرى وكان منهم من يخطفهم لصوص
البحر (انقرصان) ومنهم من يشترون من موالي ايطاليا - وكان اليهود
يتجرون فيهم ويتصيدون لأطفال ذكورا وإناثا و يحملونهم على
السفن الى أسبانيا ليبيعوهم الى أهلها - وفوق ذلك كانوا يجلبون
أيضا خصيانا من فرنسا لخدمة سيدات اسبانيا - ولما كان يجاء
بهؤلاء الصقالبة صفارا كان من السهل أن يتدينوا بدين ساداتهم
ويتكلمو بلسانهم ويتخلقوا بأخلاقهم - وقد اعتني بترية كثير
منهم فكان منهم قواد وعلماء وشعراء - وكان خليفة اسبانيا يتخذ
صقالبه من الجلالة والفرنك (الفرنسيس والامان) وغيرهم من

البيض واسود وقد كثر عددهم في عهد عبد الرحمن الثالث في خدمة
قصره وفي شرطة قرطبة حتى بلغ ١٣٧٥٠ وكان منهم (شجدة)
القائد العام الذي كان سبب فشل جيش قرطبة في غزوة (الندقة)
على رأى دوزى كما سبق

————— . —————

تم طبع الجزء الاول من كتاب تاريخ العرب في اسبانيا في أوائل رمضان
سنة ١٣٣٢ للهجرة أو آخر يوليو سنة ١٩١٤ للميلاد
ويليه الجزء الثاني وأوله الحكم المستنصر بالله



تدارك ما وقع في هذا الجزء من الخطأ

وجه	سطر	خطأ	صواب
٧	٣	مأخوذ من لفظة	مأخوذ من لفظ
١٨	١٤	يجيبه	يجيبه
٢٠	٦	الحصار عليهم	الحصار عليهم
٤١	١٨	ان	وان
٤٨	٦	وثالثها	وثالثها
٤٨	١٩	طليطة	طليطة
٥٦	٦	وابن	وهو ابن
٥٦	١٧	تدمير	تدمر
٩٨	١٩	يلحقوه فلم	فلم يلحقوه
١٠٣	٨	الحامية	الحامية
١٤٦	١٨	الامير بن الحكم	الامير ابن الحكم
١٥١	٧	رباج	رباح
١٧٤	٣	العرب	العرب
١٩٩	١٥	أثناء	أثناء
٢٠٣	٣	لحصار بن حفصون	لحصار ابن حفصون
٣٢٠	٤	وأرياضها	وأرياضها

تنبيه . جاء ذكر (السوسن) مرتين في هذا الجزء . قلنا عن بعضهم
ولا يخالو من نظر فان السوسن زهر

(فهرس الجزء الأول من تاريخ العرب في اسبانيا)

صحيفة	صحيفة
٢١	٢ مقدمة الكتاب
٢٧	٥ اسبانيا قبل الفتح الاسلامي
مجلس سليمان	تعريف اسبانيا وحدودها
٢٨	وأوائل سكانها —
٣١	تجارة الفينيقيين وسريان
٣٢	حضارتهم فيهم — اشتقاق
أولاد غيطشة	لفظ اسبانيا — حكمومة
٣٢	الفيينيقيين في اسبانيا —
أمرأه اسبانيا بعد عبد العزيز	القرطاجيون ونزلاتهم —
أيوب بن حبيب	الرومان والسواقي والقنندال
٣٣	والقوط — اشتقاق لفظ
الحر بن عبد الرحمن	اندلس
٣٣	١٠ فتح المسلمين اسبانيا —
السمح بن مالك الخولاني	سبب الفتح
٣٥	١٢ غزوة طريف
عبد الرحمن الغافقي	١٢ فتح طارق بن زياد اسبانيا
٣٥	
عبدية بن سعيد	
٣٦	
عذرة بن عبد الله	
٣٦	
محيي بن سلمة الكلبي	
٣٧	
حذيفة بن الاحوص القيسي	
٣٧	
عثمان بن أبي نسمه	
٣٧	
الهيثم بن عدي الكلابي	

صحيفة	صحيفة
١٦٢ ذنابات	٣٧ محمد بن عبد الله
١٦٨ محمد بن عبد الرحمن بن الحكم	٣٧ عبد الرحمن القافق (ولايته
٢٠٢ المنذر بن محمد	الثانية)
٢١٢ عبد الله بن محمد	٤٣ عبد الملك بن قطن الفهرى
٢٢٩ حوادث البيرة	٤٤ عقبة بن الحجاج
٢٣٢ حوادث اشيلية	٤٥ عبد الملك (ولايته الثانية)
٢٣٧ مقتل ابني عبد الله محمد	٤٩ بلج بن بشر
والمطرف وغيرها	٥٠ ثعلبة بن سلامة
٢٣٩ حوادث ربة	٥١ أبو الخطار
٢٥١ ذنابات	٥٢ نوبة بن سلامة
٢٥٥ عبد الرحمن الناصر	٥٣ يوسف بن عبد الرحمن
٢٦٤ غزواته الداخلة	الفهرى
٢٦٤ فتح استجة	٥٦ دولة بنى أمية فى اسبانيا
٢٦٤ فتح جيان والبيرة	٥٦ عبد الرحمن الداخل
٢٦٦ فتح اشيلية	٩٣ ذنابات
٢٦٧ فتح قلاهرة	٩ هشام بن عبد الرحمن
٢٦٧ فتح ربة	١٠٦ الحكم بن هشام
٢٨٢ حروبه الخارجة	١٢٥ عبد الرحمن الثانى ابن الحكم

صحيحة	صحيحة
٣٥٢ فتك الناصر بابنه عبد الله	٣١٠ بنو اسحاق
٣٥٩ وفود رسل الملوك على عبد الرحمن	٣١١ غزوة الخندق
٣٦٣ توزيع الناصر أعمال ديوانه بين وزرائه	٣٣٥ انشا عبد الرحمن سفينة كبرى
٣٦٤ موت الناصر وفدلكة تاريخه	٣٣٩ غزوة ابن سعيد الى افريقية واستيلاؤه على مدينة تونس
٣٦٧ ذنابات	٣٣٨ هدية ابن سعيد الى الناصر
٣٦٧ الاولى في الادارة	٣٤٠ غزو جوهر بلاد المغرب
٣٧٣ الثانية في الفاطميين	٣٤٦ منشورات
٣٧٨ الثالثة في الصقالبة	٣٤٦ مدينة الزهراء
	٣٥٢ زلزلة هائلة في قرطبة



